

مے ————— البطلیمية



تألیف
زکی علی

مصر البطلمية

تأليف
زكي علي

١٩٨٠

لحادث في حضارة مصر البطلمية (١)
"تأليف الدكتور علي"

٣٠٥ ق م - ٣٠ ق م

هناك جوانب كثيرة في حضارة مصر البطلمية ، ولكنها انبثقت في مجموعها بطابع معين ، لا يمكن ان يتصور في هذا الموضوع الا ان يعرض له ويتناوله بشيء من التفصيل وذلك ان البطالمة جاءوا الى مصر في ركبا غزوة الاسكندر الاكبر (الثالث) وفتحوا لابرار هذه البلاد . واثرا لحد قوائم الاسكندر واركان حربه وهو بطليموس بن لاغوس ان يستأثر بمصر ويخص نفسه بها بعد ممات الاسكندر عام ٣٢٣ ق م . ومن منذ البداية على ان يحتفظ بها لتكون ملكا خالصا له ولا سرتة من بعده . فثبت بذلك انه كان رجلا حكيما وبعيد النظر وهو الرجل الذي كان قد ذهب على الانبياء من عمره عندما قدم الى البلاد وكان يعرف على حد قولهم " من اين توئل الكف " ويعرف كيف يصيب بجسر واحد اكثر من خمسين ثم انه كان يوشع ويفضل الاحتفاظ بمسعود في اليد خير من الجيش والتطلع الى الحديد من المصالحير على الشجرة - تلك هي صورة ذلك الرجل الاممي الذي وطد اقدامه في مصر وحكمها برصفه " سائريا " او مرزبانها ، نائبا عن ورثة الاسكندر بعد مماته ٣٢٣ ق م . حتى ٣٠٤ عندما أعلن نفسه ملكا مستقلا على مصر " باسيلوس " .

ومنذ ذلك الحين حتى ٣٠ ق م بقيت مصر في حوزة عدد من ابناؤه واسلافه عدد هم استرايون في كتابه الجغرافيا الساب عشر في جملة وسماهم جميعا باسم بطليموس وخص كل واحد منهم بكنية او صفة تضافي عنهم القدايسة فوصف الثلاثة الاولين منهم بالكفاية والمقدرة اذ هم المؤسسون الحقيقيون لهيمنة الحضارة البطلمية التي استمرت انظار العالم بها وضعت له مصر في الحكم اتسمت بالبيروقراطية الشديدة وما طبقوه من نظم اقتصادية بدني كان رائدا في العالم الهيلنستي ومهدرا لثراء ضخيم ، مالا الخزائنية البطلمية (باسيلكون) بثروات عينية ونقدية هائلة مكنتهم من السيطرة وبسط النفوذ في

البحر المتوسط والجاذبة لفترة او لحين ما على امبراطورية بحرية (١) اليونانية (Ptolemies) نسبة الى بطليموس الاول (Ptolemaeus)
ويطلق عليهم بالفرنسية (Lagides) او باللاتينية Lagidae
نسبة الى البلد Lagos

تشمل عدة جزر منها قبرص وبعض الجزر من آسيا الصغرى وبرقة وسوريا الخالية (سجل
الباق) وفلسطين + وهذا كانت لملك البطالمة الاولين سيطرة بحرية تسمى باليونانية
"بالا سوكراسي" + ولكنها لم تدم طويلا واول هؤلاء الملوك الثلاثة هم بطليموس
الملقب سوتير او المخلص ٣٠٤ حتى ٢٨٥ ق م + ثم بطليموس الثاني (٢٨٥ - ٢٤٦)
ق م + الملقب بفيلادلفوس اي المحب لاخته وكان هذا اللقب اصلا يسمي على اخته
وزوجته الثانية المسماة ارسيتوي الثانية فيلادلفيا (Philadelphos) وكان
قد تزوج بها بعد ان طلق زوجته ارسيتوي الاولى وترك لاخته مقاليد الامور وكان حاكما كبيرا
سبا فلما توفيت ولفيت الى مصاب الالهة والالهات ووجدت لها اموال تتوفر من
ضريبة الايجور (Apomoina) او الجزر Hekté - Dekaté المقطر
وهو السدس او العشر وعلى الكرم والبساتين وللصوف من حصيلةها على رؤاس هكتة
المصادفة الجديدة + اما تاليم فهو بطليموس الثالث الملقب بفرخس (٢٤٦ - ٢٢١)
ق م + اي قاهر الخير + فكان محاربا مغوارا خاض في السنين الخمس الاولى جرويا في
الشام وبلاد ما بين النهرين واوربا الهرات واولى بلادا ~~خاض على ملك الاساطين~~
وانتم لاخته بريتيس المتوفاة وكانت زوجة لانتيموس ملك الشام التي ورثها عن ابيه وجده
وهؤلاء الملوك البطالمة الثلاثة كانوا في نظر استرابون الهاء الشكينة ودعاة قوة مصر
وعظمة مصر حين صعد على سدة الحكم + واليهاء + وقد افاد استرابون في مدحهم
والاعادة بذكرهم + اما من جاءوا بعدهم فكانوا اما ابنة لهم على التوالي او اخوة لهم
سواء هم استرابون في سلسلة عصابة ولكنه من عاصم من الكرام فذكر منهم بطليموس الرابع
بن بطليموس الثالث بالذات وكان هذا الملك يلقب بلقب الهى هو الذي عرف به على
من السنين وهو بطليموس فيلادلفوس المحب لاهيه وكان من عشاق عبادة الاله ديونيسيوس
والداعين لاحتفال بطقوسه ومراسم عبادته سنويا وكان يقيم المواكب التي يدير فيها
جملة القديسات من الخير وحرص على تسجيل اسماء المتزوجين في هذه العبادة فيسجل
ديوان بالاسكندرية + وفي عهد انطونيوس في المذات والشموات واعمال المحزون وارثي
في احضان ثالث ما ^{بحركه} وزير ماهر هو المسجل ~~سجل~~ كان هذا الثالث عبارة

عن ام فاجرة تسمى أوجانثس وابنتها الجميلة " أجاثوكليا " عشيقه الملك واخوها أجاثوكليس
 احد وزراء الملك ومعاونيه * وعلى الرغم من انغماس الملك في مبهمة واهتمامه بالاسسغ
 بعبادة الاله ديونيسوس اله الخمر والذبح واشتراكه في الشفقات المبهمة كليل قري هو " لاه
 العبادة واتباع ذلك الاله وبعونه لهم للحضور لـ " سكرية " من اجل استماعهم واهتمامه البالغ
 بحصر اولئك الذين تلقوا اسرار هذه العبادة فان عهدده اشهر في تاريخ البطالمة فيما
 وقع فيه من احداث (١) ذلك ان ملك سوريا انطيوخوس شن طرق على البلاد في حوالى
 ٢٢٠ - ٢١٨ ق م * فانبرى له سوسيجوس الماكر واخذ يفاوض سوريا ويتظاهر بالمرغبة فى
 المسالمة وهو فى الحقيقة يستعد لخوض معركة هائلة - تلك هى معركة رفح ٢١٧ ق م التى
 غيرت من سياسة البطالمة فى مصر ومن الاتجاهات التى كانت تسير نحوها * ذلك ان فيلقا
 مصريا تألف وتدرّب على اساليب القتال اليونانية وبعد ان كان هيرودوت يسخر من الهجود
 المصريين وصفهم بأنهم جماعة من القوات المحاربة المسماة " بالماخيوى " لا يعرفون النظام
 ولا يلبسون الا السراويل ولا يجهلون سوى البلط والخصي ، اثبتوا فى معركة رفح انهم أكفأ
 وابلوا بلا حسنا وهدوا الحد وفكأنوا بذلك اصحاب فضل على اسرة البطالمة والمؤيديين
 لمرشهم بعد ان كان قد اعتدت تحت اقدام هذا الملك المفتون * ولذلك تعتبر معركة رفح
 ٢١٧ فى حضارة مصر البطلمية بمثابة " مفترق طرق " لما كان لها من آثار بعيدة المدى فى
 السياسة الخارجية واندخالية فبينما هى حفظت عرش البطالمة من الانهيار والسقوط ان بها
 رفعت من محنويات الشعب المصري وجماعته " اللوى " اخذت تطالب بما منذ ذلك
 الحين يضمن هذا النصر الذى كسبه وتلج فى ان تشارك فى الحكم وان يكون المصريون على
 قدم المساواة مع اليونانيين * وبعد ان كان اليونان ينظرون شذرا الى المصريين وينزلونهم
 منزلة دنيا فى السلم الاجتماعى ويشيرون اليهم بشئ " كغير من الاحتقار " اصبحتوا يعملون
 للمصريين الف حساب وحساب * وعلى ذلك لا ينبغي ان ننسى ان هذه اشهر معركة رفح فى حضارة
 مصر البطلمية *

(١) انظر ما كتبه المؤرخ اليونانى Polybius عن هذا الملك المفتون *

جاء بعد ذلك ملك هو الملكوس الخامس الملقب " ايفانيس " ابي الخنجلي او
الظاهر وفي عهدهم سطر عام ١٩٦ ق م ؟ لجح اشتهر على مر السنين وكان له اهمية في
حياة مصر القديمة ذلك هو حجر رشيد عثر عليه أثناء الحملة الفرنسية على مصر في رشيد
م نقل الي المتحف البريطاني وقد كتب عليه قرار امير الكهنة المصريين وشهود فيهم
م باسمهم هذا الملك الشابين اعفا " فياثيريا " وتسامحات والعامل في فريجات
ولما كان هذا القرار مكتوب باللغة المصرية القديمة عالم يعرفها ثم بالخط الديموطيقي
ثم ترجمة هذا كله باللغة اليونانية وجاء في ثانيا هذا القرار كلمتان مختلفتان باليونانية
هيءا ، طلبيوس ثم زوجته كلوياترة والمقابل لهما مكتوب داخل اطار او خرطوش بالهيروغليفية
فقد توفر عالم فرنسي هم عالميون في ابي هذا رمز اللغة المصرية القديمة عن طريق التعرف
على حروف منها حرف الباء والتاء واللام والسين والميم والحروف المتحركة منها
الكاف واللام والباء والتاء والراء والحروف المتحركة في كلمة كايواترة

واخذ هذا العالم يحمل الفكرة حتى استشهد آخر الامر حروفها هي جارية اخرى
وتوصل الي كشف الحظير وذلك في طالع اسم هذه اللغة الهيروغليفية واسمى بذلك جيميل
الي علماء الحاديات المصرية او عام الاجرة في الهيروغليفية فاعترف بهذا الكشف العالم
معرفة ان الوثيقة تتألف من الالة التي تروى في العصر الفرعوني في الهيروغليفية الروماني على
مدي حلق طويلة تمتد بآلاف من السنين ولا تزال في بناء اسم ما كشف في آثاره

يقرا ما سطر على الحوائط والحجارة والنقوش والالواح والبردي والشفافة بالغة
المصرية القديمة وبالخط الديموطيقي وما اكثر ما سطر بهذا الخط

ولا يزال راقدا ومكتوبا بها بالخط الاوربية ينتظر ايدي العلماء من المصريين
والاجانب جاء بعد ذلك في قائمة استراتيجون مكان هذا العالم السادس الملقب بالهياوي
اي الهيولاوه وقد اشترك معه لفترة من الزمان اخوه بطليموس السابع الملقب فيما بعد

بجزيرة في الثاني وانقسم الملك فكان هذا السابح يحكم امارة في قبرص واخرى في برقة ولم يكن عهدهما بعهد استقرار بل قامت الفتنة والحروب وقد مات الاخ الاكبر عام ١٤٥ ق م * وانفرد بالملك اخوه يوجينيس الثاني وحكم من ١٤٥ ق م * حتى ١١٧ ق م * وقد تزوج هذا الاخير من ارملة اخيه وكانت تسمى كليوباترة الثانية ثم تزوج من ابنتها في الوقت نفسه وكانت تسمى كليوباترة الثالثة ونشب خلاف اسرى وانقسمت البلاد وكان المصيد في جزيرة زوجته الاولى وكان النوح البحري مشايخا له .

ويبدو انه كان ملكا شريفا وكانت علاقته بالمسكينيين على غير مايرام فلقبوه بالشهير "كالكثريوس" على النقيض من معنى اللقب الذي كان يدنى به وهو "فاعل الخير" اي "يورجنيس" واشتهر حكمه بتلك الحرب الاهلية التي نشبت بينه وبين اخته وزوجته الاولى وانقسمت فيها البلاد على نفسها * الوجه القبلي يناصر الملكة والوجه البحري يناصر الملك وزوجته الثانية كليوباترة الثالثة وانتهت تلك الحرب الاهلية سنة ١١٨ ق م * بقرار اعلن فيه الطرفان هدنة وعفوا عاما سلم فيه كل جانب للآخر ببعض الترضيات وعرف هذا بكلمة

"فيلانثروپا" (Philanthropa) * حفظتها لنا وثيقة برقية مشهورة * ومنشورة

في مجموعة بردي في (ام الميرجات بجنوب اقليم الفيوم) تحت رقم (٥) وجاءت هذه البردية خاتمة لكثير من الاعكام المتبادلة بين الطرفين * يسلم كل منهما للآخر بحقوق يحافظ عليها على مصالح المؤيدين له ومن كانوا يناصرونه بين الطوائف المختلفة من رجال الدين والعمال والصناع واصحاب الحرف المختلفة وبعض الحاربين من كثير من الاعباء وحقوق الاسكان للجند وهي التي كانت تشق كاهل الناس والاهلين *

ونأتي في آخر المطاف في سلسلة ملوك هذه الاسرة البطلمية ملك مفتون آخر هو بطليموس الملقب اولميتيس (Auletes) اي الزمار وكان يهوى الزمر على الناي وكان يلقب بديونيسيوس الجديد (Neos Dionysus) واشتهر بأنه كان والد كليوباترة الاخيرة وهي السلبيتموكان عهده غير مستقر وكان لهو ومجون قد كلف البلاد اعباء كثيرة وترب على ذلك يعمه الاملاك واراغس كثيرة وتوسع في الملكية الخاصة للانفراد لانه كان في حاجة

التي لا تزال النائلة وكانت روما إذ ذاك قد تدخلت في شئون مصر بدرجة سافرة وخاصة
بعد أن طرد الملك من مصر من ٥٩ - ٥٨ ق.م. حتى ٥٥ ق.م. بعد أن ضاق بمه
السكندريون ذرعاً فقتلوا منه وعندئذ ذهب إلى روما يطلب الصون والتأييد. وهناك
ارتقى في اجتماع قائد روماني مشهور هو "يوليوس قيصر" وكان نائب رئيس في روما بعد
يوليوس قيصر وكانهما يتنافسان على الأفراد بسلطة في حكم دائمي عرف بنظام الثلاثية
الحكومي الأول بين يوليوس قيصر وكراسوس في روما "Triumvirate" ثم ماوريت
قديم يوهي هذا الملك المذبح إلى مجلس الشيوخ الروماني فمعهما لقا كان يعتز به هو
الصديق والحليف لروما = "اميكوس ثم سوكيوس" (Amicus et Socius)
وكبدته هذا كله أموالاً طائلة فبعثها من مصر وأخذ قسماً على روما الرومان كيما يكسب صداقتهم
وتأييدهم. وعلى ذلك استطاع يوهي أن يرجع إلى مدينته "جابينوس" (gabinus)
وكان الحاكم الروماني في سوريا إذ ذاك في أن يعيد هذا الملك إلى عرشه بقوة السلاح
الروماني. وقد تم هذا بالفعل وجاءت حامية من سوريا إلى مصر يقولون أن بطليموس لمسه
الفرسان ودخلت مصر من القرم واستقرت في الإسكندرية وأعادت الملك إلى عرشه عام ٥٥
ق.م. وعلى يوهي الاحتفال الروماني بعودة عرب البطالمة. ومات هذا الملك عام (٥٤ ق.م.)
فخلعه أبنته كليوباترة السابعة بحسب الرخصة التي كان والدها قد أودعها في روما لدى
الحذاري في معبد روماني (Vestal Virgins) وطلب إلى الرومان أن يكونوا
شهوداً على تنفيذ هذه الرخصة التي قضت بأن تتزو كليوباترة من أخيها بطليموس الصغير
وأن يشارك في الحكم ولكن ما لبث أن دب الخلاف بين الأخ والأخت فخرجت كليوباترة
السابع في يوم الآخر من ٥٢ حتى ٤٩ - ٤٨ ق.م.

وعندئذ حدث أن ولدت المواقمة النائلة بين يوليوس قيصر ويوهي في "فارسياليا"
(Pharsalia) في بلاد اليونان ٤٩ - ٤٨ ق.م. انتصر فيها الأول على يوهي
الذي فر إلى مصر مؤملاً أن يلقي الأمان فيها بعد الهزيمة المنكرة ولكن الاختيار كان نصيبه
وهو يرسو على النبال في الثريا (بوانيم) اختاره أعداء الملك البطلمي الصغير
طناً منه أن هذا الاختيار سيكون خير في أن يلقى به إلى القائد المظفر "يوليوس قيصر".

وقد عاد هذا القائد بالفحص في اعتاب يودبي ودخل مصر وهي زيلفتي القتال بعد أن خر
 صرب الخيانة الدنيئة وتمصرف على خاوية قيصري يوليوس قيصر على ناحية الموقف في الاسكندرية
 وحضرت اليه كليوباترة من معسكرها في شرق الدلتا بطريقة فيها شيء كثير من الروائية
 والافروعة التي تأخذ بلب الشمر * واصحاب الخيان وقد نصح القائد الروماني كلا من الاخ
 والاخت بأن يعيشا في وثام * وانجب من كليوباترة ابنا عرف على مدى الايام باسم هنر عس
 والده وهو قيصر نفسه بقبصر الصغير " قيصرون " وكان هذا الابن يشبه اياه في مشتم
 وفي سمته وكان مرنج اعزاز من والدته التي اشركته معها في الحكم بعد موت زوجها
 واخيها وكان مستقبه السياسي هو الشغل الشاغل لهذه الملكة المصرية الطموحة * هل
 كان في هذا في واق الامر قتلها وتكبتها - كان كس منها كرامة ان تكسب الي جانبها
 قائدا رومانيا عاليا ينفذ لها برنامجها السياسي او تحقق عن طريقه شيئا من مطالبها
 الواسعة * ومن ملامح مصرية صميمه * لاغيار علومها * فهي تريد المظنة لمصر وتربيتها
 لاسكندرية ان تكون عاصمة العالم الهيلليني وتستعيد الامبراطورية المصرية التي كانت
 على عهد فيلادلفوس وتبغى السيطرة على روما * واتصال يوليوس قيصر بها لم يزل
 اثار عليه حفيظة الرومان من اثنان شيشرون الخطيب والاديب والكاتب السياسي العظيم
 فاختاله فريق من الد * مهوزيين هما برقيوس وكاسيوس وهو خاين من مجلس الشيوخ الروماني
 علم (٤٤ ق م) * وهو مشهور هو الخامس عشر من شهر مارس (ايدريس بن شهر مارس) * بهم
 وداعه ام هذا المجلس والتأهب لشن حملة فخذة على دولة الثرس وعندئذ انهار امسل
 كليوباترة وحادت الملكة الى مصر * فسمارة كما قيل (فوجا ريجينا = Fuga reginae
 باللاتينية) * وعندئذ فكفت على اعادة التفكير في خطتها ومن عام ٤٣ ق م * ٣٠ ق م *
 وهي تتخبط وتحاول ان تصلح مآلها * الدهر فاصطفت بانطونيوس او بالاحرى هو الذي
 اتصل بها عام ٤٣ ق م * احبها وانجب منها توأم وتزوجها آخر الامر عام ٣٧ ق م *
 بعد ان كانت زوجته الاولى فولفيا (Fulvia) تزوج بالاكراه من اكلابيا
 (Octavia) شقيقة حليمة * اكلابيوس الوريث والسفير ليهوليس قيصر بحضب الجدة
 التي تركها القائد العظيم يوليوس قيصر ولكن المصالحة الزوجية بين انطونيوس وزوجته

اكتافيا لم تعد دولته بسبب اختلاف الاموجة وعدم التكافؤ بين الاثنين فيما لبت ان تطلقها
وتفرض الاتفاق المبرم من اخيرها وهو الحكم الثلاثي الثاني (Triumvirate)
بين اكتافوس واطولونيوس وابوديوس . فلما تزوج ايتولونيوس من كليوباترة بدأ الصدام بين
بين الاثنين الاولين وتنافس العالم الروماني فترة سنتين من سنة ٣٣ - ٣١ ق م . فبسبب
حالة انشقاق نشأت بين الطرفين الشرقي والغربي ، وكان الحرب ينصر اكتافوس بينما كان
الشرقي يؤيد ايتولونيوس ومعه كليوباترة ملكة مصر .

ووقعت مصر كلها الى جانب هذه الملكة مؤيدة لها في كفاحها ضد اكتافوس
والغربي محمد ان أعلن اكتافوس الحرب على ملكة مصر واعتبر زوجها عدوا (hostis)
تدخل عن رومانيتهم وارتمى في احضان ملكة مصرية . وهنا وقعت موقعتان هامتان فبسبب
سنتين متتاليتين اولاهما في بلاد ~~البحر~~ (Actium) عند مدخل بحر
الاذرياتيكي على الشاطئ الغربي من بلاد اليونان في خليج ابراشيا حيث وقف الاسطول
المصري والقوات النجدة من جميع ارجاء الشرق تؤيد ايتولونيوس ضد قوى الغرب (ايطاليا
واسبانيا وبلاد الغال) وكان النصر للغربي محمد انوار اسطول كليوباترة وزوجها ايتولونيوس
من البحر الى مصر اما المعركة الثانية فكانت في قلعة الاسكندرية في ابراشيا على
٢٠ خاضها ايتولونيوس محمد ان فشل في مربي مطروح ضد القائد كورنييليوس جبالوس
الذي ابصر لايولونيوس وخدمه حتى وقع هو واسطوله في كمين داخل الجبل ودمر على
اغلاقه ولم يجد ايتولونيوس وكليوباترة غير الانحياز لقتالها عن الابصار وتمكن مصر من خسارة
وضعية تخرج تحت مظلة الحكم الروماني وتدخل في زمة الاملاك الرومانية في حوض البحر
المتوسط وكانت مصر صاحبة الشرف الرفيع الذي يراق على جوانبه الدم الغربي في
آخر دولة في هذا الحوض .

هذه المأثرة في عرض مربي الامداد السياسية ، ولكن الاطار السياسي

الحكم بمرور اطي ساء مصر طوال حقبة ثلاثة ابرون شهدت فيه البلاد تطورا اقتصاديا
وعلميا واستغنى الا ل موارد هذا البلد على نحو لم تشهد من قبل .

لمحة عن النظام الاقتصادي والاجتماعي في

مصر البطلمية

ننتقل الآن الى ذكر لمحة عن الشؤون الاقتصادية باعتبارها الركيزة الاولى في الحكم البطلمي فنقول كان الحافز الرئيسي في ذلك النظام الاقتصادي الذي اقامه ملوك البطلمية الاولون هو الرغبة الملحة في تنظيم الانتاج واسلوهم في ذلك رعايته وتنسيقه في سائر من القوانين اهمها تلك التي اصدرها بطليموس فيلادلفوس سنة ٢٥٨ ق م ثم اعيد تنسيقها في عهد ابولونيوس وزير المالية وعرفت تلك القوانين باسم يوناني هي *(Nomoi Telonikoi)* اي القوانين الغريبية والالتزام بحماية مختلف الضرائب وهي تمثل اعظم وثيقة بردية محفوظة الآن بمكتبة البودليان بجامعة اكسفورد وهي الاساس في اي دراسة جادة عن نظم الحكم البطلمي كله وفيها تنظيم لجباية الضرائب وتجميع المكوس ونظم الاحتكارات وتسوية الحسابات بين الحكومة والمترمين ونظم المصارف واعمال النسيج ومنها يلم الانسان بالوان من العمارة ومصرف اوضاع العمل في المصانع الخاصة بمصر الزهية والنسيج ومشاركتهم في الارباح والفاخر - وبالاختصار جملة هذه الوثيقة البردية واضحة ولا مندوحة من ان يبالغ الباحث في الحضارة البطلمية ببعض صلواتها ويتأمل في التشريعات التي اصدرها بطليموس فيلادلفوس وكان فيها مقتضا من نظم سائدة في اثينا ومصرينا بنو يهود فيلصوف اثيني هو ديمتريوس الفاليري (اي من اهل مراك اثينا القديم وهو الفاليري) ولا مجال هنا للدخول في اي تفصيلات من هذه المهمة البالغة المتاعى وتقتصر هنا على الاشارة اليها بين حين وآخر .

وكان الضرائب الاساسي من وراء ذلك كله هو ان تصير الدولة - او بالاحرى الملك غنية وقوية ، وبها يحمى العالم اليوناني . وكانت كل جهود الشعب موجهة نحو تحقيق هذا الغرض الاساسي ، فنان يذهب الى كل فرد ان يكسب ويشقى من اجل الدولة ورفع مردايه موضوع ومحدد بحماية شديدة بواسطة السلطات والهيئات الادارية وكانت الحكومة تسهر على تنفيذ هذه بدقة ولم تكن تتردد في فرض العقوبات والشرامات واخذ الضمانات والمواثيق الصارمة من قسم وخاتمة حتى تطمن الى ان كل شيء يسير على مايرام .

أما دور المواطنين من المصريين وهم جماعة تعرف باسم (laoi) فكان بحسبها
 عن القيادة والتوجيه وإقامة محصور في الكد والشقاء ونصيبهم في الكاسب والغنائم ضئيل
 إذ لم تكن الحكومة تتترك للمواطنين المختلفة من الشعب سوى القليل من الحرية ولم تتج لهم
 من الفرص إلا ما يدرهمه على مصالحهم الخاصة فكان يصيب الفرد الواحد من النسيج
 أو النافذ وهو ما يسمى (epigoneia) إلا أن هذا ضئيل جدا . من يكاد هذا يكون
 معدوما بالنسبة للمواطنين المصريين الذين كانت تقع على كواهلهم أثقل الأعباء فالكثيرة
 الفقيرة منهم كانت ملزمة أو مكروهة على أن تعمل من أجل الحكومة والملك في هذا أو ذاك
 سواء في الحقل أو المزرعة أو في مختلف الصناعات والمجاعات أو المصائد . يستوى في ذلك
 الفلاحون الملكيون (georgoi basilikoi) أو غيرهم من الفلاحين في الأراضي
 والضيعات الأخرى التابعة لبعض الأفراد من المحظوظين أو للمعابد أو في الأراضي التي كانت
 في حيازة الجنود مشاة كانوا أم فرسانا ضباطا أم جنودا في جيش مرتبط بمصر من المرتزقة
 اليونان ومن على شاكلتهم من العناصر المتأخرة التي هبت إلى مصر سحبا وراء الكسب
 أو لاستغلال مواردهم ملك غني بخيراتهم فجاءوا إليها كالسيل المنهمر متكالبين على خدمة
 ملك بطليسي . اعتبر في رأي الشاعر اليوناني ثيوقريتس (Theocritus)
 بطلا رجوايا كريمة : وكان يفتخر بنفس الملك بطليموس الذي كان يرضى الناس على الألف
 في الخدمة العسكرية من أجله باعتباره أحسن من يوزل البطء للجنود .

وهناك غير المزارعين فبعض المصريين كانوا يعملون جماعات مختلفة من
 دهن الضرائب (hypoteleia) وكل من لهم علاقة بها كانت بالبرادات
 ويطلق على هؤلاء ذلك الاصطلاح اليوناني المشهور (epitelegmenoi tais
 prosodois) ومعظم المرتبطون بموارد الدخل وبعض هؤلاء كانوا من العمال في الصناعات أو تجار
 التجزئة والبدايين أو رعاة أغنام وما شابه أو من الصيادين البريين أو صيادي الأسماك
 أو الحيدفيين والتجار أو عمال المناجم والتجار في الأماكن النائية أو على جوانب البحار
 الشرقية أو الغربية . وهذا هو الإجماع الحادثة لكل هؤلاء بأنهم كانوا مصرعين للخدمة
 بأعمال كثيرة تدخل في نطاق الخدمة (leiturgia) في حفر القنوات وإقامة

السوداء ومن وقت لا تخر في المناجم والحاجر ولما كذا لتفني صيد الاسماك واعمال القسيسين
او في تشجير عوارب الجسور وجوانب الطرق وشقى اعمال نقل المحاصيل على ظهور الحمير
والخرفان والجمال - كل هذه الاعمال واضرابها - كانت في الكثير من الغالب من الناس من
القيام باعمالهم المعتادة من اجل كسب قوت يومهم * وليسنا نعرف على وجه الدقة اى صلة
وضع قانوني تدعى تحت طائلة مثل هذه العلاقات الاجتماعية * ويبدو انها كانت تسمى
كثير من الاحوال تتخذ طابع التعاقد الجرم وكانت تبنى الحالات احياناً في الحصول على
تأجيل عن هذه العقود معى سائر العلاقات بين صاحب العمل والاجر * وتسمى وسائل
الاعمال للضبط حتى يتماز اصحاب المهن هذه * ولكن العقود بين الحكومة واولئك
الذين كانوا يعملون في خدمتها كانت تسمى نوعاً اذ انها كانت في العادة تحتوي على
بند هام خاص بحق التنفيذ في حالة المخازن من الوفاء بسداد المطلوب من الدين فيذكر
ان التنفيذ يجب ان يتم على نحو ما هو متبع من سداد الحقوق والمطلوبات الملزمة
(he praxis esto nos prosta basilika or kathaperok dikes)
ولدينا الكثير من النماذج البردية الدالة على ان هذه الصلة كانت مستعملة كثيراً وتضمن
حق الحكومة في تحميل المستحق بالتج بالتحديد على شخص المدين من الوفاء بالمطلوب
ومعنى هذا مصادرة كن املاكه للوفاء بالدين او اللقاة اللغز عليه وعلى ضاميه والتي بهم كن
غيايب السجنون فيصبحون رقيقاً * وسأبقى الحرية حتى توفي الديون *

وهذاك فريق آخر من المواطنين المصريين * جعل اعتمادهم على الحكومة او على الملك
وكان هذا الفريق يشقى وينصب تحت عبء من المسئوليات الجسيمة وهو لا كان سوء ظالمهم
هو الذي وج بهم في خدمة الحكومة الظلمية * وكان هؤلاء يساقون في المناطق النائية
يؤدون فيها اعمالهم * وترقبهم عيون الحكومة الساهرة فلا تأخذها سنة من النعم ولا تفصل
ابداً من مراقبة اعمالهم وبث العيون والمخبرين من الرقابة (sykophantae)
ليرصد حركات الناس والابلاغ عن المتهمين من الضرائب او من العمل من اجل الحكومة وعلى
الاخص في ميدان الزراعة واستصلاح الاراضي * كانت ان مسئولية هؤلاء بمصالحهم الشخصية

والمهادية جسيمة وعلمهم كلن كريها بفيضا ، يبيح احبانا على الملل والفتور ، فلا عجب اذا ، انهم كانوا يحاولون بشدة ان يغرّوا من أداء هذا الواجب . وهناك مسئولية اكبر من احتمال الحصول على كسب او نفع مادي في هذا المجال ، فلدينا بعض الوظائف في السلك الاداري ، تنجى في اسفل الدرج ، وهذه كانت مهابة للمصريين يتولونها ، ومن هذه وظيفة رئيس القرية او شيخاتها وعموديتها واصحاب هذه الوظائف كان يطلق عليهم komarchae () وهناك كتبة القرى وهم اشبه بالصيارف حاليا وهو لاء كانوا komogrammateis وهذا باعتبار ان القرية كانت تسمى عند اليونان Kome وهي اصغر وحدة في النظام الاداري وكان شاغلوا هذه الوظائف القروية يتمتعون بالتبعية بمركز مرموق في دائرة نفوذهم ولكن علمهم كان مضلها ومحددا وهناك احتمال بسيط للحصول على نوع من الكسب من وراء هذه الوظائف القروية ولكنة يفضل عن الفطن ان تولي هذه الوظائف كان يمثل عبئا باهظا او غرما مؤكدا وليس فيه شرف او مضى وقسم تدبر هذه الوظائف على اصحابها الواقع في "خطا" ومسئوليات تفوق ما قد يجلبه من نفع او كسب وما يتمتع به شاغلوها من نفوذ وجاه عريض ونفع جزيل .

وليس هناك بالتابع اي اساس للقول بان الطبقات الحاكمة في مصر البطلمية كانت اشبه ما تكون بالحبية او الاقنان ، ذلك ان افراد الشعب المصري من كانوا يكونون بالاسم الاتي :

(laos) لم تكن ايديهم مفلولة الى اعناقهم تماما وانما كانوا يتمتعون بتسطر وافر من الحرية الاجتماعية والاقتصادية بوجه علم ولهم حرية التنقل بصفة خاصة . اما علاقاتهم المدنية بالحكومة فيما يخص مجالات النشاط الاقتصادي فكانت ذات طابع تعاقدى والحكومة الاجبارية التي كانت تكلفهم الحكومة بأدائها كانت تكافئهم او تجزيهم عليها ولو ان هذا الجزاء كان تافها ويصل في احيان كثيرة الى قدر ضئيل . ومع كل هذا وذاك فانهم لم يكونوا احرارا بكل معاني الكلمة فارتباطهم مع الحكومة كان رباطا وثيقا ولا سبيل لهم الى الفكك منه او التخلص من هذه الاغلال التي فرضتها عليهم الحكومة فأصبحت امرا واقصا ، لا مجال فيه لاي صورة . فضلا عن ذلك فانهم كانوا يعتمدون في الحصول على رزقهم وكسب عيشهم على الحكومة . وهناك رهط كبير من الموظفين المالكين وجباة الضرائب على مختلف انواعهم ،

وحسنهم فصائل من الجند والخفر والحرس والكتبة والدفاترين وغيرهم في كل مكان من شتى
 وفتشون ويثبتون شئهم لا يتوعدون عن التدخل في الشؤون الخاصة بالملك والملك
 في شئون أولئك الذين كانوا يعملون من أجل الحكومة في العدل أو في التصديق من ملك على
 أساس أن كل عمل يقوم به هؤلاء الصالحين والفاعلين قد يورثهم أو يورثها أو يورثها أو يورثها
 في إرادات الملك البطلمي ، وهذه الإرادات تأتي في المقام الأول ولها غلبة على غيرها
 في نظر رجال الحكومة فهي النهاية القصوى التي يجب أن تصير إليها جميع الناس في
 مصر البطلمية والتي يجب أن تتضافر جميع الجهود لتحقيق أكبر إرادة ولم يكن على أثر وجه *
 هؤلاء الصالحين والفاعلين كانوا يعملون على اليقين أن غاية الحكومة بشئونها سببها راجع
 بصفة خاصة إلى حررها على سلامة إراداتها وإن هذا كله يتوقف على عملهم * وعلى ذلك
 كانوا إذا ما رفعوا مرائض وماتهم إلى ذلك ~~من~~ هذه الملتزمات في مصر البطلمية
 ففي كتاب فرنسي نشره عالم فرنسي يسمى "أكتاف جيرهو" (Octave Guérin)
 العديد من هذه الملتزمات والكتاب يسمى Antiquaire أي الشكاوى (بشر في
 مصر عام ١٩٣١ من عهد كني من ~~الملك البطلمي~~ الثالث بطلميوس الرابع - كان الناس دائما في هذه
 الملتزمات ينحدرون من طرف في أو بصراحة إلى شجرة رفق الظلم عنهم حتى يستطيعوا أن
 يورثوا الملك الخدوات المطلوبة ولا تضار إرادات الملك فهم عندما يشكون لا يتوسلون في سلطان
 بالترجم إلى ساحة الملك والمجد إلى علفه وحبه في احتقاق الحق ونشر العدل بين الناس
 بقدر ما يستطيعون ~~الملك البطلمي~~ بل ينادون أن المعاملة التي تلحق بهم سوءا قد يحول دون قيامهم
 بأعمالهم مما قد يترتب عنه خسارة مؤكدة في إرادات الملك * فاعجب إذا أن كان الشعب
 المصري في مثل هذه الظروف القاسية لا يظهر سوى القدر الضئيل من الحماس والغيرة ولا يبدى
 شيئا كثيرا من النشاط والقدرة على الابتكار في عمله الذي كان يضيئ به ذرعا معتبرا قريبا
 ولا عليه مما سبب عدم الاكتراث أحيانا وعدم المهارة *

ولينا بحرف على سبيل التبيين عدد المواطنين من المصريين الذين لم يخدموا في خدمة
 عمل من أعمال الملك ويتوا بهيأت من أولئك الذين ارتبطوا مع الحكومة بحيث لا بالتزام معين أو

حتى بالتزام ضمير ، فالذي نعرفه ان الاقليل يشرت الاغنياء المصريين كانوا يعملون
 في خدمة الملك ولما اجد ، ولا بأس ان كان الكهنة وفر من الموظفين التابعين للتاجير للملك
 وبعضهم من ذوي المراتب العالية ولهم حظوة لدى الملك ثم مالك الاراضي الخاصة وهم
 بالطبع قلة في مصر البطلمية - كل هؤلاء كانوا بصورة ما خان بطان تلك الاغنياء المباشرة
 كان يرسف فيها سائر افراد الشعب ، وذلك اسوة بما كان عليه ذوو المهن الحرة - اذا
 صح ان وجد مثل هؤلاء في مصر ونحن نرتاب كثيرا فيما يقال من انه كان يوجد لمصر في
 العصر البطلمي عدد كبير من المصريين ممن استجلبهم القرض المحرق كيما يكسروا قوتهم
 (بصرف جيباتهم) بوصفهم الاجراء الاحرار دون ان يكون لديهم حرفة اخرى في نفس الوقت
 اما النساء والاطفال فهم بالطبع خان هذا الطاق وليس هناك من سبيح لان تجبري الحكومة
 معهم ان تصاقد بصفة مباشرة .

المبيد - هؤلاء يطلق عليهم الكلمة اليونانية (*doulos*) ويطلقون شقا كبيرا -
 وقد افرد عالم امريكي فيليو عو وليام لين وسترمان (W.L. Westerman) الاستاذ
 الراحل بجامعة كولومبيا بنيويورك - عن المبيد والرق بصفة عامة دراسة مستفيضة في كتاب
 صدر عام ١٩٥٦ عنوانه (*Slave System*) تناول فيه مركز المبيد في مصر البطلمية
 وتجارة المبيد واصنافهم القانونية ، وجب ان نحترف بادى ذي بدء ان النقص والقصور
 يعتبر معرفتنا بدور الرق في معترك الحياة الاقتصادية والاجتماعية في مصر ، علينا ان نميز
 بين نوعين من الرق هما الرقيق المصري والرقيق اليوناني او الاغريقي فالاول كان تقيصة
 نوع او شكل من اشكال الاستعباد والاسترقاق ولنا بصرف سوى النذر القليل عن اصل هذا
 النوع ، اما النوع الثاني فكان مجلوا الى مصر ، اصطاحبه اليونان معهم عندما وفدوا الى
 البلاد واعتمدوا عليه كثيرا في حياتهم ، على اقتنائهم بالشراء وسجلوا اوصاف هؤلاء المبيد
 في وثائقهم وتابعوهم وتربصوا للرقيق او المبيد وما اثير جواديت فرار المبيد
 في مصر البطلمية واصدا هذا كله نسميها من جانب
 في الحقيقة ان المبيد هو المبيد

بأنه كان المصريون للزراعة والعهد كما نعرفه من تلك الوثائق هو ذلك الذي نعرفه في
 المصطلح المصرية ولكن يسمى بالعبودية (heiro-douloi) ونظامهم يطلق
 عليهم (heirodoulia) وهم فئة لها مكانتها * تمثل رقبته المجاهد الذين التزموا
 بالمجاهد وأصبحوا ملتزمين بالبقاء هناك بمراتب مقدسة * وكان هذا النظام قوام المصالحات
 اليهودي في شتى المصالح وفي علي كاهنهم مع الجبل اليهودي واليهودي * وما لا يربط فيه
 أن رقبته المجاهد حالوا دون وجود المصالح الجبلية وفي تسبب النوع الآخر من الرقبته
 اليوناني إلى نظام المجاهد أو الضمان في كيانها * ويبدو من المحقق أنه لا مجال للرق
 في حياة اليهودية من الشعب المصري وأنه لا يمكن أن يفر للرق على أي صورة من
 صور * أي قائمة أو يكون له شأن هام في معتبر المصالح المصرية المادية لسبب واحد وهو
 يخص المصالح اليهودي في مصر في الفصول القديمة ثم أن الفلاح المالك أو الضامن في أحسن
 المصالح الخاصة بنوع من أنواع الاختيارات من ورق أو ملح أو زيت أو عصير ليمون أو حبة أو زيت
 أو قصبين أو صيد أو بحالة الخ من قائمة الاختيارات المباشرة * التي كانت تشتهر بها مصر
 البطلمية وتحت اسمها يسلح متين من الضمانات وتستخدم في عملها الموسمي أو الدائم جموعا
 هائلة من الضمان وتراقبهم مراقبة شديدة حتى لا يهربوا لحسابهم أو يتهربوا * ثلثون أن
 هذا الفلاح أو الضامن المصري لم يكن على قدر من الضمان والثبات بحيث يمكنه أن يفتش بعيدا
 يشتريهم من أسواق الدخاسة بمصر أو من الخارج سواء أكان هو * لا بعيدا من المصريين أو
 الأعراب * ثم عرفت الشيخ طوبيا فيما وراء شرقى الأردن وكان هذا الشيخ المصري بالخبر
 بهرو * لا العبد فيقدم منهم هدايا إلى الملك البطلمي * بطلميوس فيلادلفوس ثم إلى وزير
 مالهقه المشهور " أبولونيوس (Apollonios) وكان الأخير يشغل وظيفة مرموقة
 هي وزير المالية (diogetes) طوال خمسة عشر عاما هي الفترة الأخيرة من
 حكم بطلميوس فيلادلفوس الذي امتد إلى سنة وثلاثين عاما حتى ٢٤٦ ق م * (ثلثون في
 أن هذا الفلاح
 يتأخر من عام ٢٤٦ ق م *) كان بطلميوس رقبته الحان * بصورة دائمة اليان * ولا يكون من الذين
 إذا قلنا أنه كان يحمي من اليد للقيم * فهو قاني بكمية ثمن * وإذا كان الطائفة
 المميز له هو الرضا والقبلة ولا يشغل أن درجة الفقر والعوز التي كان عليها يمكنه من شراء أو اقتناء

عبيد حوله. غير انه لو نفسه كان يسمى الى العمل نظير احرار هيد ليس اولئك الراغبين في
الانتفاع بخدماته والمحتاجين الى جهده الجسماني - كن هذا اجدهم تطور نظام الرعي بشقه
على اى نطاق واسع لهم مستحيلا في مصر البطلمية. اما العناصر الثرية في مصر ذات الجاه
والنفوذ فهي القادرة على شراء العبيد واقتنائهم سواء اكان هؤلاء من كبار الموظفين او من
الاعيان. يستوى في هذا اليونان والعناصر المتأخرة والعناصر المصرية التي سارت الحكم
وكايت على معرفة بلغتهم واساليبهم وهوؤلاء عرفوا بانهم كانوا يصفون او يجهدون لغتهم
الديموطيقية او المصرية القديمة واليونانية فهم bilingual ومن هؤلاء الكاهن
مانيثون السنودي وبيثوزيس (Pehosiris) من الاشمونيين او ديموبوليس
ماجنا (ملوى) بالصعيد (تونه الجبل حيث كانت في وقت ما لجامعة القاهرة) كليسة
الآداب) حفائر اثرية هناك وهي منطقة ذات اهمية بالغة بالنسبة لهذه الدراسة لانها
كانت ملتقى الحضارة اليونانية او البطلمية مع الحضارة المصرية وموطن عبادة الاله ثوت
(Thoth) الذي كان يرمز له بالقرص في الاشمونيين وبطائر الابهس (Ibis) في
تونه الجبل غربي النيل وله مدافن هناك عبارة عن سراديب تمتد لآلاف الكيلومترات تمثل كن
واحدة منها Ibeum وتحكي لنا قصة هذه العبادة وعلى جدران السراديب
كتابات ولفوف باللغة المصرية المتأخرة وعلى توابيت هذا الاله وكنائسها بالخط الديموطيقى
تمد بالآلاف. وهكذا كان اقتناء العبيد مقصورا على طوائف معينة، هي تلك التي كانت
قادرة على جلبه من الخارج او شرائه من الداخل. فسادة البلاد الجدد وحكامها وكبار
الموظفين في تلك البيروقراطية والحكومة المركزية من الملك ورجال بلاطه والبيوتات الكبيرة
وكبار رجال الدولة والضياع ورجال الجيش والجنود - كن هؤلاء كانوا يفاخرون بالاستحواذ
على اشداد هائلة من العبيد وغالبا ما كانت قبورهم يسطر على جدرانها وشواهد قبورهم
موتاهم ويصحبهم رهنط من العبيد. ثم ان اعيان العائلات المتوسطة سواء من الاشراف او من
المصريين والاعيان المتأخرين وهوؤلاء الاخيرين كانت اعدادهم في تزايد مستمر - كن هؤلاء
كانوا وهم الممثلين للبيروقراطية القديمة - قد تصودوا على استخدام العبيد، بل ان الكثيرين

منهم أصبحوا لا يقومون على الحياة بدون العبيد من هؤلاء اما كلابات على الفيتارة او محظيات
او فلتئات او مرضعات والذكور منهم كانوا يؤدون مات عامه • كمهند مارين او كانوا ميجسسين
من جو • سيدهم للسر والترفيه على سبه ()
البلاد اليهوديه وقد وجدت في مصر سوق رائجه لهؤلاء العبيد ازدهرت اثناء الحروب الخارجيه
المستمرة التي شنها بطليموس الاول في سوريا وفلسطين وفرضه وسهل البقاع ()
اي لبنان في اسيت الصغرى وفي برقه وجزير الارجنتين وتابع ابنه بطليموس فيلادلفوس الشوط
في مضمار الحروب وكان يشنها بواسطه قواده وضباطه وبين نفسه اما الملك البطلمي الثالث
وهو بطليموس يوحنايس الاول فكان يطلا مخوارا سابع في سبئه الاولى من توليته الى الشام وما وراء
الفرات محاولا استماده الاملاك التي كانت قد بدأت تنقل من مصر — ومن نتائج فترة الحروب
هذه ان راحت سوق العبيد في مصر بفضل تواجد الاعداء المهاله من الاسرى ومن هؤلاء
اي العبيد المجلوبون من سوريا وقد تحدثت عنهم الفائق والاوامر
الملكيه التي اصدرها الملك بطليموس فيلادلفوس بشأن اطلاق سراح بعض هؤلاء الاسرى فبين
قبيل التسامح • فلما تواجد في مصر سوق هائله للرق مزوده بجميع العناصر لهذه السلعه
البشريه الخبيثه نجت فكره افتتان العبيد لدى الكثيرين • اما من باب الماهله المفاخره
وليس من باب الحاءه الماسه فالفعل كلما قلنا رخيص في مصر ولا يدعو بحال من الاحوال لاستخدام
العبيد • على العبيد • على ان هذه العناصر الثريه وذات الحاءه والنفوذ عرفت كيف تستخدم
رفيقا من بين بعض المصريين بسبب الديون والعجز عن الوفاء بها وهذا في حد ذاته
ككل يتضح اعداد العبيد تنفيذا لشروط الدين واهمها حق التنفيذ على اشخاص المدنيين
الحاجزين عن السداد وعلى الضامنين لهم وهكذا كانت الروابط تتفكك بين الناصر فلا يستطيع
الانسان ان يحد نفسه قد تحول لغير يوم وليله الى عبيد مستخدم ومسخر على الاخص في مشاغل
الاعمال المنزليه • ومصر البطلميه حاولت بالتاكيد ادخال نظام العمل بواسطه الرقيق فسي
الاعمال الصناعيه والتجاريه وتبالت المحاولات الجاهله في هذا السبيل وبخاصه فسي
الاسكندريه ولكنها لم تهم ولايات الفشل للاسباب التي ذكرناها اياها واهمها رخصه الاسرى

الحاملة بدرجة ملحوظة وما كان يهبطوي عليه الرق من مبادئ ليس فيها انسانية ولاكرامة
وليس هناك ما يحد من الظن بأنه في مثل تلك المنشآت والاعمال الواسعة التي كانت
تجري في ضخمة كبرى هي هبة مساحتها عشرة آلاف من الأبروات وتساوي ستة آلاف مسكن
الافدنة المصرية في نطاق بلدة مشهورة هي قرية فيلادلفيا الواقعة بشرقي اقليم القيسم
والاقليم الارسينوي كما اسماه فيلادلفوس بعد موت اخته وزوجته ارستينوي الثانية وكسان
الملك البطلمي قد وجهها الى كبير ~~الاوليوس~~ ~~الاوليوس~~ قابلة للاسترداد واستردت بالفطر
بعد موت ~~اوليوس~~ ~~اوليوس~~ في صدر حكم بطليموس يورانيوس الاول مباشرة في هذه
الضخمة كان استخدام الرق في العمل يجرى على قدم وساق ويمثل ظاهرة فريدة في جنبها
الى جنب الاعمال الاخرى التي كان يستخدم فيها الاحرار وعلى اي حال لا ينبغي ان
نحالي في تقدير اعداد العبيد المستخدمين في منازل وبيوتات اعيان البلاد وحكامها
وكبار موظفيها ، ذلك ان الملوك البطالمة لم يكونوا من المشجعين على زيادة اعداد العبيد
وانما فرغوا الضرائب والقيود الكثيرة على بيعها وتداولها وواجبوا تسجيلا لها وحاولوا جدهم
استطاعتهم منع انتشار هذا الداء اليهين والحيلولة دون استرقاق العناصر الوطنية وتحديد
اعداد العبيد الملويين من الداخل ، والمصدرين من مصر الى خارج البلاد وفرضوا
الضرائب والمكوس الصالحة على التجارة الخارجية في هذه السلعة البشرية ، والاصلة
الرأى ان الرق كعامل اقتصادي كان اقل اهمية في مصر البطلمية منه في اي جزء من الممالك
الهيلينية (اي الممالك اليوناني عقب مقدم الاسكندر وهو الاسم الذي اطلق على هذه
الحضارة الهلينية تميزا لها عن الحضارة الهيلينية الاصلية - حضارة القرنين الخامس
والرابع قبل الميلاد) حضارة سقراط والشعراء يونانيي وارسطو ~~والفلاسفة~~ والمفكرين
والكتاب مثل ~~هيرودوت~~ ~~هيرودوت~~ ديثوسبيديوس وبركليوس ، اما حضارة ما بعد الاسكندر فكانت شبيهة
من تلك ولا بد اني العبارة الاولى في اصالتها لا صلبها بصيغة شرقية ارادها الاسكندر
ان تكون خلية وان يمتد الشرق بالغرب وان يزدى اوروبا من آسيا وأفريقيا ونجح الى حد ما
في افكاره التقدمية هذه .

الكهنه في مصر البطلميه () والكهنه ()

الف الكهنه في مصر طبقه متميزه وكانوا بالطبوع من العناصر الوطنيه وكانت معاهد هم بمثابة معاقل للوطنيه المتأججه ضد الحكم الاجنبي ولكنهم ساءلوا الملوك البطالمه الى حين وتيساروا في اصدار القرارات التي تشيد بعض ملوك البطالمه وما استحوه على المعاهد من انعامات وحقوق للاهوا^٤ والا سجاره لبعض الطوائف من حقوق وامتيازات ومن عفو عام عن المتأخرين من الديون واخراج للمساكين التي ولدنا من هذا القبيل نقوش مسطره على الجداره منه^٥ حجر كاتوبوس بطليموس الثالث (٢٣٧ ق م) () وحجر رشيد لم بطليموس الخامس (١٩٦ ق م) وكان رجال الدين يحظون بمنزله خاصه ويتمتعون ببعض الامتيازات الهامه مثل الاعفاء من العمل بالاكراه ولكن في واقع الامر لم يكن الموظفون الاداريون في مصر البطلميه يبرعون لهم هذه الامتيازات بالاستمرار وانما كانوا يتجاهلون^٦ عيسى انه من المؤكد ان الكهنه كان مسموحا لهم ان يتمتعوا بقسط وافر من الحكم الذاتي في داخل معاهدهم فكانوا يباشرون طقوسهم ومراسمهم الدينيه دون اي تدخل من جانب الحكوميه^٧ وفوق هذا وذلك فانهم كانوا يحصلون على ايراد من الزراعه يوصفهم ملاكا لمساحات ضخمة من اراضي المعاهد المرصوده على هذه المعاهد للصرف على الاغراض الدينيه () وكانوا كذلك يستفيدون من الناحيه الماديه من وراء الاشراف على الصلوات التي كانوا يزاولونها في المعاهد مثل اعمال لسبح الكتان الرقيق المعروف باسم () وعصر الزيت لفترات موعده من كل عام وعصر النبيذ للاستهلاك الخاص بهذه المعاهد وليس^٨ للمتاجر به حال من الاحوال والا اعتبروا مخالفين ومنافسين للحكومه البطلميه التي لا تطيق احتمال وجود اي منافس لها في مضمار التجاره والصناعه الداخليه في هذه السلع الحيويه^٩ وكان مسموحا لهم بالمتاجره في بعض السلع الاخرى والحرف التي تفلقت عنها عين الحكوميه كاعمال التجهيط وبيع سلع لها ارتباط باعمالهم الدينيه^{١٠} ولكن جزءا كبيرا من موارد رجال الدين بل لعل هو الجزء الاكبر من هذه الموارد كان يذهب الى خزانه الملك او الى بيت المال ويطلق عليه كما قلنا من قبل ()

وهنا نجد ربنا ان نحاود الكرة الى التلويح بوجود طائفة مهمة في داخل المعابد المصرية
لها كيانها الاقتصادي والاجتماعي ولاغنى عنها تلك هي رقيق المعابد (Heirodoulai)
وقد يكون من الشائقي ان نعرف شيئا عن هذا النوع من الرقيق المرتبطين بالمعابد والذي لم يكن
ينتمي بالطبع لاي مرتبة من مراتب رجال الدين ، فلاحقهم كهان Reireus, Reireis
ولاحقهم كهان عرافون propheteis ولاهم حملة الاربعة المقدسة Stolistae ولاهم
سدنة المعابد (neokoroi) وانما كانوا يحملون من اجل المعابد في فلاحسة
الارض المقدسة (ge heira) او يحملون كصناع في المصانع الصغيرة الملحقة بالمعابد
ومنهم من اشتمل برعى الاغنام والماشية او المحافظة على الازم المقدسة (ohephoboskoi)
وهناك فريق ثالث (من الذكور والاناث) كان يقوم بالاعمال اليدوية على مختلف انواعها ،
ما كان يتصل بادارة المباني الخاصة بتلك المعابد والسقاية واعداد الوقود وشتى الواجبات
الدنيا في هذا المحيط الديني ، ولو اطلقنا على هؤلاء اسم الرقيق كما يفهمه الاغريق من
مذلول كلمة رقيق (doulois) لكان في هذا الشيء الكثير من غلط الرأي ، ولعل حقيقة
مركز هؤلاء الصبيد المقدسين تتكشف لنا شيئا فشيئا بعد نشر الوثائق الديموطيقية التي تهمي
دراستها بحناية فائقة وتنشرها ويكفيها الان هذا القدر ولا داعي للخوض في اسئلة قد نحار
في الاجابة عليها .

المناصر الاجنبية في خدمة مصر البطلمية

يطلق على هؤلاء الاجانب كلمة (XENOI) باليونانية وكان هيرودوت اول من اطلق
على المصريين انهم يخشون الاجانب بصفة عامة ويخفون منهم وصار وصفه للمصريين على انهم
(xenophoboi) لاصقا بالشعب المصري على مدى الزمان ، وكان المصريون فيما عدا
موظفي الحكومة وقلة من ملاك الاراض والكهنة وبعض ذوى الحرف والمهن ، لا يجدون سوى
الرجال الضيق يكسبون من ورائه ثروات طائلة اما عن طريق الادخار او بفعل نشاطهم
وقد رتبهم على العمل وهم في هذا السجال كانوا يختلفون اختلافا كبيرا عن مركز الطبقات
المتأخرة من الانبياء والوافدين الي مصر وهم الذين تفتحت امامهم الابواب واصبحوا باستقرارهم

وسكانهم في أرض مصر وهي رعية (subjecti) لمليك البطالمة على الرغم مما كان لبعضهم من التمتع بحقوق مدنية وهي المواطنة (politia) وهي الحضارة التي كان يحتل بها نفر من سكان الاسكندرية وسكان مدينة قنطرة ثم سكان مدينة بطليمية (Ptolemais) او المتناة في محافظة سوهاج ، بأقصى الصعيد ، ولا ريب ان مركز هؤلاء الاجانب المستقرين في مصر كان اسعد بكثير من هؤلاء الاجانب ، ونجم عن هذه التفرقة في المعاملة حساسية شديدة واحتكاكات مستمرة .

وليس هذا من ان مناقشة المركز السياسي والقانوني لاولئك الاجانب في النصف الاول من القرن الثالث وهو صدر عصر البطالمة فالنموذج شائع وطويل ، يستلبي بعض مصادره من لوائح وإشارات ترد في الاوامر والتشريعات الملكية او في ثنائيات الخطابات والخطاطم التي كانت تصدر عن كل فرقة ازاء الآخر بسبب سوء المعاملة وزبح الاثرة . وقد وضعت النوارق في شتى المجالات واقتربت الاحتمالات كتفسير لهذه الظواهر بهدف الوصول الى رأى قاطن ، والتي لها ذلك والموضوع بعيد ومتشعب ، وما لا ريب فيه ان الانسان يستطيع التحدث بأفاعة عن احوال اولئك الاجانب من يونان خالص او عناصر اسبكية مضطربة بصفة وبائية من انحاء كثيرة في آسيا الصغرى من كبادونيا وكيليكيا وكاريا بيفس وبونيا وغيرها ، وكانت الالف المولفة من هؤلاء جميعا يمتلئ بالمرحمة والشفقة على انسابها التي مصر ورحبت بهم اليها لانها كانت في حاجة ماسة الى خدمتهم وجهودهم المستمرة والفنية وخدمتهم يعلمهم فسي شتى المجالات من زراعة الجاحصين التقليدية واستنبات نباتات كثيرة وجلب اخرى مثل الكروم والسجس والهند والبلقان وانواع شتى من القمح والتبالي والقمح الذي كان ينضج في ثلاث اشهر وعرف في عهد فيلادلفوس باسمه الدان عليه (Trismenos sitos) في الفاكهة على مختلف انواعها ولهم فيها باع طويل فاشجار الزيتون والقمح والكرم كانت محبة اليهم ، اصبح من هؤلاء ينقسمون الى شتى وسبلات هؤلاء في مجموعهم فريلا منفصلا ومتميزا عن باقي السكان وشاغلهم قسوسية او طلالا خارجيا في مبنى مكمم بهذا الغشاء وقد نأى افرادهم بجانبهم عن باقي المصريين كلما امكن ولم يك . وتبين ذلك في المفسر اكثر منه في التفسير

أو الخورا (Chora) حيث كان الاختلاط اشد والنز في الحقوق والاجران والشون حيث كان يجرى التصرف في المحاصيل بعد تقديرها واحتساب الضرائب المقررة عليها ورك الفائض (epigenema = bonus) منها للمصريين وقد حرص الاجانب على اقامة الحواجز والفواصل بينهم وبين المصريين كلما امكن ذلك خشية ان تطفئ عليهم الجموع الضخمة أو الثيرة من المصريين فيذوبون فيها كما تذوب حبات الملح او نقطة المسيل في بحر خضم العسل . وقد قسموا انفسهم الى سلالات وشيخ حسب الجهة التي وفدوا منها وكان الاساس فيها يقوم على قاعدة اثنولوجية اسمها السلالة وتسمى الواحدة يولتيوما (Politeuma) لها حقوق وضمانات سياسية واجتماعية ونظم مرعية . وكان انتقال فرد من جموع المصريين الى صفوف اولئك الاجانب او بالعكس او من شيعة من الاجانب الى سلالة اخرى امرا محرما تماما . على ان الاجانب الذين استقروا في بلادهم لم يلقوا معاملة دائمة كانوا ، مثلهم مثل المصريين ، عرضة لدفع الضرائب ولا سبيل لاعفائهم من قيود الاحتكارات كما نال عليهم واجب الوفاء بنصيبهم في تلك الاعباء المالية الجسيمة المفروضة على الشعب وكان ينظر منهم بالطبع اذ " جميع ما يفرض عليهم من اعباء من قبل الحكومة .

والاجانب كانوا على اي حال في نظم معيشتهم ومركزهم سواء الواقعي (de facto) او القانوني (de iure) - يحظون ببعض الخصائص والمميزات التي فرقت بينهم وبين المصريين ويحق لنا ان نسمى هذه الخصائص امتيازات . وكانت اكبر الجماعات واكثرها تنظيما هي الجيش البطلمي وحامياته فكان رجاله وضباطه (stratiotae) يعيشون حياتهم الخاصة ويتمتعون بكثير من الامتيازات وتسود بين صفوفهم تقاليد قديمة متوارثة وتطبق عليهم لوائح وضعها الملك لضباطه ورجال جيشه ثم يلي الجيش في الاهمية تلك الجماعات الكبيرة من المستوطنين الاجانب من عصر ما قبل البطلمية وجلهم من المهاجرين الذين كانوا يكوّنون الهيئات المدنية في المدن الاغريقية القديمة واولاها واقدمها قراطيس (في مركز ايتاي البارود في محافظة البحيرة)

ومجلسها الآخر نقراش وكمر حبيب ونبيزة وكانت منذ أيام الفرس من اسكانها في الاسكندرية
 السادسة والعشرين مؤسسة يونانية خالصة جاء سكانها من اهل بلانيس، آسيا الصغرى
 وعناصر يونانية اخذت تسود فيها المقومات اليونانية واليهودية التي تتميز بها المدن اليونانية
 الخالصة وامن هناك مدينة اخرى هي پارايتونيوم (Paraetonium) ومجلسها
 الآن مرسى مطروح خرفها العرب الى البرتون ثم الى مارق مرسى ثم استقر التحريف اخيرا الى
 مرسى مطروح وكما جاء الاسكندر اسس بنفسه مدينة الاسكندرية واختار موقعها الحالي وكان
 موافقا في اختياره وارانها ان تكون مركز اشباع حضارى وقد اتم بطليموس الاول وابنه بطليموس
 الثاني بناء هذا وقلت اليها الخاصة من مفسرينهم ان اكمل البناء واسس بطليموس الاول
 مدينة اخرى كانت آخر التوسعات الحضرية من هذا النصف وذلك هي بطلمية (Ptolemais)
 وكان مجلسها قديما قرية مصرية تسمى " ايسوى " (Aisoi) ومرفأها الآن باسم الباشا
 في محافظة بورسعيد . فسمي بها كذلك ان تكون مركز اشباع حضارى في الصعيد ولم يشهد
 البطالمة القوس في هذا الجدار واتصروا على هذا الوجه المتواضيع ولم يجاروا السلوقيين
 في الشام وهم خلفاء الاسكندر فلم يرفع عنهم القوس في انشاء المدن في الشام امسا
 البطالمة فاشعروا ان تقاطع ارضان البلاد يخاسم المدن ذات الكوان الذاتى . ومن لا يرب
 فيه ان هذه المدن كانت تقاطع تحت سط مظور من الحاكم الذاتى ولم يكن نظامها الداخلى
 من حيث توازن مجلس الشيوخ او المجلس (boule) ومجلس الاحرار او الكليسا (klesia)
 والاقسام الى قبائل وديارات (phylee domes) ووجود مجلسين متساويين
 Pnythaneis واصدار قرارات (pnythaneion) من مجلس
 الاحرار يبلغ للسلطات البطلمية الخ . لم يكن الجو السياسى في هذه المدن مختلفا
 كثيرا عما كان عليه الحال في المدن الحرة الاغريقية مثل اثينا (khoris) (khoris)
 واثينا (polis) واثينا (polis)

وظهر ان الحكومة البطلمية لم تكن تعترف لمعظم الاقويق الذين انشروا في ريف البلاد او
 المعروفين بالخيما (Opora) ولما كان بين ظميراني المصريين واختلطوا بهم في الحقول

ومواطني الممالك المختلفة ، بأي نصيب ولو بقسط محقق من الحكم الذاتي - فهذا الامر كان بمقدور النبال ، وانما كانت لهم نظمهم وهيئاتهم التعليمية في المعاهد والنوادي الثقافية المعروفة بالـ *gymnasia* () و *gymnaseum* () والمتخصصة بمحش الميزات مثل حق تملك الارض والاستيلاء على ايرادها * وكانت هذه المدن تحصر على تكوين هذه النوادي وغيرها من مختلف الجمعيات والمؤسسات (*synodoi*) ذات المصالح الدينية والقومية او الاجتماعية * وان اكثر هذه الهيئات اهمية واعرقها من الناحية السياسية هي تلك الجماعات القومية او الجاليات (*politeumata*) واغليها كان وثيق الصلة بالبيش وولربما كانت كل جماعة منها تتمتع بمنحة او حق من الحقوق المدنية او مميزة من الميزات لانعرف كتبها * ونسوف على سبيل المثال جالية الليكيون *lycians* او جالية الكيريون (*Carians*) وبيدوان اليهود الساكنين في الاسكندرية كان لهم حق المواطنة في بيصهم على النحو الذي شرف لهم سيدنا موسى وليس للدولة حق الاعتراض على مباشرتهم طقوسهم الدينية ولربما كان لهم كذلك حق التشريع والقضاء في شئونهم الخاصة وقد فصل لنا ذلك الفيلسوف السكندري اليهودي فيلون فيما كتبه عن القوانين الخاصة *de specialibus legibus* وكان يلى هذه الهيئات من حيث الاهمية طائفة من خريجي هذه المؤسسات الثقافية او الجيمناسيا وهي اشبه مايكون بخريجي الجامعات في العصر الحديث فكان هؤلاء يطلق عليهم بالخريجين (*Hoi apo tou gymnas-iou*) وهم فئة مثقفة يشار اليها بالبنان ، تقم على تبرعات اعضائها وتشرف على تطبيق النظم الاساسية الكفيلة ببقاء الحياة الاغريقية ومراعاة اصولها في مصر * وكانت هذه الجمعيات على اتصال وثيق ببيش البطالمة المرابط وكانت تنظم محاكم خاصة للتقاضي بين صفوف الاعباد من الاغريق ومحترف الملك البطلمي بشرعية القانون المدني الاغريقي ويوافق على تطبيقه على اليونان وقد حفلت لنا اوراق البردي مجموعة من تلك القوانين ، نشرت بها جامعة " هالسي (*Halle*) الالمانية عام ١٩١٣ تحت عنوان *Dikaionomata* اي الاحكام وعرفت ببيردية هالسي (*PapyrusHalensis*) فكشفت لنا عن القوانين الجنائية والمدنية والقسم القانوني ومحاكمة المزورين وشهود الزور وكيفية التقاضي بين هذه

الطوائف اليونانية المقيمة بالأسكندرية * ومن المحتمل أنها كانت تدرس المدن الاغريقية
الآخري مصدر وموليفة نفسها * وقد كان ذلك البرهنة القوية التي نوهنا عنها وهذه القوانين
تسمى بالاسم الذي على كثرتها ومجالاتها وهو (*hoi politikoí Nomoi*) ولو انه
لا بد لنا ان نقول في شيء من التأكيد ان الاستعانة بهذه القوانين والتشريعات الخاصة
بالمدين وتطبيق المحاكم اليونانية المعروفة باسم *Chnenatistae*)
واعتراف اليونان الملكيين الذين كانوا يقيمون في بعض الاحيان بدور القضاء الخاص *
كان لا يحصل الا في الاحوال والظروف التي لا يوجد فيها نص صريح عام في القانون العام
ولم يرد بشأنها امر ملكي سواء كان هذا الامر من قديم ما يسمى *protagmata, diatagmata, diagrammata*) وهناك اقسام
اهلي خاص بالمصريين عندنا تكون القوانين المعروفة بتطبيقية فعندئذ يذهب المشرعون
الى محكمة مصرية تسمى محكمة (*Isocritae*) او تسمى *Kritoi*
بالمصرية القديمة وهذه تتخذ في احكامها على القانون المدني المصري في حالة عدم
وجود اوامر ملكية او لوائح يمكن تطبيقها * والآن يحضر لظهور آخر وذي من جانب الحكومة
البلدية ازا * اركان الادب او الاخرى ازا * بعض المباحث غير الوطنية من رعاية الملك *
فهو لا * الادب وسبب لا تهم كانوا يحلون في اغلب المدن من اذ * اي عمل من الاعباء التي
كان يكلف بها غيرهم وقد دخل في نطاق اعباء السخرة (*leiturgia*) او تسمى
اشبه بالكون بها * كما كانت بعض الطبقات من بين هؤلاء * ولكن في ذلك من الانفراد *
متبعة بامتيازات واعفاءات خاصة فيها وتعالف بالشرائط * ان ذلك تسمية الملاح *halike*
halike التي تاتي بالوزير المالية على عهد فيلادلفوس لعله وهو مدير
الاشئون الاقتصادية وكان يسمى زولوس ان الملك امر باعفاء الملاحين والملاحين والحاكمين
لصين السفن في الميناءات والاعفاء التي تصدر في الاعفاء الملكية وهذه الامرة البطلمية
وهي الخمس سنوات من ضريبة الملاح هم وسبب لا تهم او الاخرى هم وانما تهم من الساكنين بمصر
(*phoroi*) (انظر بردية من التبرع الاخير ١٦٦ م ١٧٠) ولكن كن ههنا
الامتيازات والاعفاءات تقدم لنا الدليل على ان فيلادلفوس كان يتولى سياسة مالية

للإغريقية إذ حرص المعلمين للغة اليونانية والحائزين لقب السيف في الألعاب والمباريات
اليونانية بهذه المنحة وهي الاعلاء دون غيرهم من المصريين الذين يقومون بتعليمهم
الكتابة الديموطيقية للناس وقد أخذ الكتاب والمعلقون عليه هذا الانحياز ليبنى جلدته
ورموه بالتخيز السافر *

على أن كل هذه الامتيازات والمنح التي استنصها الملوك البطالمة الصالحون على
طوائف من الأجانب كانت مجرد منح قابلة للاسترداد في أي وقت ^{ومصر ضيقة} للنقض والابرام حسب هوى
الملك فلم تكن حقوقا مكتسبة ووراثية لها سندها من القانون ولا ينفذ تورثها ولو
أننا عثرنا على وثيقة بردية نشرها مؤخرًا عالم بربراني اسمه اسكيت Skeet تفيد
أن يونانها من العاهلين على نصيب من الارض قوامه مائة وعشرين من الارورات (الافدنة
اليونانية كتب وثيقة يورث فيها هذا القدر بعد موته لأخيه (الوثيقة رقم ٢٠١٥ من بردي
المتحف البربراني تاريخ الوثيقة ١٣ يولية ٢٤١ ق.م. *

وفي هذا الصدد يجب أن نذكر أن فريقا كبيرا من الأجانب الذين استوطنوا في
مصر كان يخدمون بشكل أو بآخر في خدمة الملك فبالجيش الذي كان يمثل العنصر الأجنبي
المجلوب والمرتبك أحسن تمثيل كان بمثابة جيش الملك ولا تربطه أية التزامات جوهريّة
بحدو البلاد بل أن الوطنية أو القومية كانت بعيدة عن البعد عن تفكير قادته ورجالهم
فهو ليس بجيش البلاد المصرية الذي يذود عن كونهما ويرد كيد الأعداء وإنما هو
جيش ملك من ملوك البطالمة المقدوني الأصل * يندرج عليه الملك ويحركه كيف شاء *

أما عن باقي الأجانب من أقيمت لهم صفة عسكرية فكانت الغالبية العظمى منهم من
المدنيين والكثرة الضئيلة التي وصلت إلينا معلومات عنهم كانوا ينتمون إلى حاشية الملك
وبالإضافة فهم أتباعه وزبائنه يضمون السران الملكية وتعين بينهم دهاليزها وأروقشها - هذا
هو شأن بيت الملك (oikos) الخاص به في الحي الملكي برأس لوخيلاس lochias
أو البراخيم brachium على شاطئ النهر بالامكتدرية (في حي الشاطبي
حاليا * في منطقة السلسلة) * ملوف من حوله روماء من الاتباع وكمن يلود بالأسرة

الملك المكية المقدونية وهو "لا" وهو صاحب كاترا بحرية خدم الملك المقدونيين " وكان لكن واحد
من هؤلاء يدور : اسمه ويتركه الخاضع (eikos) الذي يجمع عملاته " فكان
لايولونيوس (Apollonios) وزير مالية فيندلفوس = dioecetes ومن
أشارته رجاله وأعوامه القاصيون له من يجمعون به ويخضعون لا واره = Apolloniarhou
= (hoi para Apolloni, hoi peri Apollonion, hoi hypo Apollonion)
وكان لمديري أراضيه ونسبته الواقعة في مقدونيا وفي القرم وهو المسمى زنون (Zenon)
وهو سكرتير الخاضع ورفيقه في زيارته ورجلته في خارب القطار في فلسطين والأردن ثم من بعده
القيم والمستقر في فيلادلفيا (Philadelphia) بالشرق الهيراقليدي التركي
شرق في القرم بعد عزل بانكستور = كائن لهذا الرجل " الكاوس " (من أهل كاوندوس)
بكاريا بأسيا الصغرى وداره وحاضيته وظهر الكتاب وصفة السمات وقد ترك لنا أرشينا
من البردي حارها لم يبق منها شيء من سببه وزير المالية وفي أرقام عديدة من
يقدمون بالأسكنديرية وشقي البحار البلاد ويرتفع علم الوطن والمجتمعات العامة والخاصة
كل هذا مبوب ومحفوظ بتواريخه وبأسمائه وعظم ما به عوالي عام ١٩١٧ بتخريب الهيرا
(محل فيلادلفيا) بالقيم بواسطة الصباغ الذين كانوا يبحثون عن السيلج فوجدوا بين
الاباقس هذا الكنز الذي يحكي لنا أحوال مصر في هذه الحقبة والمجموع الهندولة في
الأصابع والنشاط المحرم الذي كان لحكومة الجليل في هذه الحقبة من أجل الشؤون المصرية
وأصابع أراضيهما والقوس الرأسى والألفى = فكانت منطقة فيلادلفيا والمقرى من حولها عبارة
عن مساحين وحقول زيتون وكريم وأحواض بها الخراف والبق والحمير والخمير والبراريين
تفج منها رائحة زكية ومقيم هذا السجل الذي يتألف من أكثر من ألف من القصاصات
البردية = مجتمعا باللغة اليونانية والقلم منها بالديموطيقية = وقد نشرت عشرات من
الكتب والآلاف من المقالات عن هذا التراث العلمي الذي يحكي لنا تاريخ مصر وصور أولها من
الوان الحضارة السائدة فيها أي منتصف القرن الثالث قبل الميلاد = على مدى أكثر من
خمسة وعشرين عاما من ١٩٠٦ في ٢٠ جمادى ١٩١٦ في ٢٠ وليس هذا مجال الإلمام في الشرح
التفصيلية ولكن أن نقول أن هذه الصفحة من تاريخ مصر البطلمية هي صفحة أخبار حافلة =

تزهو بها على العالم في عهد الملك البطلمي وكبير وزرائه والخبراء الاجانب على مختلف
انواعهم ساهمت بتسليط واقف في تفسير معالم الحياة كلها في مصر فأثري الكثيرين وعكفوا
على البحث واقتباس الاماليب المستحدثة في الزراعة واستنباط البذور المنتقاة واستخدام
الميكنة في الزراعة كالمطهر والساقية بدلا من الشادوق ثم النور والمدرارة وادخال العمل
في حمل الاثقال واستخدام الفيل في القتال - هذا وغيره كثير كل من وسائل النهوض
بمصر حتى اصبحت اذ ذاك قبلة الانظار ، ووزارًا لملوك آسيا وامراء الهند والبسفور ،
وسفراء من ارجوس ببلاد اليونان يخطبونها وود ملائكتها وكبير وزرائه امراء اسويون كملك
الهند ويقدمون لهم الهبات والخطايا استرضاء لهم .

وفيما عدا ما كان يجري في المدائن والحوضر وبخاصة في المدن اليونانية الثلاث
او الاربع ، فانه كان من المسير المشهور في ريف البلاد وقراها على عدد يذكر من الاجانب
من لم يكونوا ينتمون الى بيت اودوار من البيوتات التي كانت لاحد من عظماء الاسكندرية
في بلاط الملك او احد وزرائه او يقعون تحت حماية صاحب العمل الذي كانوا يعملون
في خدمته ، فيسبغها عليهم وهو منهم على مستقبلهم ويدفع عنهم شر المحتدين وكيدهم .
كان مركز الاجانب من الوجهة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية يختلف في الواقع
عن مركز المصريين فمركز الاولين كان اكثر رفعا وحرية من اهل البلاد ، ذلك ان الطبقة
العليا من الموظفين المدنيين كانت مقصورة على الاجانب القادرين على التفاهم مع
الملك المقدوني بلغة اليونانية كما كان كذلك ضباط الجيش وقادة من المقدونيين واليونان ،
جاءوا طائعين مختارين بواسطة زعماء لهم (Condottieri) لخدمة الملوك
كخدم مرتزقة اغراهم المال والكسب المادي والفرص الذهبية فسارعوا الى اقتناصها من
سكان مدينة الاسكندرية فجلبهم من الاجانب الذين جاءوا من كل صوب وفصح والاحرار منهم
قلة بالطبي ولكن الاجانب برجه علم كانوا يتقنون بمركز سياسي خاض وقد تهيأت لهم من
الفرص السانحة كيما ينالوا من ثقتهم وهوكدوا نواحيهم في شتى المجالات في التجارة
والصناعة ثم في الزراعة فكان من اليسير عليهم الحصول على الاراضي والاستحواذ عليها من

الملك على سبيل الكيروكيات () وهي اقطاعات من الاراضي المملوكة
للزراعة او النابله للاستصلاح تبدأ من خمسة اروات ويطلق على صاحبها من صفات الجند
() الى صاحب الخمسه والعشرون اروات ويطلق عليها

الى صاحب الستين والسبعين والثمانين والتسعين والمائه اروات

اي صاحب المائه او المائه والعشرون — كل بحسب رتبته العسكريه

من الضباط والفرسان وكان كل هؤلاء يحصلون بفضل هذه الاقطاعات على دخل كبير من
الارض التي كانوا يتركونها بدورهم للفلاحين المصريين ليزرعوها لهم من الباطن اما
في مجال الصناعه فكانوا هم اصحاب العمل والمقاولون والمتعهدون والمهندسون والخبراء
غيرهم هم العمال لتنفيذ ما يؤمرون به ولاصحاب العمل بالطبع الختة ولغيرهم من العمال
الفتات والغرم • اما في موضع جبايه الضرائب فكان الاجانب هم الملتزمون والمشفرون المتعهدون
بجبايتها ومنهم الضامنون والموقعون على صكوك الالتزام باعتبارهم اصحاب اكبر عطاء مقدم

في مزاد بيع الضرائب وكان يعقد سنويا بواسطه مندوب وزير المالىه وهو الموظف المقيم في
حاضره كل اقليم ويعرف بمدير الشؤون المالىه اى الـ () ويجرى هذا المزاد
تحت اشرافه ويراقب هذه العمليه الدقيقه والمتباين فيها وينحى المشكوك في امرهم وذوى السمع
السفيه والمدنبيين ويمنع الموظفين من الاشتراك في هذه المزايدات لا بالذات ولا بالواسطه
اي من الباطن ويبدأ بضم ان تجرى هذه المزايدات على اساس سليمه ثم تطالب الضامنين
بتقديم الضمان الكافى على مدى ثلاثين يوما مقسمه الى ستة اقسام كل منها خمسه اقسام
يوفي الضامن جزءا من الضمان يساوى سدس المطلوب فاذا عجز الضامن او الملتزم عن تسليم
اعيد المزاد من جديد • وكانت هذه المزايدات السنويه وحساباتها الشهرية وعمليه التسويه
الشهرية () بين الملتزم ومدير الشؤون الاقتصاديه تمثل عبئا دقيقا توليها
الدوله كل عنايتها عليه ميزانيه الدوله السنويه •

وكان الاشراف على معظم المصاريف الملكيه والخصوصيه في ايدي اولئك الاجانب من
اليونانيين ومن على شاكلتهم فهم الذين يعرفون كيف يمسون الدفاتير والحسابات المحرفيه

وهو لم يكتسب من ضرائب ولا من ممتلكات ولا من ممتلكات ولا من ممتلكات
شبهها ويدرجون الأصوات والخصم في قوائم وحسابات مفصلة - يتم كل ذلك بدرجة مسن
الاتقان منقطعة النظير في هذا العهد القديم بواسطة هؤلاء اليونانيين .

ومع ان هؤلاء الانبياء كانوا قانونا رعية الملك سواء بسواء مع المصريين ، فانهم كانوا
من الناحية العملية رفقاء الملك واعوانه الذين شاركوه الحكم ، والسيطرة على المصريين
فخصهم بجل عنايته ونفس الطرف عنهم في كثير من الامور . وعلى ذلك فان نظام الحكم في
عهد البطالمة الاولين او في صدر هذه الدولة البطلمية اتسم بطابع يذكركم الى حد كبير
بذلك النظام الذي كان سائدا في مطلع القرن العشرين في المستعمرات التابعة للدول
الاوربية الحديثة في الهند وشمالي افريقيا وآسيا الغربية وعلى الاخص في مصر الاول
من فترة التقدم الاستعماري الاوربي وعندئذ كانت العلاقة بين الاوربيين والارباب من تلك
روح السيطرة والتعالي وليس فيها اي اثر او بارزرة تكشف عن الزمالة والرعاية الواجبة .
وكان غرض المستعمرين يهدف دائما الى استغلال موارد تلك البلاد لصالحهم وفائدتهم
المادية - هكذا كان الحال الى حد ما في عصر البطالمة الاولين ، ومهما قيل عن حكم
البطالمة ورغبتهم في العمل على اسعاد شعوبهم وان حكمهم كان مشوبا بحبهم للخير وهيلم
للافكار التي من شأنها الاخذ بيد الناس والترقية عن احوال الشعب وسحبهم لرفعة
شأنه الى غير ذلك من الاقوال التي ضمنها عالم امريكي راحل هو " وليام لين وسترمان " (W. Linn Westermann) في مقال مشهور له عنوانه

" The Ptolemies and the Welfare of Their Subjects "

" اي البطالمة ورعاية شعوبهم " فان هذا الدفاع المجيد يفتقر الى تأييد من مصادر
اخرى . ولعل وسترمان بالغ في استغلال المعاني واستنباط الرأي السليم
فكون الملك البطلمي الاول ولقب سوتير اي المخلص المنجى وكون الملك بطليموس الثالث
لقب بفاعل الخير او يورجيتيس ليس ضمانا كافيا بأنه كان يهدف الى فعل الخير وليس
استنجاؤا للبلاتيين والمكالمين بالملك على انه كان دائما في بصره المظلومين فهذه

كلها ادوات وامالات لا تتم عن شيء الا لحكم البطلمى اتسم بالقسوة والشده واخذ الناس بغير المعروف * وقوانين الاسره البطلميه واوامرها عن قى عدم النكهارن فى اى شىء وفرض الخرامات الباهظه على المخالفين من الناس الى المالكون فى الاغلال ليلقوا العقاب اذا ما تواتر السى سمح الملك ان تاجرا من تجار البيعه مثلا فى قريه دائريه فيلادافيا قد عدلس فى الحسب او تفوه بعبارات اخذ عليها — تقوم عليه البيئه فى الوثائق البرديه وتحصيل الخمرات كات يضل الى عشره امثال والى الاف من الدراخمت وعشرات الفئات لا يسع الانيسان وهو يطالع صفحات من قوانين الالتزام فى جنبابه الضرائب لفيلادلفوس لا ان يشفق على افراد الشعب المضرى ويأسس لحالهم ويؤسسهم فخيرات البلاد تذهب تحت سمعتهم ويصرهم الى خزائن الملك وشونه ولا يبقى لهم منها الا الفتات والنزدا ليمسرو *

على اننا لا يجب ان نبالغ فى تقدير هؤلاء الاجانب فكبار الموظفين كان لهم بالطبع نفوذ كبير فى تسيير دفة الشئون فى البلاد ولكنهم كانوا يعتمدون عليه على الملك او على رؤسائهم * لمسئوليتهم الماديه والشخصيه كانت جسيمة ومع ذلك فان هؤلاء الموظفين الكبار الذين كان ينظر اليهم كما لو كانوا انصاف الهه قد يصبحون بين عشيه وضحاها وقبيح حلت عليهم نقمه الملك وخبضه فيعزلهم او يقتلهم او ينج بهم فى غياهب السجون ثم يصاد روا اموالهم وشرواتهم البطائله * ولدينا من الوثائق البرديه ما يدل على وقى مثل هذا بالنسبه لا يولونيوس نفسه وزير المالىه المشهور الذى توارى فجاء وقيل عزل او مات بعد وفاه فيلادلفوس واعتلاء ابنه بطلميوس ورجتيس الاول عرش البلاد * وقد يلقي الموظفون من الدرجه الثالثيه مثل هذا الجزاء مثلما حدث لقطار الجمعه فى فيلادلفيا (انظر المقال الذى د بجه العالم البريطانى ايريك تيرنر بجامعة لندن وعنوانه *

وهناك أمثلة أخرى عديدة في الوثائق البردية وأرشيف بنون وصفة خاصة ، فالملك
كل من يعتبر كـ هو "لا" بشابة الوكلاء عنه فإذا ماتين له وجود خيانة من أحدهم أو عجزا
وعدم مقدرة وكفاية في أي منهم ، لم يتردد في الحصول على ما يرضيه عن الخسارة التي
لحقت به بمصادرة ماله "لا" الموظفين المضار أو الكبار من ممتلكات ، وبالطبع لسنا
على بيعة من عدد المرات التي كان يحدث فيها مثل هذا التفسير والمقاب ولكن السلي
تصرفه على سبيل اليقين هو أن هذا من الجائز حدوثه في أي وقت ولاي موظف في
البيروقراطية المصرية على عهد البطالمة .

الضباط والجنود :

كان أمام الضباط وجنود الجيش من الفرص السانحة لاشرء الشيء الكثير ، فالخدمة
في الحرس الملكي كانت تصبو اليها نفوس الكثيرين وكذلك كانت الخدمة في ~~الوحدات~~
المختلفة على حدود البلاد والمناطق الاستراتيجية تجلب اجزى العطاء وشاب عليها من
يوثونها على غير مايرام . ثم ان الانتصار في الحروب قد يجلب معه الضم الوفير للجيش
المنتصر . ولسنا نعرف كيف كان البطالمة يعالجون مسألة اسلاب الحرب ولو اننا نعرف ان
الملك بطليموس الرابع (فيليوباتور) بعد احرازه النصر ~~في~~
~~معركته~~ المشهورة عام ٢١٧ ق م . قدم له جنوده
مكافآت سخية . وكان ضباط كل من الملكين بطليموس الثالث (پورجنيس الاول) وبطليموس
الرابع (فيليوباتور) يفخرون بما حصلوا عليه من منج وعطايا وهبات كان بعضها من الذهب
الخالص . وعندما كانت تنتهي الحروب ويضم السلم كان الجنود والضباط يكافئون بتسليحة
حياة فيها الاستقرار والسكنة بعد الصخب والجدل ، وفيها الضمان لمعيش كريم هادي .

فيرتبطون بالبلاد برباط وثقى وتستفيد البلاد من خبراتهم ومعرفتهم بأصول الزراعة كما هي
مدونة في الكتب المتداولة مثل *Theophrastus, Historia plantarum*
التي كانت ~~لثيوفراستوس~~ ^{أحد} ~~علماء~~ المدرسة الارسططاليسية ، كان الملك يقدّمهم على
سبيل المهمة القابلة للاسترداد فقاما من الاراضي الزراعية تناسب في مساحتها مع رتبهم

العسكريه كما سبق ان اوضحنا وكل قطعه منها هي كليروس (وصاحبها يسمى

كليروك) (اي الحائز للكليروس وبذا تهيأت لهؤلاء الضباط والجنود من الفرسان

او المشاه (الفرض المقاتيه لتحسين احوالهم المعيشية بتحسين

رقع الاراضى التى مملو اياها كما كانوا يحضرون على تكتات او بيوت يسكنونها تسمى

ولما نظم مستوره وتواعد وخصص الملك وراقب تنفيذها وهذه تدعى تحت نظام اسكان الجند

وعلى اعتبار ان هذه المساكن حول للجند والنبات الاستيلاء عليها اما بواسطه

بواسطه مديري الشؤون الماليه (او انهم ابتنوها لانفسهم ولا حق لهم

فى تأجيرها من الباطن او بيعها او رهنها ولا حوسب لانفسهم وولع الاقتام عليها عند مسا

يستدعون لاداء التدريبات التدريبيه او الخدمه العسكريه كما لو كانت ملكا خاصا لهم ولا يتركونها

وتبقى فى الحاله التى كانت عليها عندما تسلموها .

وكان فى مكنه هؤلاء النبلاء والجنود ان يضيفوا لتلك القطاعات من الاراضى التى يحوزونها

من قبل الحكومه اراضى خاصه يملكونها وتسمى هذه

فيها من كروم وزيتون ونخيل وشتى انواع الثاقبه . اما عن الضرائب التى كان على هؤلاء الجند

والنبلاء الكليروكين (دفعها فائدا لم تكن عاليه بالقدر الذى كان يدفعه

الفلاحون المليون فى الهند الخاص بالضريبه المشهوره وهى اليوميرا (ومعناها

النصيب او الجذر المقطوع فكانوا يدفعون نصيبهم فيها عشرة (بدلا من السبد من

(مما يستخرجون من التييد على ما يدفعونه من كروم وفنجان عن ذلك كان قسطهم من

الحرية الاقتصاديه اعظم بكثير من شركائهم . وقد صادف بعض هؤلاء الجنود المستوطنين فى

اقطاعاتهم العسكريه شيئا من النجاء فى هذا المضمار بوصفهم ملاكا لاراضى . ومع انه ممكن

المسير ان نقدر بسبه هؤلاء ، الا ان هذه النسبه تكن قليله بحال ما . وكان هؤلاء الجند

المستوطنون اقلهم من المقدريين والاعريق ومن التراتيين والسوريين وسكان الاناضول والمغربيين

المستفاد من هذا انهم كانوا ينتمون لشعوب واصول وسلاسل عريقه اخرجت على مدى الزمان اناسا

عرفوا بالجدية والنشاط في العمل والقدرة على الابتكار * ومع ذلك فقد نشأت ظروف * نجم عنها وجود عوائق كثيرة كانت تحد من ذلك النجاح الاقتصادي الذي صادفوه * فاحتسراف الجندية في عصر * عصر بطليموس في بلاد افوس لم تكن بالمهمة السهلة التي تدور الارواح على اصحابها دون عمل * ذلك ان الجنود كانوا بين حين وآخر يطلبون لاداء الخدمة العسكرية والاضطاع بهذه الاعباء يتطلب وجودهم في اقطار نائية واعداد طويلة وفي اثناء غيابهم كانت انصبتهم ترد في بعض الاحيان للحكومة او يديرها اناس لا يقتنون اليهم بمصلحة وتموزهم الكفاية والمقدرة ثم الحماس * ثم ان هؤلاء الجنود والضباط لم تكفل لهم الحرية التامة في مباشرة اعمالهم الزراعية التي كانت تخضع لدورات زراعية سنوية تحددها الحكومة فتعين المحاصيل والمساحات التي تزرع من كل نوع وتراقب تنفيذ هذه الدورة (*diagraphé tou agorou*) بعناية شديدة وتحاقب المخالف لهذه الدورة * وهناك صموة اخرى كان الناصريون فيها ويشترك في ذلك الصناء الجنود والضباط والمصريون على السواء * فالشكوى عامة من عدم امانة الموظفين وقلة كفايتهم واستغلالهم لنفوذهم ومناصبهم وخاعف من هذا كله تلك الصعوبات التي كان يسببها لهم ذلك الاقتصاد الموجه (*economie dirigée*) الذي فرضه عليهم ملوك البطالمة وكان عنوانا بارزا على حكم ملوك البطالمة * فلهم اغبطروا الى ان يبيعوا محاصيلهم والحبوب التي تخرج منها اراغهم * لا في السوق العامة الحرة * وانما للحكومة وبالسعر المقرر في تعريفة محدد ملاك الاراضي واصحاب المساكن * هناك من الادلة ما يثبت وجود طبقة من ملاك الاراضي واصحاب البيوت والمساكن على درجة مرموقة من الثنى والثراء وذلك بخلاف اولئك الضباط وموظفي القل والجنود المستوطنين الذين كانوا يعيشون في بحيرة من الجبس * ويمكن استنباط هذا كله من بعض مظاهر النظام الاقتصادي السائد في مصر البطلمية ولعل المصا المهم الذي نستقي منه اهم معلوماتنا عن ذلك هو تلك الوثيقة البردية الشائقة المعروفة بالقوانين الخريبة (*Nomoi Teloniko*) التي صدرت في منتصف حكم بطليموس في بلاد افوس ٢٥٩ - ٢٥٨ ق م * والجزء التمهيدى فيها يمثل امثل القوانين المنظمة لجباية الضرائب

على الاملاك وهو القانون المسمى (Nomos telonikos) وهو يوضح كيف كانت تطبق الضرائب في مزايدات سنوية وكيف كان يجري فحص الرافعين في الاشتراك في هذا المزايا
في انظمة مصر القديمة (oikonomos) وكيف كانت تطبق الحقوق مع
من يرسم عليه اكله وكيف كان يتم الحصول على الضمانين ذوي المقار وكيف كان
المتزايدون و افرادا كانوا لم جماعات تضم شركاء (metochoi) يمثلهم مفوض
(archones) وهكذا اتخذت الحكومة في ظل هذا القانون جميع الضمانات التي
تكفل الحصول على المبالغ التي تم اقتطعت عليها وهناك وثيقة بردية اخرى شبيهة ، تنص
لحصر ثلث خمس من الملك بطلعموس الخامس (ايفانيس) او المتجلى في صورة في عيسى
٢٠٢ - ٢٠٣ م. وهي تحتوي على مجموعة من التلخيص الخاصة بحماية الضرائب
بواسطة اولئك المتأخرين على نظام اقامتهم اكدت على انهم لم يبقوا في هذه الوثيقة
بواسطة الممالك الالهية ولكن عرفت بالاسم الاخرى (Wilcken, U. p. 112)
ومن المعلومات التي نستمد منها من هاتين الوثيقتين بالإضافة الى ما وصل الى علمنا من
المعلومات المستمدة من وثائق اخرى عديدة متصلة بموضوع نظام الحقوق في جبهة المملوكية
(Wael) ترى كيف نظمت الحياة الاقتصادية في مصر على هذا الركيزة باعتبار ان
نظام الالتزام هذا كان يمثل احد الركائز الاساسية في كيان الحكم البطلمي .

ويبدو في هذا التمام ان نفرد له فصلا قائما بذاته لما له من أهمية بالغة في
كيان الجهاز الاداري وفي مستقبل الحكم البطلمي ، وتتلوث بعرض مظاهر هذا الحكم وكان عنوانا
بارزا في الحضارة السائدة في مصر البطلمية .

نظام الالتزام

سبب ان قلنا ان نظام الحكم البطلمي في مصر كان يقوم على أسس ثابتة وبعلم قوية
هذه كان من اهمها الوضع الاقتصادي والعملي على استغلال موارد البلاد بطرق مفضلة
واساليب مدسنة . وكان من اهم الركائز التي كان يعتمد عليها اقتصاد البلاد بالدرجة
الاولى والتي ينفذها التي بخير الثمار ، نظام الالتزام (tax - farming system)

الذي جلبه البطالة من بلاد اليونان ثم ادخلوا عليه الكثير من التعديلات ووضعوها موضع
المضامين لم يكن له النجاح وحال دون اي عبث او استدلال ، لان قسما من الموظفين والاسر
الملتزمين انفسهم او حتى طوائف الاهالي الذين كان عبء الضرائب يجلب على كاهلهم .

ولما كان نظام الالتزام هذا يمثل شقا مهما في حياة الناس ، فقد حرص المؤلفون على
ان يفرطوا له فصولا وصفحات مطولة في كتبهم ، وكان من السباقين في هذا المضمار الانسة

" كلير برهوف في كتابها المشهور عن الاقتصاد الملكي صفحات ٤٥٠ حتى ٤٥٩

Claire Préaux , Economie royale des Lagides (1939)

ثم م . برستوفتسوف في كتبه ومؤلفاته الجديدة ومنها الكتابان

M. Bostovtzeff , Social & Economic History of Hellenistic
World

الصفحات من ٣٢٧ حتى ٣٣٠ ثم الضيعة الكبرى في مصر من ٤٣ وما بعدها A large
Estate in Egypt

حيث قال : أما انه كانت توجد طبقة من ذوي اليسار ، تمثل اصحاب الاراضي والعقار ،

بخلاف الفباط وموظفي التاج والجنود الحائزين لأنصبة من الاراضي ، تتفاوت رقعتها بحسب

الترتبة العسكرية التي كانوا يشغلونها وقد عملت الحكومة على توطينهم واسكانهم في ارجاء

البلاد ، بما هيأتهم لهم من ثكنات ، فلهذا امر قامت الادلة والبيئة على صحته . ولم يكن هذا

المعنى مستمدا من الادلة التي سقناها من قبل ، وإنما كذلك من الطابع الخاص الذي اتسمت

به الحياة الاقتصادية في مصر . والمصدر الذي نستقي منه معلوماتنا عن ذلك ذو وثوقنة

كبيرة او بالأحرى بمقدمة تلك الوثيقة التي عرفت بقوانين الدخل لفيلا دلفوس . وتحتوي هذه

المقدمة على القواعد العامة الخاصة بنظام الالتزام الموصى في بداية الضرائب (What

وهذا القانون معروف بقانون الجباية + nomos telonikos وله الافضلية المطلقة والسبق

في التنفيذ (protopraxia) على غيره .

ثم هناك الوثيقة الاخرى التي سبق ان نوهنا عنها وهي تماثل هذا القانون في انهما

تصدرت للنظام الالتزام ولكنها ترجع الى ما بعد ذلك بنحو ستين عاما اي (٢٠٣ ق م) اذ

صدرت في عهد بطليموس الخامس المعروف بالتجلي او الظاهر اي ابيفانيس .

وكذلك مختلف الدائيات الأخرى من عامة الناس ممن ارتبطوا بصورة أو بأخرى بإيرادات الملك وموارد الدولة الملتمزمون يسمى هؤلاء باليونانية (hoi Tettonai) ويطلقون طائفة مهمة للضريبة وحلقة اتصال وثيق بين دافعي الضرائب والسلطة المشرفة على جباية الضرائب ، ولذلك ينبغي ان نخصصها بشيء من العناية وان نتصرف على مدى جهودها وأوجه نشاطها وما كانت تتعرض فيه من صعاب ومشاكل في هذا الخضم من مجتمعاتنا آخر وخليفة مؤلف من أمثال تمثل شتى العناصر وتتألف في المصالح ، وفهم هذا النظام الضريبي المتوازن ، الذي كان في احتياي كفتيه دافعو الضرائب من ناحية ، بينما في الكفة الأخرى كان العبء ، استطاع البطالة ان يدخلوا أو بالأحرى ان يستخدموا طرفا ثالثا ، يتألف من اناس لهم صلة وارتباط بمصالح بتحصيل الإيرادات ، هؤلاء كانوا يحرفون بالوسطاء ، يحملون كأفراد أو كمعاملات ، مثلة بعضهم في شركات ، لها دور مخصص وملفوف في تحصيل إيرادات الدولة وموارد دخلها ، هؤلاء جميعها كان يخلص عليهم الملتمزمون ، تربطهم عقود مبرمة بتكليف إيديهم قواعد ثابتة ، فأما لكهم وكذلك أملاك ضامتهم مودونة بسداد ما عليهم من التزامات قبل الحكومة .

وفي بلاد اليونان كان أمثال هؤلاء الوسطاء هم الذين يقومون بالفعل بتحصيل موارد الدخل والإيرادات العامة ، فكانوا يدفعون للدولة (أي للمدينة الدولة) مبلغا إجماليا وهذا يشوب لهم الحصون على مدى تحصيل مورد معين من موارد الإيرادات من دافعي الضرائب وفدلي ما يشتطوا في ذلك ، أما في مصر فالجدا غير ذلك ، فمهمة التحصيل الفعلي لموارد الدخل كانت من الأعباء الملقاة على عاتق موظفي الدولة أنفسهم ، وهم الذين كانوا يقومون بتوريد ما يصل اليهم من مبالغ أو إيرادات عينية إلى المصارف الملكية أو المخازن والمستودعات المنتشرة في أرجاء البلاد ، وعلى ذلك كان يقع على عاتق الملتمزمين في مصر والحالة هذه دور ضئيل جدا في عملية الجباية الفعلية ، وإنما كانت لهم في الوقت نفسه مصالح حيوية في عملية الجباية هذه ، ولذلك قاموا بدور فعال في الرقابة على كل من المنتهين وانزعاج الذين يساهمون في الإيرادات

وعلى المحصلين الكلفين فعلى جهابذة الضرائب وذلك لانهم يمثلون الحقوق التي ابرموها مع الملك قد ضيقوا له اوفاء بالتزاماتهم ووقعوا على تعهد بذلك ، مؤداة ضروري الوفاء بالمطلوب وهو التحصيل الكلي لاجل موارد الدخل ومعنى هذا تقديم قدر معين من السلع والبضائع او مبلغ معين من المال . وفي حالة العجز عن الوفاء بهذا الالتزام فانهم وممثلهم شركاؤهم () والشامسون لهم () يطالبون بان يوفوا بالمعنى كاملا غير مأوف من مواردهم الخاصة . وفي حالة الاعمار والحجر عن الدفع يصح مال الاملاك الخاصة والمتسمة من قبل الملتزمين المتعاقدين الشامسين ، الى الحكومة التي كانت تستولي عليها وتقوم بحسب الوفاء للمطلوب . اما اذا سارت الامور وفق ما كانوا يشتبهون واسفر التحصيل الفعلي عن حصيلة من المبالغ التي تحقق فائضا () فان هذا الفائض يصير من حقهم وفئاد عن ذلك فانهم كانوا يتسلمون من الحكومة مكافاة او علاوة () اوراقها () وهكذا كان النظام المالي الخاص بالتزام جهابذة الضرائب يقوم في اساسه على قواعد يونانية مجاوية من بلاد اليونان . ويعتبر في صورته التي دلت عليها في مصر مثالا رائعا ولا ليل ايمسا دليل على مبلغ الخدق والبراعة التي اوتي بها ملوك البطالمة فهم حين استحدثوا هذا النظام باستخدام اولئك الوسائط ليكونوا حاجيا فاصلا بين دافعي الضرائب من ناحية وبين الجباة الفعليين من ناحية اخرى اقاموا سياجا يحمي مصالحهم على نحو دل على مقدرة وكفاية فائضهم فاضهم هناك فقتان هما الجباة والملتزمون كلاهما مسلول بدوره امام الملك ولذا كان كل جانب يتفانى في بذل الجهد في سبيل الحصول على الدخل والايراد المطلوب من دافعي الضرائب ولما كانت مصالح الفئتين في هذا الخصوص واحدة ومتطابقة فان تعاون الطرفين حصل ميسرا المستحيل من الناحية العملية ان يفلت احد من دافعي الضرائب من الوفاء بما عليهم من التزامات ومن ناحية اخرى فان اي تعاون او اية محاولة للتفليس والتدليس من جانب الموظفين كسبسان من

مسيرها ان تؤثر تأثيرا بارعا على مصالح فئة الملتزمين وعلى ذلك فقد هربوا من الامور التي
الى ان يكونوا بمثابة الرقباء الذين وقفوا بالمرصاد ليكنوا عواقب لمعالجة لكبح جماح اولئك
الموظفين * وكان الناس يرون بالطبع في هذا التنظيم هم دافعو الضرائب ، فكل جانب
من الموظفين والملتزمين ، كان مرتبطا بالالتزام لا بد ان يوفيه حقه * وان يتم تخصيص
الدخل برمته * والا تعرض لمعقبات شديدة توقي عليه * وسواء انهم عن ذلك في نهاية
تلك العملية ان دافعي الضرائب قد خرجوا صرعى ومضطربين تحت وطأة هذا العبء * ام
يجوا من ذلك الشر الويل فهذا امر لا يمتنع في كثير او قليل *

اما بالنسبة للملك * فان هذه النتيجة كانت من الامور التي تشغل بال الملك ،
ولذلك كان يصير دائما على الا تسوء معاملة دافعي الضرائب ولا تسلب منهم اموالهم
ولا يلقى شيء من الفسار والتدليس في معاملتهم * (١) ولكن كتقاعدة عامة ، كان الموظفون
والملتزمون اذا ما تكتلوا واتحدت جهودهم ، يصبحون اقوى من الملك ولاعاصم لدافعي
الضرائب من بعضهم وطفيلاتهم *

وحرفة الملتزم ، من كل ما كان يارزمها ويصاحبها من مخاطر ، كانت في اغلب
الثلث مجزية بوجه عام * فكان هناك في صدر مصر البطالة كثيرون من الراغبين والمتمسكين
على ابرام عقود الالتزام هذه * ولم يكونوا ليحدوا اية صعوبة في الحصول على الضمانات
والضامنين لالتزامهم هذا * وكان عدد الملتزمين فيما يبدو كبيرا نسبيا ، وذلك لان موارد
الدخل المعروضة في سوق الالتزام ، كانت عديدة ، وان لم يكن من المسير تحديد عدد
عدد ها * ومع ان زيادة ثوبا كان بين الحين والآخر في وسعه ان يتعاقد على عدد من
تلك الالتزامات في وقت واحد * وبذلك يركز في يديه شقا كبيرا من العمل ، مثلما
فعل زبنون في اغلب المدن وبخاصة بعد اعتزاله العمل في خدمة ابولونيوس وزير المالية
المشهور وقضاة العيش في اقليم الفيوم او في قرية فيانديليا بالذات كقرد هيبسادي
(parepidenos) برصه احد الاعيان المحليين الفرياء ، فالقاعدة العامة
كانت تهدف الى تفتيت هذه العقود وتوزعها بدلا من تركيزها في نطاق ضيق * ولا بد

ان نذكر ان هذه الحقوق الخاصة بنظام الالتزام ، كانت تطرح في الميزان لتعاقبها محليا في نطاق اقلية ومناطق لا تزيد على رقعة " النور " (nonos) او القسم الادارى (المحافظة) ، ولا ريب ان المعرفة الوثيقة بالاحوال والاضاع المحلى المتأصلة كان من المميزات التى يحرس عليها اى ملتزم حريص ، طامح فى ان يتحقق له شئ من النجاح فى تقدير المصايف من اى ضريبة يتقدم لالتزام بها والتعاقب عليها ذلك ان عمله كان ينطوى على بذل جهد لا بأس به ويتطلب وده بشخصه فى عديد من العمليات التى لا حصر لها والتى لها ارتباط بمهمة التقييم للضرائب على الطبيعة وحصيل المطلوب المختلفة . وعلى ذلك كان اغلب الملتزمين من الرجال المحليين ، مشيدين بتوافرت فيهم المعرفة الوثيقة من ناحية بدافى الضرائب بالمحصلين لها ، وفوق هذا وذلك كان هؤلاء الملتزمون جميعا من الشخصيات الثرية " المايئة " ومن رجال الاعمال الذين لهم ارتباطات واتصالات واسعة الجدى وكانوا فى المقام الاول مكلفين بالاشتراك مع المضافين بتقديم مايلزم من الضمانات التى كانت فى اغلب الاحوال تتخذ شكل عقارات واملاك من بيوت ومساكن وكريم وحمامات وساتين وارضى .

وهكذا كان الالتزام فى مصر يعتبر دعامة تمثل نظاما فيه من الكفالة والضمان للحقوق والواجبات الدولة على استحقاقها وليس نظاما للتحصيل حسبما وصفته الاستاذة كليمينس في كتابها المشهور فى الاقتصاد الملكى الملوك الفارسيين او النبطيين ص ٤٥ اذ قالت انه مجرد نظام لحفظ الضمانات وليس مقصورا على كونه اسلوا للجباية والتحصيل .

" une institution de garantie, non une institution de perception "

وكان يعتبر محور ارتكاز مهم ياتوا الأخرى " ترسا " من شروس الجهاز الحكومى ودعامة اساسية فى دولاب الاقتصاد البطلى . ومع ذلك فالجهاز الادارى الموكل بتحصيل موارد الدخل كان تاما ومستكملا من غير نظام الالتزام هذا ولذا يمكن ان نقول ان نظام الالتزام البطلى يمكن اعتباره جهازا دافعا وهو اشبه ما يكون بنظام الكتاب فى اى ديوان او مؤسسة ، ان صحت هذه التسمية . وهذا التفسير كما قلنا ، يقتضى ان الجهاز الوطنى

في عصرها الكلاسيكي وأثر ديمتريوس فاليريوس (Demetrius phalerius)
 الاثيني والذي كان يعتبر المشرع الأول للملك بطليموس الأول ولذا كان اشتقاقه
 راجعاً إلى أصل أثيني بالترتيب * وأم تكن مصر الفرعونية تنصرف شيئاً عن نظام الالتزام ،
 نظراً لأن الاقتصاد الصيني والتبادلي بالمقايضة كان هو السائد فيها ونظام الالتزام
 ليس له أي معنى أو مقتضى في بلد لا يصرف شيئاً عن النقد وتداول العملة فهنا
 بطبيعته وجوده مرتبط إما ارتباطاً بالاقتصاد النقدي ووثيق الصلة به * وعلى ذلك
 فهذا النظام الذي كفل جميع الضمانات بتأصله وتطوره في الاقتصاد الملكي ، أصبح
 له معنى جديداً ولم يمتد يحتفظ من أصله اليوناني سوى بالشكل والمظهر فقط *
 ونظام الالتزام في صورته البطلمية له مبرراته وهو لا أول وهلة لا يبدو أن يكون جهازاً
 يكفل جميع الضمانات ضد الأخطار المالية وهو من بعض النواحي والاعتبارات يتناول
 موضوع الفروض (danacia) التي كانت الدولة تقدمها للمزارعين على مستوى
 آجال قصيرة بضمانات وكفالات أو رهون على الانتاج المرتقب ، فتضمن بذلك الدولة
 الوفاء بمطالبهم * واحتياجاتهم ومصرفياتهم من الأموال السائلة * ونظام الالتزام
 في مصر البطلمية يمكن تفسيره على أنه كان ينطوي على البحث عن ضمان مالي إضافي
 وله سبب آخر يبرز كذلك وهو أن البحث عن ضمان دولي في الحقيقة مطلب عاجل
 وخاصة في بعض الحالات التي كانت توجد فيها الضرائب نقداً ويستحق دفعها بالعملة
 وذلك في بلد كان تداول العملة حديث العهد فيه وخاصة أن الثروات الخاصة
 لدى دافعي الضرائب كانت في أغلب الأحيان متواضعة ولا تحقق عند التنفيذ الفعلي
 وتسديد الديون أي مكاسب يعتد بها *

والآن يجدر بنا أن نوجز العناصر الأساسية في تلك القوانين الخاصة بنظام
 الالتزام ، وحتى نعين أنفسنا والاهداف الحقيقية التي كانت الحكومة البطلمية تحرم اليها
 (١) كان بين عقود الالتزام هذه يجري باسم الملك صراحة وبلا مواربة إذ أن تلك العقود
 كانت تستعمل بكلمة يونانية هي (poloumen) أي " نحن نبيع " في صفة المتكلم

الجمع وهو على لسان انملك وذلك في مزاد علني *

(٢) كان الاعائن موعدا الربيع وما يوافق به من شهر او " كراسة " شاملة لقواعد الالتزام بالمفتين اليونانية والمصرية (اي الديمقراطية) لاجل من تملكت في مكان عام لفترة زمنية محددة قراء المزاد بمدة بحيث يسمح للراغبين في الدخول في المزاد بان يدرسونها موارد الدخول وما يمكنه ان يأتي به من ثمار ناجمة عن الموارد المصروفة للربح في المزاد * وعلى ذلك تكون البيانات الاحصائية ميسورة وفي متناول المتزايدين للاطلاع عليها *

(٣) كان يتعين على كل من ي رغب في الاشتراك في هذا المزاد * سواء اكان اصيلا لم شريكيا فصليا * ان يسجل اسمه واسم شركائه لدى مدير الشؤون الاقتصادية (pikonomos) وأن يذكر الجنسية التابع لها * واذا كانت الفاعلية المظلم من اليونانيين هم الاشخاص الذين توافرت لديهم المقادير الكافية من رؤوس الاموال التي تدخل لهم ان يصبحوا طغزمين او شركاء في احد المشروعات التي لها اتصال بنظام الالتزام * فهناك في الوقت نفسه مصريون ساهموا بالنسبة وافر في هذا المضمار * ولينا بحرف سوى طائفتين كان محرمًا عليهما القيام بعمل الملتزم وهما الموظفون والحييد * فكل من ينتمي لاحدى هاتين الطائفتين عليه ان يتدحى ويتعهد عن المشاركة في هذا المضمار لعدم توافر الاهلية القانونية له * لدى اي منهما * وعلى له ان يكون الموظف او الحييد يستطيع ان يتولى عمل الالتزام لا بالذات ولا بالواسطة وذلك ينص القانون الوارد في وثيقة الالتزام وقانونه وانه لمن حُظن الرأي ان يدهس الانسان ويستولى عليه الخيرة اذا ما وجد ان الاعتبار القومي والتحيز الطائفي لم يكن له * ان في سير النظام الذي كان يجري عليه الالتزام * فليس هذا الا ظاهرة اخرى دالة على ان الافكار الديمقراطية على تفضيل البطالة ليمتد جلدتهم واثارهم للنصرة القومية واخذها في اعتبارهم * كانت الرائد لهم في توجيه السياسة البطلمية في اوضاع الجدد وبصورة مثبته *

والصك او العقد المكتوب كان يسمي المزاد ويكشف السنين امام المشرفين على ارجائها ز الاداري في تسير عملية البيع * على ان نظام المزاد المهدى ثم ما كان يجري احيانا مسن

اعادة فتح باب المزايعة مرة اخرى فهذا حتى مكفون لمن يشاء - كل هذا تناوله بلانريه
شيبي* كثير من التفسير والتبديد على مدى القرون الثلاثة من عهد البطالمة * والدليلا
على ذلك ما جاء في وثيقة باريس في المضمون الثالث الاسطر ١٤ حتى ١٦ (انظر
Wilcken, U. p. Z. 112) اذ قيل انه عقب رسو المزاد على شخص ما * استوفى نفسه
التزايد وفتح بابه من جديد في صالة المزاد نفسها * وتقدم شخص آخر بطلب اعلى
ولكن هذا المطلب الجديد لم يكن يسمح به بأقل من زيادة ١٠ % على السعر المسمى
رسا من قبل على صاحبه الاول * اما هذا الذي رسا عليه المزاد فكان مكلفا بأن يقدم
الضامين الكفيلين بضمان الثمن الذي استقر عليه المزاد * وكان على هؤلاء الضاميين
ان يقدموا املاكهم لتكون رهبا الموفاء بهذا الالتزام * وكان يدعم هذا الارتباط وبقيته
احيانا قسم ملكي (horkos basilikos) يؤكد ان هذه الاملاك المرهونة خالية
من اى التزام او حقوق عينية عليها *

ومنذ الوقت الذي كان يهرم فيه عقد الالتزام * أصبح الملتزم مسئولا عن الوفاء
بما استحق عليه من ثمن يدفعه الى الملك * وبالتالى كان المالك يتخذ من جهاتيه جميع
الاحتياطات التى يراها القانون قبل الضاميين الكفيلين بالوفاء بالضمان الاصلى *
هناك ضمان آخر الا وهو اجراء التحفظ والحجز على جميع المبالغ التى يقدمها دافعيها
كان التنظيم البطالى مختلفا اختلافا كبيرا عن تلك التنظيم
الضرائب الى المصروف لحساب الالتزام القائم * وفي هذا الميزان بالذات * / يشهد هذا
في بلاد اليونان في العصر الكلاسيكى * ذلك ان طريقة دفع الضرائب لم تكن متروكة
لحرية الاختيار * فليس دافع الضريبة ولا الملتزم بحرف فيما يتصرف في هذا المصدد * وهذا
الدور الاخير الذى كانت تقوم به المصارف باعتبارها اجهزة خاضعة لرقابة الدولة *
ذلك انه لما كانت جميع اوجه النشاط الاقتصادى في مصر خاضعة لضرائب متنوعة تقدم
الحكومة بحيازتها وكانت تلك الضرائب يجرى تحصيلها عن طريق نظام الالتزام * فمسير
جميع المبالغ التى كانت ترد من التجار الصديدين او من الصناع والفلاحين كان حتما
المال الى ان توجد في خزانة تلك المصارف ثم يتم التحفظ والحجز عليها لحساب الدولة

وبذلك يستطيع الإنسان أن يتصور إلى أي مدى كان هذا البحث عن الضمانات يحصل
بصاحبه. ومبلغ ما كان يتورط به أحيانا من مبالغ نولساوس يتبعه في مثل هذه المعاملات.
هذا فضلا عما قد يأتى من تعهد وشان توخا لذلك في الحياة الاقتصادية من مثل تلك
الاجراءات التي كانت تتخذ منبرا لفرش الرقابة الملكية على اصغر الشرايين والانجزة وهي
المصارف والمستهلكات التي كانت تتدفق اليها موارد الثروة والفني كالسفن المنسهر
باستمرار. وكان رؤساء المصارف يقدمون بيانات بحسابات الملتزمين كل شهر إلى مدير
الشئون الاقتصادية (oikonomos) المختص، فيقوم هو بدوره بمراجعتها وعمل
ميزانية تقريبية منها، تلك هي احدى العمليات التي كان يطلق عليها كلمة رهيبة هسي
"التسويات" (dialogismos) والاشارة هنا إلى عملية مرتبطة بديوان المحاسبات
الخاص بالدولة ومركزه الرئيسي في الاسكندرية. ولعل هذا كان يمثل اهم واجب يفرض
على مدير الشئون الاقتصادية الذي كان عليه ان يفرد حسابا لكل قرية، ان امكنه
ولا فلكل تواريخية أو مركز تم يمين فيه بجميع موارد الدخل، غير مقتصر على النقدي
بله فحسب، بل ينظمه الموارد المحلية كذلك. وكان محروما عليه تحريما باقا وتاخذها
ان يأخذ في اختياره عند عمل هذه التسوية الشهرية اعتماد أي مالغ أخرى خالفا ماحو
يتوزن في سجلات المصارف. وجاء هذا التحذير في وثيقة بردية مشهورة هي بردية
تتمس رقم ٧٠٣ (السنين ١٢٤ - ١٢٥) وكان ينهض ان ترسل إلى الاسكندرية
نسخ من الميزانية الشهرية، مشهورة بالخاتم فتوصل صورة منها إلى وزير المالية وأخرى إلى
المحاسب الاعظم (eklogistes) وهو رئيس ديوان المحاسبات في الدولة
(logistérion). ولا يحيطي للتلزم أي نائض من المالغ المسلمة. وهي وجوب
ان هناك فائض في نهاية العام، الا بعد اتمام عملية التحصيل وانتهائها، منتهيا، ويكون
ذلك بناء على امر من وزير المالية.

وفي حين الحالات التي ينشأ فيها عجز في الحساب الخاص، تبدأ سلسلة
من الاجراءات التنفيذية على الممتلكات الخاصة بالمتمتع وعلى أموال الضامنين ومصارفهم.

لا ينفذ في التنفيذ كان يقع على اشخاص هو لا موعلى ايمانهم في آخر الامر * وفي
الوقت نفسه تبدأ كذلك مسألة الموظفين المفرطين * وشأن البردى حافلة بالامثلة
التي تحكى لنا ما كان يتخذ من اجراءات ومطالبات ووضى اليد او التنفيذ على الاشياء
المرهونة * وهكذا ورد الممون نفسه او الملتزم في حالة من القلق والتهديد بمصادرة
ممتلكاته المرهونة متى عجز عن الوفاء بالتزاماته قبال الحكومة *

ونظام الالتزام كان مثير نزاع دائل وموضوع جدل طويل ، اشغل عبء الجهاز الادارى
واعين كاهل الادارة المصرية ، ذلك ان المتقدمين في المزاد كانوا ينظمون في المناسبات
باعتان اسمائهم باعتبار انهم هم الذين رسا عليهم المزاد * وفي سبيل ذلك كانوا يبذلون
عندما يتقدمون بمطالعات عالية القيمة للغاية في تلك المزادات * بل ان البعض منهم
كانوا يصعدون الى مناورات دنيئة ، فيحاولون التصرف على محتويات المطالعات التي تقدم
بها منافسهم او يحصلون على اخفاء صك هذا المطالع والاوراق والمستندات التي تقدم
بها منافسهم * وفصلنا عن ذلك فالملتزم كان في كثير من الاحوال يتقصد شوب الدائنين
البخيس والاعمى والمكر اللئيم * حقيقة انه كان يشهر في احوال كثيرة بهذا المظهر ،
ولكننا في الوقت نفسه لا يجب ان نشقى هذه الصورة ونسلم بمضمونها في يسر وسهولة اكثر
من اللازم ، فالوضع ليس قائما على هذا النحو باستمرار ، خاصة وان الالتزام وما ابرم
من عقودها التي حققت ارباحا طائلة لم يظهر لها اثر ، لافى الاجراءات ولا في المكاتب
من جهات الاختصاص ولم تحتفظ لنا وثائق البردى بأي اثر لذلك * وانما تنص الى
اسماعنا الصوب والمساوي فقط ويتردد صداها في الوثائق وفي محيط الجهاز الادارى
بصورة اقوى مما تلحظه عن المحاسن *

على انه ليس من المعقول ان مشروع الالتزام هذا ان بصورته المباشرة في مصر
غير مجزى ، كما يبدو من تصفح الدفاتر الحاوية لتلك الاعباء الملقاة على كواهل الملتزمين
ومن الدوسيهات الخاصة بموضوعات النزاع بين مختلف الاطراف والمشاكل المترتبة عليها ،
واذا كان الملتزمون قد وجدوا الضامين على انهم استعداد للتقدم بضماناتهم وفاء

وعظمائهم ومصادر متلذذاتهم وذلك في بلدان كان يحتل في فيها أقل صوت ان يرتفع
 بالاحتجاج ضد اعمال الابتزاز وجور الملتزمين وظلمهم * والملك البطلمي * بعد ان حضر
 يوسف هذا بالثناء ومنحه التقدير اللازم * جعل من نفسه شريكا له * اما عظما الاسكندرية
 الذين كانوا قد اقترضوا شيئا من المال * وجدوا السبيل الى كسب الربح * وما نظن ان
 هذه الواقعة التي رواها المؤرخ اليهودي يوسفوس في احد كتبه Antiquities
 (185 - 180 , XII) هارسة عن الحقيقة او بعيدة عن الصواب.

وفي الحالات التي كان الملتزمون يؤلفون شركة فيما بينهم * (kai metochoi)
 كان القانون يلزم دفع الانصبة المستحقة للملتزمين من الباطن وببعض مثل هذا التصرف
 داخلها لرقابة شديدة من الحكومة * وكان الشريك الاول وهو المسمى (archones)
 هو المسئول الاول والمفوض * وفي ذلك فالادارة الملكية كانت ملزمة بكن شيء * عن اعضاء
 الانصبة * ايما كانوا * حسبما كان مركزهم في مشروعات الالتزام * وهكذا كان كل شيء
 يهدف الى وفي رقابة شديدة وترتيب دقيق يكفل جميع برامج السلطان الفعلي لاولئك
 الملتزمين * ويظهر انه كان من الصعوبة بمكان ان يتحقق لهؤلاء الملتزمين ان ينزلوا
 الظلم بدافع الضرائب وإيقاع الجور بهم من غير ان يكون هناك تواطؤ من الموظفين
 المختصين * ولعل من بين الاسباب التي ساعدت على وجود مساوئ لهذا النظام *
 ان عين الادارة كانت غافلة * وهذا عيب متوطن في مصر وقد كشفت الشكايات التي كانت
 تترى بين حين وآخر ويتقدم بها دافعو الضرائب بدعوى خوف ولا ولاء * وعن وجود امثال هذه
 المساوئ * ولدينا في مجموعة البردي المنشورة في مدينة فلورنسة بايطاليا وحفظها باسم
 P.S.I. اختصار اسم الجمعية الايطالية التي تنشر مجموعة من البردي مثل راس
 علي ذلك في الوثيقة رقم ٣٨٣ وقسم اليها العالم الروسي " المتأمر " رستوفتسوف في
 كتابه المشهور (A large Estate in Egypt) ص ١ * ١ وتاريخ تلك الوثيقة هو المصنام
 ٣٨ من حكم الملك البطلمي فيلادلفوس وموضوعها ان شخصا يدعى ثيرون (Theron)
 كان من زراع الكرم ومن منتجيها وقد وفي بالضريبة المستحقة عليه عن ذلك المصام وقبلت

المضاراة المبالغ وجميع ما ارتفق به من بيانات موقعا عليهما من الملزمين الذين يسلطوا هذه الوثيقة من الهدال أو التاجر الذي اشترى هذه النبتة المستخرج من الكرم وجاء في هذا البيان الموافق توثيق بالمستحق أو المملوك وقيمة المبلغ عينا وثمة بالنقد . وانحصر الخسلاف في ان القيمة سددت تحدا بوساطة المدوين عن الملزم لا عن عام ٣٨ كما هو المملوك وانما عن عام ٣٧ مع ان تبين هذا كان لديه ما يثبت انه كان قد سدد المستحق بالكامل عن الحساب السابق . وهناك مثل اخر مشابه في مجموعة بردي زنتين المخفوظة بالمتحف المصري والتسبي بشارها الى المهرجاني ادجار) وهذه الوثيقة رقمها في الكتالوج الخاص بالمتحف المصري ٥٩٢٣٦ .

ونظام الالتزام في مصر البطلمية باعتباره نظام مجلوسا من الخارج (من اثينا) وليس اميلا نابعا من اعماق البلاد ويوصفه مجردا من حريه المبادره ووقوفه موقفا سلبيا من حقوق الفئران . كان مصيره فيما يبدو ان اخذ في الذبول . فضلا عن ذلك فلم تكن به تلبية الخبير " الكفيله بان يحمي اي تقدم اقتصادي ولم يتولف فيه العامل اللازم لشبان اي تلبية سياسي . واذ ما قدم لاي من الملزمين ان يحمي اي تقدم يتحقق شي من الكسب لنفسه او النفع والفائدة لشركته فانه لم يكن في الوقت نفسه بقادر على ان يجلب شيئا من السياره والقبوه والجاه لنفسه . وبعد الشخصيه البارزه التي كان عليها من اهل اللوبيين وزير المالية في عرسيم بطليموس فيلادلفوس وما كان ولعاهله زينون من نفوذ مستمد منه فان بردي فيلادلفيا (في اريهيف يتون) لا ينوبنا باسم اخر لاجد كبار المالبين ممن خالفوهما في هذه القرية المصريه وهسيين فيلادلفيا في اقليم الفيوم وهي ملتقى اجناس بخيره من كل فج . وكما كان النقد اليوناني والمصارف اليونانيه مجاوزه من الخارج فان نظام الالتزام اليوناني المستحدث في بلد كان النظام الملكي فيه شديد التركيز وحكومتهم البيروقراطيه تويه الهامس ماليت ان فقد اهميته بمرور الوقت واصبح يسير في ركب الدوله ويخدم اغراضها . واستمر فيها في مصر في العصر الروماني .

وإذا صح أنه كان لنظام الالتزام بعض التأثير على مستقبل المجتمع المصري فإن هذا التأثير كان على نحو غير ملحوظ وبأسلوب غير مباشر * وكان من أولى مطلوبات الالتزام وجود نظام دقيق للخدمات بصورة عاجلة ، يتوفر فيه نوع من الرقابة الدقيقة والإشراف التام ثم جهاز لإسكاف الدفاتر والحسابات وعن التسويات على أوسع نطاق وبصورة مضطردة

واقترنت كل هذه الضمانات الإضافية وهذا الخوف المستمر وعدم الاطمئنان على وصول الأيراد سواء كان لهذا ما يبرره أم لا - نقول اقترن بهذا كله تكاليف باهظة وانحطاط البتالة أن يتكبدوا مصروفات كثيرة لتوفير كل هذه الضمانات ومنى الشك باليقين بالحبولة دون التردد في ارتكاب أخطاء جسيمة من قبل الملتزمين أو المتفحصين أو الموظفين الصو

وفضلاً عن ذلك ، فإن نظام الالتزام في حد ذاته كانت له نتائج إيجابية باهرة وشائخة ، إذ كان له الفضل كل الفضل في إقامة كيان تشريعي متحضر للغاية * ففي مصر حيث كان الفرعون فيما مضى يرضى ويقتن بتخطيط ورسم قائمة بالضرائب الواجب تحصيلها من الأقسام الإدارية المختلفة ، جاء الملك البطليمي فأظهر الحرص الشديد على تجديد وتصريف الالتزامات وتصنيف الحثوث الخاصة بالملك وبالموظفين والملتزمين والضامنين

ودافى الضرائب * واستطاع بذلك أن يساهم في إنشاء قانون مالي بالغ الدقة ، يحرص المشرع عليه من التدوين والتسجيل لمباريات وفقرات ونود واشتراطات في عقود مركبة ، اجتمع فيها روح القانونيين العام والخاص * فالالتزام لدى البطالمة كان إذاً ، بمثابة الواقع القوي والدافع لمجلة التشريع ثم أنه كان بمثابة الخميرة التي بعثت الحياة في الجسم البالي فأخذت تدب الروح في السلطة التشريعية ، فنهض على هذا النحو يعتبر الذواة والأداة الكفيلة بتطوير قانون الالتزامات وبلوغه غاية الكمال ، إذ كانت الدولة في كل عام تقوم بتصفح قوانين الالتزام وتدخل عليها من التحسينات والتصويبات ما تراه لازماً وبذلك استطاعت أن تنشئ أحكاماً خاصة وأساليب جديدة في إجراءات التنفيذ وإن شككنا أشكالاً وأنواعاً من الالتزام ، لم تكن مصروفة أو مقررة من قبل * أن قوانين الالتزام في واقع الأمر كانت بمثابة بركات حقيقية ، انصهر فيها القانون وتشكل حتى أخذ صورته

الصادقة وشكله الدقيق *

أما فيما يختص بثبوت الدخول وما جاء بها من قوانين الإيرادات والضرائب ، فيمكن أن نحرف أنه تمخض عنها الشيء الكثير ، ومن هذا على سبيل المثال ذلك المنشور الدوري الذي أصدره وزير المالية إلى العاملين من قبله في الأقاليم وألقب الواحد منهم بلقب أوكوبوموس أو المدير الاقتصادي وقد ورد نص هذا المنشور في وثيقة بردية مشهورة في مجموعة بردي " تيفتس رقم ٧٠٣ وهذا المنشور في جملة هو عبارة عن تعليمات إدارية متداولة وإرشادات مالية ونصائح غالية ، كان يسديها وزير المالية لموظفيه في الأقاليم ليكونوا يقظين على الدوام ولكي يحسنوا محاسبة الناس ويرفعوا عنهم ما يمكن على الإبحر كما أحدا يفلت من أداء ما عليهم من التزامات مالية وضريبية ، ويقوموا باحضار الماشية والأفنام في فصل الفيضان من كل عام (شهر مصري) ، ومن هذه التعليمات ذات طابع مصري في مادتها وروحها الإنسانية وليس لها بحد من الأخوان طابع قانوني وإنما تستشف منها ويلمح من ثناياها مبلغ ما قدمته المالية البطلمية عن طريق ما ابتدعته من نظم وقواعد فسي الالتزام وما أدخلته من تطور وتقدم في صياغة القانون وتبويبها ، على أن هذا القدر الذي ساهم به نظام الالتزام كان له تأثير عظيم في مجالات أخرى ، وقد بين لنا كل من رستوفتوف في مقاله عن تاريخ الالتزام والعالم الفرنسي ، كاركوبينو (Carcopino) فيس مؤلفه عن قانون هيرود الثاني والرومان ، مبلغ ما يدين به العالم الروماني للقوانين الخاصة بالالتزام وهي التي أصدرها بطليموس فيلادلفوس ويرجع الفضل في انتقالها لهم إلى هيرود الثاني الصقلي *

وبخلاصة القول أن أولئك الذين يشوقهم هذا الموضوع ويرى لهم البحث في أصول القوانين ومبلغ تطور النظم وتفسيرها وتأثيرها بغيرها ، يجدون مادة خصبة في نظام الالتزام والمصير الذي آل إليه في المملكة البطلمية ، وقد اعتبر رجال القانون المهتمون بالتاريخ القديم في ضوء ما أسفرت عنه دراسة أوربان البردي من أمثال العالم الألماني " مايسر " (Meiser) والعالم الهولندي التامرك تاوبينسلاغ (Taubenschlag) والعالم الألماني " زايدل " (Zeidl) أنه يمثل ظاهرة تستحق شتبا كبيرا من الانتباه وفيه مادة شائقة للذاهبة *

الزراعة ونظام الاراضى فى مصر البطلمية

كانت الزراعة هى الدعامة الاولى التى كان يتركز عليها الاقتصاد البطلمى . وكانت البلاد محفوظة فى هذا المجال فالمناح يدين وموارد المياه متوفرة فى السنين العادية وبخاصة اذا ما نظمت واحكم توزيعها فتصبح كفيلا بضمن محصول وفير ثم ان تربة البلاد اشتهرت بخصوصيتها الفائقة صلاحيتها لعدد كبير من مختلف المحاصيل ومن ذلك الحبوب على مختلف انواعها والخضروات واشجار النخيل والسنبط والاقاقيا والصنوبر ومختلف الاعشاب وشتى النباتات التى تستخرج منها الزيوت من كتان وزيتون وشمس وعصفر وخازنخ اما اشجار الفاكهة والكرام والتوت فلدى مصر منها انواع كثيرة . وهكذا كانت مصر فى نظر بقية العالم القديم جنة تفيض بالثراء والخير الوفير ، وهى هبة النيل "ابى البركات" كما كان يطلق عليه قديما فأسبق عليها وعلى شعبها خيراته فى كرم وسناء كل عام .

وكان طبيعيا ان يهتم كل حاكم على مصر ، بن اول شئ ينبغى ان يصنى به - هو شئون الزراعة وتوزيع المياه وتنظيم ذلك فالزراعة فى مصر كانت من أولى مستلزمات العناية الشديدة بموارد المياه ووضع النظم الدقيقة للمحافظة على المياه بصفة عامة وضمان حسن توزيعها وبخاصة عقب الفيضان وانحسار المياه التى غمرت الاراضى على جانبي النيل وقست الفيضان . وتطلب هذا عينا ساهرة واشرافا بعيد المدى على مجرى النيل وقنواته وسدود ثم تنظيما دقيقا لبيدي الهائلة من اجل تشييد عدد من السدود وحفر شبكة من القنوات لتوصيل المياه الى المناطق البعيدة عن مجرى النيل الاصلى . وكان تنظيم العمل فى هذا المجال يتطلب احيانا اللجوء الى السخرة واكرام الناس (*leiturgia*) جثمانيا وماديا ومعنويا - فالشعب يرمته ومعه دواب النقل يمكن ان يعجز جشده من اجل هذا الفرض ان ذاك فى فصول معينة من السنة . هذا بعض ما كان يحدث فى مصر الفرعونية وفى الواقع على اشد وجهي الدقة فى مصر البطلمية ، بل وفى مصر الرومانية وما لا ريب فيه ان البدالة وبخاصة الملوك الناشئة الاولين اخذوا النظام الفرعونى وطبقوه بحذاقه ثم زادوا عليه من حيث التنظيم والرقابة واستخدام الاساليب الهندسية التيسيرية

استحدثوها في هذا المجال وفي غيره من المنشآت العامة فكانت التحسينات والتجديدات التي ادخلها اليونان كهيئة بتحسين احوال مصر زراعيًا واقتصاديًا بدرجة ملحوظة ، اشاد بها الكتاب اليونان المصنفون ان ذاك ومن جاءوا بعدهم في العصر الروماني * هلى اننا لانصرف على سبيل اليقين الى اي مدى ولا في اي اتجاه ساروا في هذا السبيل ولا متى تنكروا عن السير في خطى التقدم الزراعي * ولكن ما نعرفه انه فيما يختص بنظام الري ورث البطالمة عن اسلافهم الفراعنة اسلوب المحافظة على مراعاة هذا النظام بدقته وانهم كانوا يلجأون في تحقيق ذلك الى الصل الايماري الموسمي * يقرئونه على الشعب برمه في سهل الصالح الملم * ولكنهم كانوا اسوة بالفراعنة * يمتحنون بالطبع بعض الاعفاءات عن هذا المعب لبعض الافراد والطوائف ، فكانت طبقات معينة تتمتع بالامتياز الذي يدخل لها ان تدفع مالا بدلا من اداء هذا المعب * وفي اقليم الظن ان مثل هذا الامتياز كان يسبق في العصر البطلمي على الواندين من اليونان ومن على شاكلتهم اما بصفة جماعية او لطوائف معينة منهم وفي نفس هذا الامتياز موعيا بالنسبة للكهنة ورجال الدين *

تسميات الاراضى وانواعها : (geometria)

هناك شق ضروري وتمهيدي يعتبر من المستلزمات الواجبة لاي عمل زراعي جاد او مهم وقد ورث البطالمة هذا الشق عن اسلافهم الفراعنة - ذلك هو مسح الاراضى في جميع ابعادها مصر وتسجيلها بدقة وهذه العملية كانت تعرف بالاسم اليوناني الاثى geometria وكانت تتم بدقة وعناية فائقة كى عام * وسجلات الاراضى هذه كانت تتجمن لدى كنية القرى في العصر البطلمي وهم الذين كان يطلق عليهم (Komogrammateis) ولدى عمد هذه القرى وهم الذين كانوا يعرفون بالاسم الاثى (Komarchae) وكانت عملية المسح والتسجيل هذه تخضع لاشراف دقيق فيه وقصى للحقائقي على اوسع نطاق وبشتى الوسائل وهذا التقصى هو ما يكتفى له في مصر البطلمية والرومانية (episkepsis) مباشرة كبار الموظفين من امثال الكنية الملكيين (basilikoi grammateis) وكانت هذه السجلات في تجديد مستمر * وهم هذا التجديد سنويا وتحظى هذه العملية

التسجيلية بحناية فائقة * وبالطبع كان الفرض من هذه الأنواع المختلفة في مراحل عمليات التسجيل والمسيح الشامل هو الإبقاء على سجل واحد بالأرض الصالحة للزراعة والتعديف على معدن كل قديم منها * وهذا امر يستوجب التدوين والتسجيلين أولاً بأول وهو عرضة للتغيير والتبدل من عام لآخر ويتطلب معرفة أولئك الأشخاص المسؤولين في كل عام عن الوفاء بمهمة الزراعة في كل رقعة من أرض مصر ومهمة حصر أولئك الأشخاص يأتي في المقام الأول بالنسبة للحكومة * فهذه الرقعة أو تلك إما أن تكون منزوعة (esparmené) أو غير منزوعة وإما أن تكون قد غمرتها مياه الفيضان السنوية بشدة (embrochos) أو تكون جديدة (abrochos) أو خرسية (chersas) على حد قبول أهل الصعيد في الوقت الحاضر * والمعنى المستفاد من هذا كله أن رقعة ما من أرض مصر البطلمية قد تكون في حالة صالحة تماماً لزراعتها فنبت نباتاً حسناً وتوفى ما عليها من الالتزامات المستحقة للملك البطلمي (to apégmenon) وإما أن تكون عرضة لأن يجرى عليها تخفيض واستنزاف في الأرباح وقد لا تخفى لاي إيجار عليها في مصر البطلمية والرومانية (Hypolgos) * وهكذا كان يجرى تصنيف الأراضي بحسب حالتها ووضعها بالنسبة لمياه الفيضان وصالحيتها للزراعة في كل عام وهذه مهمة حيوية تمس أرزاق الناس وميزانية الحكومة السنوية * فلا عجب أن أولتها الحكومة البطلمية جل عنايتها وكانت هذه القوائم بما اشتملت عليه من نتائج مسح الأراضي في زمام القري المتناثرة * تبويب من وجهة النظر المالية بواسطة حكام المراكز والديساكر (toparchoi) ثم ترسل بتدويرها إلى موظفين في حواضر الأقسام الإدارية يعرفون بالاسم الاتي التومارخسيين (nomarchai) وهم المختصون بالاشراف على زراعة الأرض الملكية * وكان هؤلاء يدرسونهم يقومون بإرسال هذه التقارير المتعلقة بالأقسام يرمتها إلى الاسكندرية وبمها دواوين عديدة للسجلات * فتتخذ هذه القوائم أساساً جوهرها في اعداد قوائمهم الشرائح السنوي وكشوف الضرائب المطلوبة *

أنواع الاراضى

إذا ما توفرت لارض وسائل البرى وتم حصر الاراضى ونوعيتها بمناخية فائقة فانها كانت تنوكن الى القائمين بزراعتها من المصريين او اليونان الروافدين والمنتفعين من جدها وحياتها مستوطنين وغيرهم من اصحاب الخطوة لدى الملك البطلمى وكبار رجال الدولة البطلمية . ومنذ اقدم العصور كانت هناك انواع شتى من النظم المرحية فى حيازة الارض ولا اقول تملكها بل هى اساسا كلها ملك للملك الفرعونى وبالتبع لورثة الفراعنة وهم ملوك البطالمة وهذه الحيازة او تملك الارض كانت موزعة على مركز الاشخاص المسئولين عن زراعتها وعاشقهم بالملك وكنتهم فى الجهاز الحكومى او الطبقي ومنزلتهم فى السلم الاجتماعى والكهنوتى فى مصر البطلمية . ويجب ان نذكر بادى ذي بدء انه ليست لدينا معلومات دقيقة وثيقة عن الاشتراطات المرحية فى هذه الحيازة فى العصور السابقة على عصر البطالمة . من ان معلوماتنا عن عصر البطالمة نفسه ليست وافية او كاملة بصورة تدعو الى ان تكون على يقين تام بما نقول . وهنا يجب ان نذكر ان روما كسان لها الفضل فى اوضاعها بحسب قامت به على الوجه الاكمل ونحو انشاء نظم وممتلكات دقيقة فى نطاق القانون الضام والخاص . وفى هذا المجال تخلفت بلاد اليونان عن روما كثيرا . بل كانت مصر البطلمية اقرب دقة مما هى لهنس . ويبدو انه فى عصر متوسط مسبق عصور البطالمة . كان هناك على الاقل نوعان اساسيان من الارض يتميز أحدهما عن الآخر وهما (١) الارض الملكية وتسمى بالاسم اليونانى *ge basilike* (نسبة الى الملك بالظن) وهى تشمل الاراضى التى كان للملك اشراف مباشر عليها ويفلحها فلاحون كان يملك عليهم " الفلاحون الملكيون " (٢) ثم الارض المتخلى عنها او المشتركة وتسمى (*ge en aphaesei*) منحتمها الحكومة او اسبقتمها وسلمتها لاشخاص اخرين بعد الافراق والتخلى عنها وبذلك انتقلت من الاشراف المباشر للملك او المندوبين التابعين له الى الغير وهناك نوع ثالث ثانوى يمكن ان يؤولف فى مجموعته ما كان يمسرف بالاسم الاقنى : الارض الواقعة فى نطاق المدن المعبره وهى *ge politike* وكانت مخصصة لاراضى الواقعة فى زمام المدن اليونانية بمصر وهى الاسكندرية وبطليمية

(المنشأة في محافظة سوهاج بالصعيد) ثم نقراطيس (كوم جندوف ونقراطيس في نوبة) مركز
 ايتاي البرود محافظة البحيرة) ولدينا معلومات طفيفة عن المركز القانوني لهذه الارض
 في صدر الحضر البلمي * وبحسب ما قضت به الافكار اليونانية التقليدية في نظم المدن
 اليونانية عموما ، كانت الارض الواقعة في كنف هذه المدن هي بمثابة الملكية الخاصة لهذه
 المدن من حيث تبعيتها للمواطنين الاحرار بملك المدن فكانت اذا بمثابة جزر أو مقاطعات
 يونانية حرة ، تكتنفها الاراضي الملكية من كل جانب وعلى اننا نستطيع ان نتصور ان هذه
 المقاطعات اليونانية الحرة كانت بمثابة اقسام تشبهت وتفرعت عن الاراضي المتروكة أو
 المتخلي عنها ، سماها من الملك ومن التي سبق ان نزلنا عنها وادرجناها تحت الاسم
 الاتي (ge en aphaesei) *

ومن المثير ان نسوق هنا اي فكرة ولو بصورة تقريبية ، عن المقدار الذي وصل
 اليه كبر نوع من هذه الاراضي وبخاصة النوع الاول الذي استأثر به الملك واحتفظ به
 بصورة مباشرة ولربما كان هذا يرضى الى اكثر من نصف ارض مصر * والسبب في تميزنا
 في الوصول الى معرفة دقيقة ان المعلومات التي في متناولنا اغلبها يتصل بالاعمال
 المتعلقة في اقليم الفيوم حيث كانت المساحات المنسوبة عن الاراضي الجديدة المستصلحة
 وهي بالطين اراضي ملكية ، تمثل الحضر الخالب ولا يمكن القياس على ذلك في دلتا النيل
 ولا في باقي اراضي الصعيد ، فالظروف متباينة * ومن غرض الرأي ان نستنبط حقائق من
 معلومات وثائق متناثرة واتصى ما يمكن ان نقوله في هذا الشأن ان الموقف بالنسبة لارض
 في باقي محافظات مصر كان مختلفا ، ولا سبيل الى الوصول الى كنه الحقيقية فأصبحنا
 نسبح في الخيال ونعتمد الى التخمين في تقدير نسب هذه الاراضي وتبعيتها لمختلف
 السلطات والهيئات :

ويمكن تقسيم الاراضي التي تخلى الملك عنها وسمح لغيره بالاشراف عليها الى مايلي

(١) اراضي كانت في حيازة المعابد وعليها عباد الدن المقدس ويكنى لها بأعبد

الاسماء الاتية : ge hlera , heira prosodos, ge anibronena

(٢) اراضي خصصت أو رخصت لتكون غنما ومصدر رزق لمختلف موظفي الدولة ، فتخفف
اعباء الحكومة ولا تتكفل بدفع رواتب لهم ويصرف هذا النوع من الارض بالاسم الاتي
(ge en syntaxeï) ويدخل ضمن المتقنين والمستفيدين من يأتي على رأسهم ،
طبقة الجند من مشاة وفرسان ، ضباطا وجنودا على مختلف رتبهم العسكرية وتعريف
الاراضي التي كانت في حوزة الجند بالاسم الاتي ~~ge + ieruchike~~ فاصبح
لدينا صاحب الخمس ارورات او الافدنة المصرية ويسمى pentarouros
وصاحب الخمسة والعشرين eikosipentarouros وصاحب السبعين والثمانين
والتسعين والمائة hekatontarouros والمائة والعشرين وهكذا .

ويدخل في هذا الاطار نفر من الموظفين المدنيين على اختلاف مراتبهم * وهناك
شئ آخر قائم بذاته مثل اراضي الهيئات او الاقناعات التي أسبغها الملك على سبيل
المهية او المنحة وتعريف بالاسم الاتي ge en doreai وتصل احيانا الى
آلاف الارورات وتنان من اشهرها تلك الضيعة الكبرى التي اسبغها بطليموس الثاني الملقب
فيلادلفوس على كبير وزرائه ووزير ماليته المسمى ابولونيوس (Apollonios) وكانت
تبلغ عشرة آلاف من الارورات في الاقليم الاسينويثي او الفيوم ومركز هذه الضيعة قريبة
مشهوره تسمى فيلادلفيا متعاصرة في الاسكندرية اذ بنيت في نفس الحقبة وخططت على نسق
الاسكندرية/قبلة الانبار ومركزا مهما للتجارة الزراعية وتنسيق الخيرات اليونانية ومقتضى
الحضارة اليونانية والمصرية ومركز عبادات يونانية ومصرية عديدة + وهكذا كان الملك يمنع
كبار الموظفين المدنيين والمسكريين المنضوين في خدمته تلك المساحات الشاسعة مكافأة
لهم على اخلاصهم فكان لا يتفانون في اصلاح تلك الاراضي واستغلال الخيرات
اليونانية والابدى الضالمة ذاك الخبرة المصرية من الاقاليم المجاورة ، وباتي في آخر
المطافيع من الاراضي كان بمثابة الملكية الخاصة ويسمى ge + diokletos
او ktenata اي الممتلكات والاملاك الخاصة .

ويدخل في هذا النطاق اراضي الفاكهة والبساتين نظرا لانها تتطلب جهدا وفترات طويلة حتى تثمر * على ان هذه المصطلحات ليست من الدقة بحيث تكون قاطعة في تحديد المصنوع وقصره على نطاق معين دون غيره فكثيرا ماتداخلت الاقسام بعضها في بعض ومن ذلك مثلا ان الاصطلاح العام الدان على الاراضي المتخلى عنها وهي (ge en aphasei) كان يرد في الوثائق البردية التي في متناولنا تارة معبرا عن اراضي المعابد (ge heira) واخرى للتعبير عن الاراضي المخصصة كالكهنة للموظفين على مختلف مراتبهم (ge en syntexei) وكذلك للتعبير عن اراضي الهبات وهكذا كانت بعض هذه المصطلحات تعبر عن معنى شامل في بعض الاحيان وتتضمن معاني اخرى ضيقة في احيان اخرى ولذا كان التفسير عليه كلية فيه * من التفسير او اللبس:

على ان المعلومات التي وصلت اليها من مختلف هذه الانواع ليست متسقة ولا متساوية في حصيلتها ونقدها ومن ذلك فالنظام المطبق في استغلال الارض الملكية معروف تماما في شكاى الحام * ولدينا بعض المعلومات عن الاراضي التي كانت في حوزة اليهود * بقطعتها من شكاياتهم ومن الاوامر الملكية التي كانت تخمس احيانا بعض تصرفات هؤلاء الجند في اقتاعاتهم العسكرية وفي ثكناتهم والمعائن التي كان الملك ينزلهم فيها وهي المعروفة باسم (Stathmoi) اما عن اراضي الهبات ففي ارشيف زيبورن وكيل ابولونيوس في صهيته المشهورة بفيلادلفيا من الرسائل والمصاحفات ما يكشف عن الكثير من المعلومات المستفيضة عن الوان من الحياة والجهود المحمودة التي بذلت في سبيل اليهود بمعرفة الزراعة واصلاح الاراضي بصفة خاصة * اما معلوماتنا عن اراضي المعابد والاراضي الخاصة فهي محدودة ولا تصدولجحات من هنا وهناك لا توفى في موعدها سوى صورة مبثورة * وهناك امر واحد جلي : ذلك هو ان الملك البطلمي كان يعتبر نفسه المالك الحقيقي لجزء من ارض مصر * وماتلك فئة من الفئسات لتصيب من هذه الاراضي او الانتفاع بها واستغلالها على اى نحو * سوى وضع لا يكسب

صاحبه بأي حال من الاحوال حقا مستقلا على مواليها ومن حقه ان يحل عليه الملك والاعلان
بمستوردها في اي وقت يشاء *

الاراضي الملكيه :

كان يفلح شذم الاراضي اناس عرفوا باسم شامين هم الفلاحين الملكيين (george Basilikoi)
وهذا ومن كان كذلك من تراث المائسي والفضليه المظلي من هؤلاء الفلاحين
الملكيين كانت منتشرة تعيش في كل في ريف البلاد (Chora) بطوبها آلاب
القرى والدي ساكر وكان تسجيل اسماء هؤلاء الفلاحين على هذا النحو في قرية او بلدة
متواضعة يعتبر هو الموطن او المقر الدائم يمكن ان واحد منهم وهو ما يمكن له عادة
في الوثائق بكتابة (adia) وكان المفروض ان كل واحد من هؤلاء ينبغي ان يبقى
ملتصقا بمقره او بموطئه الاصلى ومسلط رأسه ولكنه ليس ملزما الا بفائدة بصفة مستديرة
فقد سمينا بين حين وآخر ان كثيرين منهم اعتبروا غرباء (Xenoi) لان موطنهم
كان في قرية اخرى غير التي وجدوا فيها واسم كانوا يسكنون قرية ليست لهم وشاع ذلك
التصرف والتقليد الى حد ان حصلين وجها اختصوا بتعقب هؤلاء بقصد جمع التاخرات

عليهم ومن حقهم في كل مكان وكان هؤلاء يسمون praktores Xenikon
تميزا لهم عن زملائهم المخصصين بحماية الضرائب من اولئك الذين بقوا في مقارهم
والتمروا بالبقاء في قراهم * وقد احدثنا الاستاذة البلجيكية كليرين

(Claire Préaux) مقال منشور في مجلة Chronique d'Egypte
المجلد ٥٩ لسنة ١٩٥٥ عنوانه " Sur les fonctions du praktor Xenikon "

صفحت ١٠٧ - ١١١ عرضت فيه لتصرف على ماهية هؤلاء الجهاد المستعين بالقسماء
وقدبت وجهات النظر في هذا الشأن ونبط هؤلاء يسكنون المدينة وتصرف الفريسي
Xenikos بأنه هو بالنسبة للمواطن في مدينة حرة اي ليس politikos
ولسنا على علم بما اذا كان يتعين الحصون على اذن خاص بانتقال هؤلاء الفلاحين

الملكيين من قرية لاخرى * وهؤلاء الفلاحون الملكييون كانوا من احرار الرجال وليسوا
اقتنا او عبيدا ويستند على ذلك من عدة حقائق منها انه كان مخولا لهم حرية الحركة
على النحو الذي نوهنا عنه آنفا ويمكن الاستدلال كذلك على مركزهم من الممتلكات
التي كانت تربط بينهم وبين اصحاب ضياع الهبات والاراضي التي كانت في حدود الجند
فالهبات التي كان الملك يمنحها للموظماء وذوي الخطوة لديه لم تكن بخلاف ما تشتمل
على قرية او أكثر إنما في ذلك اراضيها وسكانها وإنما كانت تشتمل على قدر من الاروات
وهي رقعة تساوي ستة آلاف من الافدنة المصرية * وفي الحالات القليلة التي وصلت
الي علمنا كانت هذه الارض تفلح لا بواسطة اولئك الذين كانوا يملكونها بالوراثة وإنما
بواسطة مزارعين من مختلف الهبات والايمناس وبخاصة أولئك الذين استأجروا ارضهم
منها من صاحبها لفترة قصيرة مؤقتة * ويصدق مثل هذا القول على اصحاب الارض الصغيرة
الصغيرة من الاراضي المنوحة للخير من امثال اولئك الجند الحائزين لرقع متفاوتة
منها وهم الذين اطلق عليهم اسم (Cleruchs) فأصبحوا يمثلون بذلك طبقة
لها كيانها وجمعيتها وتضرب في الارض مختلفة وتحدث فسادا في علاقاتها بالسكان
المصريين الذين حلوا عليهم في منازلهم ولكنهم آثروا في كثير من الأحيان استعمال القوة
الفسومة فكانوا (apobiasamenoï) اي الثاردين بالقوة الفسومة للسكان من
منازلهم كيما يحلوا محلهم * وامثال هؤلاء المستأجرين كانوا جميعا ينتهون لطبقة عرفت
بالفلاحين الملكييين * وفي ان هذه الطبقة كانت تشمل اناسا قاموا بقناعة هذه الارض
الملكية على مدى ايام طويلة فان اسم الفلاح الملكي كان يسبق بوازا على كل من
كان يفلح الارض الملكية بصورة لزاماخرى * باعتبارهم في آخر المطاف مستأجرين من الملك
واخيرا كانت الممتلكات بين الملك والفلاحين الملكييين تقوم على عقود مدونة كالمعتاد ولم
على التقليد والعرف * وفي مجرى العصر البطلمي كانت اغلب العقود لاجداد قصيرة * و
انه ليست لدينا معلومات مباشرة في هذا الشأن فيما يتعلق بالارض الملكية التي كانت
تخضع لاشراف ملكي مباشر * فان هذا الاجراء كان مقبولا ومرغبا بالنسبة لاراضي الهبات

ولأنه لا راس الخاصة بالجدد * ولدينا حالة مشهورة تردد ذكرها في الوثائق
البردية المنشورة وغير المنشورة ، وعرف بها العلماء من أمثال " ريليفنز " و " كليبر " و
بالتصديق والتفسير وهي تتعلق بحدود من الفلاحين النجاريين من إقليم هليوبوليس
ليفعلوا ويصلحوا ضيعة أبولونيوس بالقيم ومائدوا بالفضل على أن يفعلوا ويصلحوا
الفا من هذه الوراق في هذه الضيعة البالغة في مجموعها عشرة آلاف من الوراق
ولكنهم لم يوفقوا في عملهم وأخذوا المشرف وهو المسمى (Danis) بضايقتهم
ويحتقرهم ويضيق الخناق عليهم بالقض على شيوخهم حتى وقعوا على تنازل عن عقيدتهم
قد أبطلوه بالفعل وأشاروا إلى سوء حالتهم في شكاياتهم الثلاثة واحدة منها لوزير
المالية أبولونيوس صاحب الضيعة والآخرى للمدير الاقتصادي المقيم وهو (Zoilos)
والثالثة لليونان فيها تحديد موعد للقاء وزير المالية وشرح تلك الأخطاء الجسيمة
التي لاحظوها في العمل ونوهوا بعدم وجود اهتمامي بقوم في العمل أوله برأي
بما ينبغي عمله ونحن نستدل من هذا التنازل عن عقد كان مبرما ومن الإشارة إلى هذا
التنازل graphe apostasios على أن النظم المرعى في إصلاح الأراضي وزراعتها
اقتصادي عمل عقود من الماملين في هذا القطر ونحن نذكر هنا أرقام الوثائق في
P.London 2090 ; = P.Zenab by Skeat Nos . 1954, 1955
P. London 2094 (= Samelbueh 7986) + P.S.I. 502

ثم كتاب رستفيل عن الضيعة الكبرى ع ٢٣ - ٢٥ وكتاب " كليبر " عن " اليونان
في مصر " ص ٥٠ - ٥١

ولا ينبغي أن ينسب ما نحن بالنا ان عقود الأيجار في أواخر القرن الثاني كانت نفس
أغلب الظن لأن طويلا وفي بعض الأحيان لا يرد فيها أي ذكر لفترات محددة على
الاطلاق وإنما كانت الأرض تجرى زراعتها في الظروف العادية بلا تأخير إلى أن يتراعى
للحكومة أن تحل من تأجير عام جديد (diamiasthosis) ثم تمضي نفس
تسليده * وليس لدينا من سبيل إلى التأكيد بأن صورة محينة من التعاقد كانت

مألوقة أو غير مألوقة في صدر المصير البطلمي وإنما الذي شاهدناه هو مجرد اشارات الى انواع من التماثل وتنازلات عن مثل هذه الحقوق سواء أكانت عقودا أيجارية - لفلاحة الارض أو لاستخراجها وتجهيزتها للزراعة * والتماثل على الظن ان هذه الحقوق استحدثت في عصر متأخر تحت ضغط الظروف والاجتياز * ويبدو انها كانت تمثل اجراء قديما ربما كان مطابقا منذ اقدم العصور ثم صاحب ذلك اجراء عميد اليه البطالمية الاولون وهو ابتداء عقود الاجار قصيرة سايرت الاجراء القديم ولازمته *

قيمة ايجار الارض :

كانت رقي الاراضي الملكية هذه يفلحها كمالا قلنا الفلاحون الملكي ون يبيعون عنها ايجارا سنويا للملك ويصرف هذا الاجار بالاسم اليوناني (ekphorion) * وقد يحول بخاطر الانسان ان هذا الاجار الذي يدفعه الفلاحون * كان في العصور السابقة على عصر البطالمة هو نصيب معلوم يقدر بمشربين في المائة من الحصول اي الخمس (١) ومع ذلك ففي العصر البطلمي كانت هذه النسبة غير ثابتة (pars quota =) ولو ان هذا التقدير ليس على سبيل اليقين بين قدر مناسب من الحصول اي انها كانت تمثل pars quanta وليس قدرا ثابتا هو pars quota كما كان في العصور السابقة على عهد البطالمة فالقدر المناسب من الحصول يكون مجزيا للحكومة وللملك بمقدار الكمية الثابتة * ويتحكم في هذه القاعدة عدة اعتبارات ويغني لعدة تفسيرات طبقا للحالة الراشنة لكن قطعة من الارض عتسب الفيضان السنوي من حيث ان مياه الفيضان قد خمرتتها او لم تصل اليها وفضلا عن ذلك فالحكومة تشارك في الخير والحصول الوفير اذا ما تم وتتحمل وزر ما يحدث اذا ما أصيبت البلاد بقطر أو ندرة في الحصول * فهي في الخير والشر لها نصيب * وبالإضافة الى الاجار المستحق * كان الفلاح يدفع عددا لا يتغير من الضرائب المختلفة وقائمة الضرائب المفروضة عليه * هي انها غير كاملة * رغبة للضريبة فعدد الارباب artabae من الحبوب المقر دفعها كاجار عيني عن كل ابرور أو فسدان يوناني ثم ما يضاف الى ذلك من مقادير الحبوب التي تدفع سدادا لمختلف الضرائب الاخرى * كثيرا ما ترد اشارات اليها فيما لدينا من وثائق ولكن عندما نريد التمسرف

(١) جاءت اشارة الى ذلك في العهد القديم (التوراة) سفر التكوين : الاصحاح ٤٧ (الاسفار ٢٣ - ٢٦) " فقال يوسف للشعب اني قد اشتريتكم اليوم وارضكم لفرعون هكذا لكم هذا ارضكم لفرعون * ويكون عند الغلة انكم تعطون خمسا لفرعون والاربعة الاجزاء تكون لكم هذا ارضكم للحقل وطعاما لكم وللمن في بيوتكم وطعاما لاولادكم * * * * * ففعلهم يوسف فرضا على ارض مصر الى هذا اليوم لفرعون الخمس * الا ان ارض الكهنة وعددهم ام مصر لفرعون * "

على المقدار بالضبط وتقدير ما كان يدفعه الف اخرون الملك مما توفر لهم مسكن
محصول ، تدفع في مظاهرات من الحدس والتخمين ، وما لا ريب فيه ان هذه البسيطة
لم تكن تقل عن النصف بل ربما كانت تزيد على النصف ، والفلاح الملكي كان يحصل على
الايجار المبرم معه ، ملتزما بالقيام بإصلاح الارض المحيطة له وكان عليه على ان يبقى في
القرية في اثناء الفس الزراعي الي ان يوقى ما عليه من التزامات للملك ، وهذا الالتزام
كان امرا مسلما به ولا جدال فيه ، وعندما كان الفلاح يتسلم بذور القمح من الملك او احد
موظفيه كان يحترف صراحة بهذا الالتزام وينقسم عليه قسما ملكيا وفي خلال الفصل الزراعي
كانت عين الحكومة ترقبه بواسطة عدد من الموظفين من خفر وحراس (phylakes)
ورئيس للقرية (komarches) وكاتبها (komogrammateus) ويخص بالذكر
من كل هؤلاء الموظف من الحكوميين المديدين طائفة من المندوبين الاقتصاديين عرفوا
بالاسم الاتي (oikonomoi) والواحد منهم هو (oikonomos) وهم هم
الممثلون لوزير المالية او (dioiketes) وكل فرع محافظته او قسمه الاقليمي يباشر
عماه اما شخصيا او بواسطة مندوبين ومراقبين منتشين في ارجاء البلاد ولهذا المنظر
الاقتصادي اهمية فائقة فهو بمثابة دولا لالاعمال و " دينامو " الحركة في اقليمه ،
واختصاصاته متنوعة واعماله تتسم بالدقة التامة ومجالات نشاطه كثيرة ، نستأهل منا ان
نفرق له دراسة خاصة بخصه بشي من العناية لتحديد عمله وتبين اختصاصاته فسي
الزراعة والصناعة والضرائب وتسوية الحسابات شهريا وسنويا من الملتزمين المتعاقدين على
جهاية الضرائب على مختلف انواعها ، وكانت البذور الزرعة للزراعة مختلف الحبوب وبخاصة
النباتات الزيتية كان يتسلمها اولئك الفلاحون من الملك ، ومن اولى الاغراض التي كانت
تهدف اليها الحكومة من وراء هذه القروض الاجبارية هو الضمان الاكيد بأن رقي الاراضي
الموجرة للفلاحين يتم زراعتها بأفضل البذور وفي المواعيد المقررة لزراعة كل نبات ، بصرف
النظر عن الظروف الخاصة التي تحيط بالفلاحين فبما ان الضمان بأن تلك البذور المقدمة
هي من نوع جيد وكان من واجب المدير الاقتصادي ان يحول دون استخدام تلك البذور
في اغراض اخرى غير المخصصة لها ، ولدينا في وثيقة بردية مشهورة نشرت في مجموعة

بردى تبتوسى (قرية لم البرجات بمجنوب الفيوم) رقم ٧٠٠٢ سلسلة من النصائح التى كان وزير المالية البطلمية يزود بها المديرين الاقتصاديين ويحثهم على عدم التواكل فى عملهم وضرورة السهر والاشراف الدقيق على رعاية مصالح الفلاحين والتسريع عندهم اذا يالهم بهم كرب وازالة اسباب شكاياتهم ورفع مصنوعاتهم ثم حتم عليهم المرور على الارض للاطمئنان على أن عملية بذر البذور قد تمت على الوجه الاكمل وان الارض قد انبتت نباتا حسنا وتم ترقين الاجزاء التى ماتت بذورها فلم تنبت .

الدورة الزراعية :

ولم يكن الفلاح المصرى او اليونانى حرا فى ان يفلح الارض بحسب هواه وإنما كانت هناك دورة زراعية سنوية ثابتة من اعمالى الزيف ثم فقرتها الحكومة المركزية وتسهر على تنفيذها وتصدر التعليمات الخاصة بتنظيمها بناء على اقتصاد ملكى موجه فالاقتصاد البطلمى يخضع لقواعد تسمى *économie dirigée* على حد قول عالمة البلجيكية الاستاذة كليزيرى وفى كتابها المشهور عن اقتصاد اللاجئين او البطالمة وهو الكتاب الذى نشرته عام ١٩٣٩ واصبحت نظرية الاقتصاد الموجه هى القاعدة المسلم بها واستنادا الى ما جاء فى القوانين الضريبية (*nomoi Teloniko*) التى اصدرها بطليموس فى الاول ففوس عام ٢٥٩ ب ٢٥٨ ق م : فبالتالى مسؤولية المعلومات واحكام خاصة بالزراعة والبذور والتصرف فى المحاصيل وجلبها ودفع المستحقات من الضرائب عليها بواسطة رسل من الموظفين ، يناش على رأسهم الملثمون والهباء تحت اشراف اولئك المديرين الاقتصاديين (*oikonomoi*) وعلى ذلك كان كل مدير اقتصادى يراعى بمنتهى الدقة هذه الدورة الزراعية *Hé diagraphé tou áporou* وعليه الزام الناس بتنفيذها والحرص بمقتضاها . ولتحقيق ذلك وللتأكد من ان الارض قد افلحت على الوجه الاكمل تحين على هذا الموظف الكبير ان يقوم بجولة تفتيشية يتجول فيها فى اثناء تسمه الادارى وقت ان تكون الارض لا تزال فى دور الانبات فيكون ذلك اى اخطاء تكون قد وقعت ويأمر بالتريق ان لزم الامر وصلاح ذات البين ان وقع خلاف ويسرى عن المكرويين ويرفع من مصنوعات الناس . وهذه التسم الاجتماعية لا ينبغي ان يفوتنا التنبؤ بها كحسنة

ونقلها في سفن ، ذلك ان الفلال كانت تنقل من الشون المحلية اما بحرا في النيل وقنواته
 العديده او برا على ظهور الجمال والحمير وواب النقل الاخرى الى الشون الكبرى الرئيسية
 ومنها توسيق في سفن نيلية ضخمة لها ربابنه يتسلمون عيانت من المحاصيل التي تهتلى بها
 سفنهم ويذكر في الايضالات انما غلال منطقة نظيفة خالية من كذا وكذا فيسلمها بدوره حسب
 المواصفات عند الوصول الى الاسكندرية . اما عن الاجراء الذي كان متبعها في تحصيل القمح
 فكان مخصوصا عليه في امر ملكي خاص بذلك .

اما عن المحاصيل الاخرى بخلاف القمح فكان يطبق عليها داف مائة لتلك ومن هذه المحام
 القمح او الكتان ثم العنب او الكلا الذي يستخدم لاطعام الماشية فكانت تخضع لعقود خاصة
 يسرى لفصل زراعي واحد كالحصول ثانوي دوري .

الارض المخصصة للمعابد :

كان شق كبير من ارض مصر مما هو صالح للزراعة او القابل للاستصلاح ينتمي في العصور
 السابق لمصر البطلمية الى المعابد وكانت هذه الارض تعتبر كأنها ضيعة خاصة بأحد الالهة
 موصد دخلها وايرادها على اله او الهة من الالهات العديدة في مصر . ومصر كانت تغطي فسي
 عصر الالهة بملفمه من الالهة المصرية والالهة اليونانية اختلفت بعضا في بعض بلاد
 التصرف والمقابل والتماثل . والاراضى الموصودة على كذا هذه الالهة كان ينقسم
 بفلاحين عبيد هذا الاله او ذلك وهو لا كان يملك عليهم في الاصطلاح اليوناني العبيد المقدسون
 على ان يخدم هذه الاراضى كان في حوزة الكهنة انتقل اليهم بطريق لانتوارث فكان من حقوقهم بيعه
 وتأجير او رهنه كما لو كان ملكا خاصا لهم . اما الانصبة من الاراضى التي كان يفلاحها عبيد
 الاله فكانت كذا لك مخصصة لهم لعدد غير محدود ومن حق مستأجرها التصرف فيها حسب هواه
 وهنا يجب ان نضيف ان جميع سكان المعبد كانوا عبيد للالهة بصفة خاصة .

النظر عن مهنتهم ، بل ان الكهنة الذين كانوا يشغلون مراتب دنيا مثل رعاة الاوز
(Chonoboskoi) وحراس الحيوانات المقدسة والمقائمين بالطوائف كان يطلق على
كل هؤلاء الحبيد المقدسون (heirodoulai) .

وهذا النظام الذي احببنا هنا الى هيلكه العلم وصل الى علمنا منذ رأت عنه بطريقة
مبتورة من وثائق متناثرة من العصر الهلنستي وخاصة في العصر الاخير من هذه الحقبة
ومن الوثائق الديموطيقية . وربما كان هذا ثمرة تطورت في هذا العصر الهلنستي وربما
كان هذا الوضع قد ورثه البطالمة عن الماضي فحرصوا عليه ولم يغيروا شيئا كثيرا ففى
معاليم الاساسية . وانا لنعرف كيف ان البطالمة كانوا حريصين كل الحرص على عدم المساس
بتغيير اي شيء في الصلوات والعبادات والنظم المرمية في المعابد فأبقوا عليها كما توارثوها
من اقدم الحصور ايثارا منهم لعدم اغصاب الكهنة المضربين وهم الذين كانوا يمثلون
المعاقب الوطنية ومراكز المقاومة . والبطالمة كانوا بالتأكيد حريصين على عدم تحوير املاك
المعابد او ايراداتها الى الاغراض العلمانية (فيما عدا ما يقا من الارتفاع بايرادات
ضريبة الازمة وغيرها المخصصة لعبادة ارسيتوي الثانية التي رفعت الى مرتبة الالهات وكان
هذا الاغراض علمانية والصرف منها على نهج واثب ففى اي حال فلم يصل الى سمعها
شيء عن اي مصادرات على بطاني واسي او عن تحوير شئ من الاراضي المخصصة علمية
المعابد الى ارتفاع الاراضي الملكية كما يشهد الملك بل على العكس حدث ان استولت
على المعابد انواع كثيرة من المنح والخطايا والحقوق مثل حق الجيرة والاهواء
الذي توضع في منحه ملوك البطالمة الاخرون مثل بطليموس الخامس الملك بالاسكندر
وكليوباترة الثالثة (١٠٧ - ٩٦ ق م) . و بطليموس اوليتيس والد كليوباترة السابعة
وكليوباترة السابعة نفسها .

ومن ذلك فقد حدثت بعض التغييرات والتطورات في العلاقة بين الملكية البطلمية
وبين المعابد وقد وصل الى علمنا بعض هذه التغييرات وكان من اولها ما يتعلق

المصطلحات ففي التسمية التي اطلقت على ارض المعابد وهي (gé Heira)
تطابق من التسمية التي اطلقت على الارض الملكية وهي gé basilike * وظهر
التسميتين في الوثائق الخاصة بالمعصر البطلمي متقنة احداهما بالآخرى دليل ايضا
دليل على التشابه والتماثل في المعاملة وفي مصدر الصياغة وهو واحد
بالطبي * وانه لمن البلى انه في المعصر البطلمي كانت الارض الموقوفة على المعابد
وكذلك الايراد والدخل المخصص من هذه الاراضي الشاسعة * يؤلفان احد الموارد
الهامة في بنود الاقتصاد الملكي ويمثلان شقا في ميزانية البيت الملكي * وعلى ذلك
فهناك ارتباط وثيق بين الملك والمعابد * كن هذا نستشفه من تلك المصطلحات
والتشابه في التسمية * وربما كان هذا الارتباط من صنع البطالمة الذين كانوا اول من
ابتدعوه وربما لم يكن له وجود في العصور السابقة على عصر البطالمة * وقد يجول بالخال
ان البطالمة كانوا اول من قضى على الاستقلال الاقتصادي الذي كانت تتمتع به المعابد
في اغلب الظن في العهد الفرعوني المتأخر * ولكن يحتمل كذلك ان البطالمة وجدوا
المعابد وقد سلبت من قبل استقلالها على يد الفرس وكان يحضر ملوك الفرس وهم دارا
الأكبر وقيمير قد اتعد بعض الاجراءات التي كانت تهدف الى هذا الاتجاه وهو سلب
المعابد استقلالها وانها حقيقة مصروفة ان ارتا * زرسيس اوخوس ودارا الثالث اظهروا
عدم الاكتراف وقلة الاحترام للالهة المصرية واستغفوا بالكهنة المصريين ولم يأبهوا
بأي حقوق لهم * ولربما ان البطالمة الاولين عند تنظيم علاقاتهم بالمعابد حرصوا
على اظهار شيء كثير من الاهتمام والاحترام بالمعابد المصرية ولا يثبت ان
ان الاسكندر الأكبر لم يفته عند زيارته لمصر ان يقيم حفلا في ممفيس تكريما للاله
بتاح والالهة ايتريس وان يؤدى زيارة تقليدية لمعبد امون (تشديد الميم) في سيوه
وان اثر هذه الزيارة كان سحرسي اخذ بالباب الكهنة وفاتحة جديدة بمصر
معاملة سيئة لقوا على يد الفرس وهكذا اظهر البطالمة انهم كانوا اكثر سخاء واجرل
عطاء من ملوك الفرس * وهناك ظواهر اخرى فيما جرى عن تنظيم شئون المعابد * وفيها
اشارة واضحة الى وجود علاقات وثيقة بين المعابد وبين ملوك البطالمة وهما في بعض

هذه المظاهر فالبطالمة من اول من ابتدع وظيفة

وتلك هي التي عرفت في الاصل باليوناني بالاسم الاتي (epistates) وكل هذا الموظف في اغلب الظن هو مرشح الملك والعين من قبله وهو والممثل اياه والمسئوب عن كل الالتزامات المالية التي للملك على المعبد . ومن هذه على سبيل المثال ما كان في نطاق الصداقة والانتاج من

تسيح الكنان الربيع المسمى (byesos) ومن رتبة معتق وخلافه والمثل الاخر الدال على

ما كان للدولة من اشراف على شئون المعبد هو التصرف في الوظائف واختيار

الصالحين والوظائف الكهنوتية على مختلف انواعها

لها اهميتها من الناحية الاقتصادية فهذه الوظائف الكهنوتية كانت تمثل مصادر ايراد وموارد رزق

لا بد ان به ولها زواجب تدبر على اصحابها دخلا كبيرا . مثلما كان عليه الحال في المعابد الشرقية

وقبل البطالمة كانت هذه الرواتب وموارد الدخل العريض الناجم عنها مخصصا في اغلب الظن بواسطة

المعابد للكهنة ولصعيد المعبد بنفس الطريقة التي خصصت بها الاراضي لهم ومعين هذا ان هذه

الوظائف وما ارتبط بها من رواتب كانت تباع لمن يدفع اكر عطاء وقد خلقت هذه الطريقة في عسير

البطالمة ، فاصبحت الحكومة وليس الكهنة هي التي تتولى بيع هذه الوظائف وبراء عقود البيع

في الوظائف غير الوراثية اما الوظائف الوراثية فكان ضمن منها على رسوم تنصيب قبل ان يتولاها

الورثة ولدنيا في (gnomon of Idios logos)

التي كانت تطبق في النصف الاخير من الحكم البطلمي وفي مصر الرومانية عدة بقود تنظم هذه

القاعدة . فوجد فيما بين المواد ١٨ حتى ١٨ اشارات الى وظائف كهنوتية تباع واخرى تيسر

وهذه وتلك كانت الدولة تحصل على مالية كبيرة ومن هذا يتبين ان الحكومة البطلمية والرومانية

كانتا تتوليان الاشراف على ما يجري في الوظائف الكهنوتية وتداولها بين الشاغرين

لها والصالحين توليها .

ويحتمل جدا ان اراني المعابد كانت تخضع في ادائها لاسلوب شبيه من نيلسك .

وما لا ريب فيه انه بالنسبة لاقليم الفيوم في النضر البطلمي المتأخر كانت الادارة المحلية

تحتفظ في سببها ببيان عن اراضي المعابد ، اسوة بما كانت تفعله بالنسبة لاراضي الملكية وانما كانت تتولى اشرافا دقيقا على زراعتها وتراقب القائمين بهذا العمل وتعتبر الدخل الوارد منها وهو الايجار الذي كان يدفع بصورة او بأخرى في نظير استئصال هذه الاراضي ، كبر من الايراد الملكي فتخرج على ان الايجار يدفع كاملا وأن الاراضي قد تمت زراعتها ، وليس هذا النظام من مميزات البطالمة الاخيرين الذين اتسم حكمهم بالضعف والاستكانة ولم يكن في مكتبهم الافتئات على المعابد ، بل على العكس توسعوا في منح الحقوق والامتيازات لها فأسبقوا عليها حق الايوا* والنجيرة (Keira asyla) وسجدوا لها باقامة الشواهد في مدخلها مخفية هذا الحق الملكي مسطرا باللغة كل من ليس له شأن بالا يجتاز هذا الحرم المقدس او يمتد على اليونانية او باللغة المصرية ويحذره من بدخله مستخدما القوة الغشوية ونصب اللحية على من يرتكب شيئا من هذا ، وفي اغلب الظن كان ذلك الارتباط الوثيق بين المعابد والحكومة فيما يتعلق بالاراضي المقدسة وليد المصير البطلي الاول ، فالبطالمة الاولون هم الذين وضعوا هذا النظام او اعادوه الى ماكان عليه ، وغاية ماكانت الحكومة تصر عليه هو زراعة هذه الاراضي التابعة للمعابد على احسن وجه والوفاء بالتزام بالايجار المستحق مسددا في موعده لخزانة الدولة ، ولربما لم تكن الحكومة تتدخل في تقاليد المعابد وطقوسها الدينية .

واهم ماكان يهني به الملك هو الا تتكلف المعابد اكثر من الدخل الناجم من مواردها والا تكون معتمدة على منح او هبات من الحكومة وفضا عن ذلك فانم كان حريصا على ان يكون هناك فائض وزيادة في الدخل حتى يصل الى عيب الملك ويصبح جزءا من موارده المنتظمة وليس في وسعنا معرفة مقدار هذا الفائض ، ولماكانت صيانة هذه المعابد تمثل مهمة باهظة التكاليف فمن المحتمل ان الشئ الاكبر من هذا الدخل المتحصل ميسر المعابد كان يحوط عليها في صورة عطا* او راتب (syntaxis) تدفعه الحكومة للمعابد ، وتجد حالة شبيهة جدا فيما يتعلق بما تصرفه عن ضريبة الاپوموير (apomoir^{ra}) وهي ضريبة تقدر بالسند من المشركين من حضيلة الكرم والبساتين وكانت تجبي قبل عهد

في بلادنا من بواسطة المعابد من اصحاب هذه الكرم والبساتين فلما جاء بطليموس في بلاد نفوس
اصدر بوصفه الممنون على الشؤون الخاصة بالالهة والمعابد ، امرا يقضى بان هذا
الدخل ينبغي تخصيصه منذ السنة ٢٥٨ ق م . لتلك العبادة الجديدة لاخته وزوجته
ارسيثوي الثانية التي رفعت الي مرتبة الالهات بعد وفاتها وصدر القانون الخاص بذلك
ضمن القوانين الضريبية Nomoi Telonikai الخاصة بالتزام جباية الضرائب . وما
لا يرب فيه ان : زءا من هذا الدخل المتحصل من تلك الضريبة كان يصرف على اغراض
المخصصة لذلك . و اذا كانت هذه العبادة الخاصة بأرسيثوي قد ادخلت في جميع
المعابد في مصر كما هو المحتمل ، فان كل معبد كان يتسلم نصيبه او قسطه منها و اذا
لهم يكن الامر كذلك ، فان تلك الاموال كانت تصرف على المعابد الجديدة التي انشئت
لالهه الجديدة . وعلى اي حال فانه عند وجود وفائض من هذه الاموال فالحكومة
كانت بالطبع تتصرف فيه حسبما يروق لها ، وهي في الحق قد فعلت ذلك فصرفته على
اغراض علمانية لانتم للدين بمصلحة قد دفعت منه اجورا لموظفيها ولدينا الدلائل على ذلك
في وثيقة بردية منشورة في مجموعة بردي رينون الم محفوظة بجامعة كولومبيا بنيويورك رقم

(P.Columbia Zenon (٥٥)
No 55)

ومن ان معلوماتنا طفيفة عن الارض المرصودة على المعابد فالراجع ان هذا النوع
من الاراضي كان يدار طبقا لنفس السياسة ونفس الاسلوب المرفي في الارض الملكية
وكان الهدف الاساسي من وراء ذلك كله الحرص على تقديم البعوض للمعابد باعتبارها
نظما اساسية وهامة تابعة للدولة وهي المسئولة عن وجودها وبقائها سليمة وميسرة
لمن يرتادونها فتوفر منهم على حياتهم وعلى المحافظة عليهم من اي شريك عليهم وهم
في داخل محاربتهم وجرمها المقدس . و اذا حدث ان نجم عن الادارة الحكيمة لهذه
الاراضي ان وقت الارض المقدسة بفائض من الايراد وفرت للحكومة فانه يكون من حقها
ان تستخدم هذه الاموال على النجوم الذي يروق لها ، وفي ضوء كل هذه الاعتبارات
ليس من الممكذ ما اذا كانت المعابد قد باءت بخسارة او حققت فائدة من التفسير

في اوضاعها . وما لا ريب فيه ان المعابد لم يرن في نظرها هذا النظام الجديد الذي كانت فيه اصبحت الحكومة ظاهرة في كل الخطوات فقد حرمت المعابد من المهينة "الابوية" القديمة التي كانت لها على مواردها وقللت من نفوذ الكهنة في شئون المعابد وفتحت ابواب المعابد على معارضها لندوبى الحكومة الذين كان اغلبهم من الابائى وليسوا من المصريين . وهذا وضع لم يكن محببا للكهنة بحال من الاحوال ولكنهم قبلوه على مضض وفي نفوسهم غصة وسارت الامور على هذا النحو الى ان حانت الفرص كيما يكتسب الكهنة للبطالة ويثثروا في نفوس المصريين روح الوطنية .

والثورة على حكم البطالة الاجنبى فكانت المعابد بمثابة معاقب للقوية المصرية المتأججة .

الاراضى المنزوعة للضياع والجنود في الجيش البطالى المربط :

ان الفلاحين الملكيين من ناحية والمعابد والكهنة من ناحية اخرى ارتبط كاللصا ارتباطا وثيقا منذ اقدم المصور بالحياة الزراعية في مصر ونحن نعلم ان البطالة واجهتهم مشكلة ذات اهمية بالغة بالنسبة للجيش وتعبئته ودفى رواتب الجنود واستكاثهم بوصفهم جيشا مربطا . البطالة له ان يكون تحت ايديهم وورث اشارتهم في اى وقت ولايتحكم فيهم احد من حكام البلاد التى يستوردون منها القوات المرتزقة التى كان يتألف منها جيشهم هذا . وبالتالى لم يخل بخاطر اى من ملوك البطالة الاولين الاعتماد على القوات المصرية المحاربة وتليقات المليشيا من العناصر المصرية التى اطلقوا عليها الاصطلاح اليونانى وهو (machinoi) حسب الوصف الذى نعتههم به هيرودوت وحمله من معانى التحقير والازدراء الشئ الكثير من حيث الملبس والمظهر والتدريب والسلاح ، ما جعل اليونان ينفرون منه ولا يفرحون عليه . وعلى ذلك لم يدرب بخلد البطالة ان يحولوا هذه الفرق العسكرية الوطنية الى جيش قومي دائم . ومن الجانب الاخر هناك ناحية لها خطورتها . تلك هي الارتباط بالمصرف على جيش دائم من المرتزقة ودفى رواتب الجنود فتلك كانت تكاليف باهظة للغاية وقد لا تقوى عليها موارد مدير المالية وهى ان ذاك كانت

لا تزان حديثة العهد بالنقد وتعتمد فن كثير من موارد الحياة على أسلوب المقايضة والتبادل المصنعي ، فأنى لها بالكبحر الهائلة من النقد للصرف على جيش مرتزق ؟ تلك مشكلة عويصة واجبة عليها البطالة بحري وشجاعة واستطاعت حلها في شيء كثير من الذكاء والفطنة . وكان المعروف منذ اوان الامران الحاجة الى وجود جيش مرابط هي حاجة ملحة وان بقاء الجيش في معسكراته معظم الوقت يجرى إشارة الحكومة امر مسلم به . ولحسن هذا الاشكال فعمد البطالة الى الاهتداء من ناحية بالتقاليد المصرية ومن ناحية اخرى الى تطهير تجربة الاسكندر وخلفائه وما مارسوه في هذا الشأن من حيث الاعتماد على عدد ما فعلى الانموذج اليونانى وبخاصة الاثينى وهو اتباع نظم الكليرويكيات (Kleruchies) او الاقطاعات العسكرية الممنوحة للجند من الارض ، يحوزون اياها ويحصلون على الايراد الناجم من محاصيلها في مقابل اداء الخدمة العسكرية وتلبية نداء الواجب الحسكرى متى نفخ في البوق ودعا انداعى الى ذلك اما فى التدريب السدوى او فى خوض الممارك .

وهكذا احتفت ملوك البطالمة المتعاقبون ببعض قائم ومربط يتألف من المقدونسيين والمرتزقة على مختلف جنسياتهم من يونان وكريت واسبوين ومن على شاكلتهم من اعطيتهم بالصفحة اليونانية وكانوا يدفعون الجزء الاكبر من اجورهم الى الجيش لا بقدا وعنا كما كان يألفه الناس اذ ذاك وانما عينا فقط وكان هذا بالتخصيص عبارة عن رقب من الارض مقسمة الى اربعة متفاوتة فى المساحة يستحوذ عليها كل واحد من هؤلاء بحسب رتبته العسكرية والسلاح الذى ينتمى اليه من فرسان ومشاة وخدابة فى الاسطون وكانت هذه الرقب تنبأ من خمسة آرورات الى خمسة وعشرين ، وخمسين وستين وسبعين وثمانين وتسعين ومائة ومائة وعشرين وهؤلاء فى الـ *Pentartourous* صاحب القدادين الخمسة الى *hekatontarourous* صاحب المائة فدان يوناني الخ وكان المفروض ان الدخل السنوى الناجم من محصول هذه الارض يكفى للوفاء بحاجيات الجند واسرهم فومهم بما يلزمهم من اقوات وسهل الجيش وعلى اى حال فليد ان هذا كان يسد رمقهم ويدفع عنهم الحاجة

إلى مد أيديهم للفير . وكان الافراد الذين تسلموا من الملك مثل هذه الرقع مسن
الارض يطلق عليهم كلمة أصبح لها مدلولها في التاريخ البطلمي وهي Kleruchoi
اي الحائزون لتلك الانصبه صغيرها او كبيرها على حد سواء اما النظام نفسه فيطلق
عليه كلمة Kleruchia وقد عرض له عابان فرنسيان مشهوران اولهم مسبا

ليسكيه " Lesquier , Institution Militaires des Lagides
والكتاب صدر سنة ١٩١١ ثم جاء عالم فرنسي آخر في الخمسينات اسمه " لونيي"
Launey فأصدر كتابا ضخما من جزئين عن الجيوش الهيلينية والابحاث المتعلقة

بها وافرد للبطلية فصولا مستفيضة Recherches sur l'Armée Hell.
عام ١٩٥٠ فمن يريد الاستزادة في هذا المجال فعليه ان يرجع لهذه المؤلفين .
فالموضوع شائق وله جانب طريف ويمثل ركنا في الحضارة البطلمية وواجهة مشرقة فالجيش
البطلمي لم يكن جيبا عاطلا او متوقفا على الجانب العسكري من كروفر وحرب وجالاد وانما
كان أداة تحضير وتمدين واصلاح في مجالات عديدة من زراعة وصناعة وتجارة وبناء وتعمير
واقصاد وتعليم وثقافة ورياضة وموسيقى . فالجندى اليوناني لم يخف ايدا عن مباشرة
أوجه النشاط المحيطة الى قلبه والتي الفها في بانيه . والحكومة البطلمية من جانبها
كانت تشجع الجند والضباط على ان يحكفوا على هذه النواحي الثقافية حتى يكونوا مرآة
لفيرهم يحاكبها من حولهم من المصريين . ومن هذه الزاوية يمكن ان نعتبر الجيش
البطلمي المربط اداة تحضير فعالة فالمصريون اختلطوا بهذا الجيش الذي أقام بين
ظهرانهم واحتكوا بأفراده في الحق وفي الجرن وفي السكن فتأثر بهم المصريون من
حيث لايدرون .

اما عن الكيفية التي نشأ بها هذا النظام وترعرع في جنات مصر على عهد كل من
بطليموس الاول (سوتير) وابنه بطليموس الثاني (فيلادلفوس) طوان حقبة تربي على
الثمانين عاما ومن الاسلوب التمهيدى الذي طبق به ثم مدي التوسع فيه فاننا نعتد
ان معلوماتنا في هذا الشأن طفيفة . وكل ما نستطيع قوله هو التأكيد بأن البطلمية

عندما اقتبسوا هذا النظام ، متأثرين بأن الإسكندر اتبعه وان أحد خلفائه وهو " سلوقس " طبقه
 في الشام فأسكن جنده في جميع هائله في مدن او في مستعمرات خاصه بالجند اطلق عليها
 لها كيانا وتسميته بنصيب من الحكم الذاتي — لم ينحوا نحو هذا الاسلوب وتعاشوا عيوسه
 التي لم تكن لتخفى عليهم فتجميع الجند على هذا النحو ليس من الحكمة في شيء من وجهه
 النظر السياسيه البحتة — اما الجند اليونان في الجيش المصري فقد روعى في توزيعهم ان ينتشروا
 في جميع ارجاء البلاد بين قاصيرا ودانيرا وكانت رقع الاراضى المنوطة لهم تقع في احيان كثيره
 في نطاق القرى القديمه او الحقيقه وفي احيان في نطاق القرى والبلدان المنشأ حديثا على حواف
 الصحراء باقليم الفيوم فعند ولدت مثل حيا على ذلك في نطاق بلدة او قرية فيلاد لفي المنشأ
 الحديثه المحدثه اقاموا ابو للوثيون وزير ماليه فيلاد لقوم واتخذ منها نموذجا يحتذى في التخطيط
 فسقط شوارعها على الناحي الذي تسقت عليه مدينه الاسكندريه نفسها من اتباع الاسلوب الحديث
 الحديث ان ذلك الذي خالفه المحدث من اليوناني هيروداس وهو ان تكون عيسى
 شكل رقع الشوارع في شوارعها مستقيمه متقاطعه بها هوائك على جانبيها واحياء سكنيه وشوارع مخصصه
 لبناء المباني من مصرية صميمه ويونانيه مجاوره . وفي نطاق فيلاد لفي هذه اشكن عدد ضخيم من هؤلاء
 الجند سواء منهم كانوا حديثي العهد بالجنيد او كانوا من قدامى الجند المخضرمين
 بين مشاه وفسان ولهم سكرتير خاص بالكيف يدعى مبالعهم ويشرف عليهم في نطاق
 فيلاد لفي وما يحيط بها من قرى متجاوره ولربما كانت رقع الاراضى المخصصه لاولئك الجند في هذا
 الزمام الواسع لا تمثل جزءا من الميه او النصفه التي بلغت عشره الاف من الارواك اسبغيا باليموس
 فيلاد لقوم على كثير وراثه تقديرا له ولشبابه
 وكانت هذه المخصصه او الانصبه العسكريه المنوطة لاهبات من الضباط والجنود
 عيسى مختلفه من اتبعهم متفاوت عيسى مقدارها بحسب منزلته صاحبها ولربما

روعى في ذلك الاقدمية في الرتب والاسبقية في التجنيد والبلاء الحسن في القتال والعنصر
الذى ينتمى اليه الجندى او الضابط وعلى اى حال فقد اختلفت الموازين التى يحقضاها
كان يتم هذا التحديد لرخصة الارض والمساكن انه لم تكن هناك قاعدة واحدة متناسقة
في هذا الشأن وأكبر الحصص كانت في القليل النادر لا تفوق مائة آرووات وبلغت مائة

وعشرين من الارورات * والارض سواء ما كان منها منزرا او حديث المصير بالاصلاح والتجهيز
للاستزراع * جرى تسليمها لأولئك الجند والضباط وعلى فى حالة لا بأس بها * يستطعون
مصرها ان يبدوا زراعتها أو إعدادها للزراعة في القريب المآجل * ومنها من وسائل
الرى والمصرف ما يكفى على الاقل للشرع فى زراعتها فوراً ثم على هؤلاء الجند ان يحصلوا
على ادخال التحسينات بأنفسهم وعلى نفقتهم الخاصة وتحت مسؤوليتهم وكانت الدولة
تقدم لهم الممنون التمتع وكدهم بالقروض نقداً وعينا وتجهيلهم الى سعة حتى يردوا ما اقرضوه

ولما كان أولئك الجند معرضين باستمرار للتعبئة الحاملة او الاستدعاء

(epaggelma) بين حين وآخر اذا ما دعا داعى الحرب او لاداء الخدمة

في الحصون والاستحكامات فى أماكن نائية فى مصر أو فى الخارج او لاداء الخدمة

المسكورية فى الاسكندرية فى حامية الملك وقوات الحرس الملكى او للقيام بالمناورات فى

الصحراء وفى حواف المدن - لهذا كله أصبح هؤلاء الجند فى حيرة من أمرهم بسبب

الواجب المسكوري وبين طلب الرزق من استثمار هذه الاراضى على الوجه الاعلى

والتوفيق بين الحالين امر صعب المنال +

وعلى اى حال فهو هؤلاء الجند كانوا بالتاكيد مشغولين عن الارض والزراعة وخاصة

فى صدر العصر البطلمى حيث كانت الحروب الخارجية على أشدها وتكاد تكون متواصلة

وعلى مدى سنوات متصلة فبطليموس الثالث نفسه خاض للحرب عبر الفرات فى باطل لبعض

سنيين وكانت زوجته برينيقه " البرقاچه " قلقة عليه تذهب كل يوم الى مقبرته فسي

كانوبوس (ابي فير) وتدعوه لسلامة العودة وقامت بحملة من شمرها ورصدتها

قربانيا * ومن هنا طلع الفلكى اليونانى بفكرة نجم الشجرة يمد ان رصد السماء فوجد

لها وكبر وكتب الشاعر البرقاوى أو القيرى كالمشهور قصيدته التي اسمها
 لم يحد الجند والحاله هذه قادرين على الأرض من واجبات أعاء موسيه بل
 ويوميه فهذه الحصص من الأرض لا بد من حصدها وتشوينها وتسويتها الخ من الاعمال الزراعيه
 المتواليه . ولك ذلك اضلرت بمحمد أغلب الجند الى تأجير حصصهم للغير فو كثير ممن
 الاحوال فوجد المتداعين الى تحمل هذا الصب يشفق . وكان يكون ()
 وكيل ام ليتور والمشرق على ضيقه هذا الوزير في فيلاد ليا من السابقين الى تحمل الاشرف
 على هذه الوقع من الأرض وكان له دور كبير في اداره هذه الاراضى الواقعه في كرام فيلاد ليا
 والقرى المجاوره . وفي بعض المحالات النادره وخاصه قبل ان تحدد الحكومه النظاميه الى
 تخصيص هذه الاراضى للجند بحصصه نهائيه كانت الحكومه تتصلح بنفسها براءه هذه الاراضيه من
 الاراضى ثم تقوم بتسليم المحصول الناتج من اى الجند ولديها مثل على ذلك في وثيقه برديه
 مشعوره هي برديه قريه بروج

ولا تزال هناك تفاصيل عديدة متعلقه بهذه الاراضيه من اشياء كثير من القروض
 وتحتاج الى مزيد من الشرح والتفسير ومن امثله تلك الحالات التي انقسم فيها النصيب من الارض
 الى شقين على اعتبار ان كذا او مجازا واحدا للتصنيف وكانت يعامل
 معاملة الحصص الاخرى ان الكليات وذلك بان يدفع عنه غرائب وليس ايجار يوفيه الجندى
 عن اقطاعه .

اما النصف الاخر فكانها هم جزء من الارض الملكيه استحق ان يدفع عنه ايجار

(انظر الوثيقه البرديه المشعوره في مجموعه بردى التتولون)

وفضلاً عن هذه الأنصبة من الأراضي المخصصة للجند على سبيل العطاء أو الاجر
في نظير انصرائهم في سلك الجندية وهي اساساً جندية محترفة لا ترتزاق - كانت الدولة
تسبغ عنايتها على الجند فتخصص لهم مجالات للسكنى ^{أو ما في ثكنات أو قشالات :}

Katalyseis ، Skenae أو تنزلهم في بيوتات oikenata يحلون فيها

على سكانها الاصليين ويخصص لهم فيها اما النصب أو بعض الطوابق أو في الحشوش
المحيط بالمسكن Peribôle ويطلق على هذا النظام كلمة Stathmodosia (

والمساكن هي Stathmoi والساكن أو المنزل Epistathmos

أما صاحب البيت فكان يطلق عليه Stathmouchos أو Kyrios • وما أكبر

الخلافات والمشاحنات بين المالك الأصلي والمنزل وما أكثر الشكايات التي كانت ترفع

أما للملك أو لأحد كبار موظفيه • وتجرى تسويتها بالطرق السلمية فان تعذر ذلك

تعرض القضية على محكمة Chrematistae أو المحكمة المختلطة (koinodikion)

للفصل فيها • وفي القرى التي أنشأها البطالمة مثل قرية فيلادلفيا كان الامر يسيرا

اذا كان من السهل بناء وتشيد مساكن جديدة لايواء أولئك الجند دون مساس بأحد

وكان هذا التشييد والبناء على حساب الملك أما في البلدان والقرى القديمة مثل ادفو

(Apollonopolis) وساحية أرسينوى الموجودة في كنفها فقد ترامي إلى سعي الملك

بطلميوس فيلادلفوس أن الجند يتصرفون تصرفات سيئة ويمعبثون بحقوق الفير ولا يتقظرون

حتى تخصص لهم المساكن بواسطة الموظف المختص وهو مدير الشؤون الاقتصادية

(oikonomos) وهو المكلف بتوزيع المساكن على الجند ثم يحلون على الأهالي

وانما يستخدمون القوة المشومة (bia) ويقتحمون البيوت ويطردهون سكانها الاصليين

ويحلون محلهم وقد كتب الملك بهذا المعنى إلى سكرتير أولئك الجند وكان يسمى

أنطيوخوس (Antiochus) بأن يشرح حدوث مثل هذه التصرفات مستقبلاً ولا يحطى

الجند من السكن الا ما هو ضروري وأنه اذا ما طلب إلى هؤلاء الجند بأن يذهبوا

للتدريبات العسكرية فعليهم ان يخذلوا المساكن إلى حالتها الأولى ولا يخلقوها وينقصوا

الاختام عليها كما لو كانت ملكا لهم وحتى يحدوا اليها مرة ثانية وانما يعهدونها الى
حالتها الاولى ، ذلك أن المساكن العسكرية هي ملكية وملك للملك
" hoi gar stathmoi basilikoi oisi "

تلك هي الحملة اليونانية التقليدية التي ورت أكثر من مرة في الاوامر الملكية التي أصدرها
بطليموس في الادلفوس خاصة بتنظيم موضع اسكان الجند ، ثم " ختم بطليموس خطابا الى
الطبروخوس بأن يعهد الجند عن قرية " أرسينوى " بقدر المستطاع وإذا لم ارفعوا لهم
ان يبنيوا لأنفسهم بيوتا oikemata من اللبن كما كان يفعل اسلافهم في مثل هذه
الظروف ، ولعل السبب في كل هذه التعاقب قلة مواد البناء وفقر البلاد في الاخشاب
وضرورة استيراد الاخشاب المعالجة من شجر الأرز من لبنان وسوريا وزاد الطين بلة
كثافة السكان وحيث الرقعة السكنية مما دعا الى إحلال الجند في بيوت الاهالي بمقتضى
أوامر صادرة من الملك وكان هذا التصرف مدعاة الى الاحتكاك وسببا في الشغب والبهوض
بين الطرفين ، بل وفي الصراع الدموي بين طرفي النزاع ، وهكذا شهدنا منذ الايام
الاولى في حكم البطالمة نظام اسكان الجند وماجره من مساوي ، بإحلال الجند على
الاهالي بدون جبرية أو ذنب اقترفه صاحب المسكن الاصلى وعلى ذلك يمكن القول ان
اسكان الجند بهذه الطريقة التعسفية والعشوائية كان يمثل عيبا خطيرا في التنظيم
العسكري البطلمي ومصدر إثارة للاهالي باستمرار ولعل التشريع الذي أصدره بطليموس
يورجيليس الثاني عام ١١٨ ق م ، وسوى به الخلاف بين زوجته كليوباترة الثانية وانهم الحرب
الطاحنة بين الطرفين ، خفف من هذه المشكلة بإعفائه بعض الطبقات من ان يحل عليها
بزلاء ، وتلك الطبقات هي الجند ثم الكهنة ثم القطارون للخدمة والحصارون للزيت ورعاة
الاور المقدسة والنساجون ورعاة الخنازير واستثنى أصحاب البيوت الواحد من تحمل
هذا الصية وجعل نصف البيت الثاني إن وجد ، هو الذي يمكن ان يحل فيه أحد من
أولاد الجند ،

وفي القرن الثالث قبل الميلاد لم يكن قصد البطالمة أن يجعلوا من الجنود ملاكاً حقيقيين فتلك الانصبية من الاراضى التى أقطعوا اياها وتلك المحلات السكنية التى جعلوا عليها أو نزلوا فيها كانت كلها عقارات ملكية ، أعطيت على سبيل الرخصة القابلة للاسترداد فى أى وقت حسب رغبة الملك فلم يكن للضابط أو للجندى الحائز للنصيب من هذه الارض أو الساكن فى نصف بيت أو طابق منه أو الحديقة المحيطة بالمنزل ، وإن وجدت ، ان يتصرف بالبيع أو الرهن أو الهبة أو التأجير من الباطن أو الاستدانة على هذا المكن فهذا كله محرم ، وهناك عقوبات صارمة بدفع خمسة أمثال أو اثني عشر أمثال ما تمسده على سبيل الضرامة (prostimon) وفضلاً عن ذلك اذا طرد زميله مستخدماً فى ذلك القسوة المشهورة (apobiasaneno) دفع عن السكن الاصلى ثلاثين دراخمة عن كل شهر وستين دراخمة عن السكن فى الحديقة عن كل شهر طوال المدة التى أدين فيها بأنه ارتكب هذه الحماقة وطرد زميله . على انه فى واقع الامر اذا سارت الامور على مايرام وساد الوئام بين الطرفين كان الضابط أو الجندى يترك شأنه متشغلاً بما حازه من ارض وسكن ، لا يتركه رصوفه احد ولا يدفع ايدياراً عن هذا المكن فهو منحة من الملك لأجر عليه ، إلى ان يموت الجندى فينتقل الوضع إلى ابنه من بعده وإلى زوجته فتبقى فى مكانها . وفى الواقع كما نجد فى بعض الحالات ان الابن يمشى كشريك مع ابيه فى دفع الايديار عن النصيب من الارض ويشار اليه على انه شريك (sygkleros) (انظر بردية منشورة فى مجموعة المتحف المصرى فى مجموعة بردي زينون P.Oairo Zenon NO 59001 هامس على السطرين ١٤٦ و ١٥٠)

وكان الجنود الحائزون لانصبية من هذه الاراضى يدفعون العديد من الضرائب المستحقة على هذه الانصبية وكانت بعض هذه الضرائب أشبه بما تكون بتلك التى كان يدفعها الفلاحون المالكون وهاتى بعض هذه الضرائب ضريبة التاج (stephanos) وضريبة معادلة على الارض المنزوعة مقدرة بحدود من الارادب (artabieia) وضريبة لميانية الجسور (ohomatikon) واخرى للخفارة والحراسة (phylakitikon) وضريبة فى نظير الخدمة الطبية (iatrikon) وربما كانت هناك ضرائب اخرى بخلاف

تلك الضرائب المعتادة التي كان يشارك في دفعها باقي السكان في مصر + ولم يكن أولئك الجنود الجائزون لائمية من الأراضي عرضة للقيام بأعباء وتكاليف اجبارية ولكن الملك كان حرا في ان يطلب منهم أداء أي خدمات غير اعتيادية على سبيل المسخرة (leitourgia) في حالات الطوارئ والعمليات + شأنهم في ذلك شأن باقي السكان في مصر +

وهذا النظام القامى بتخصيص رقع متفاوتة في مساحتها من الأراضي المنزوعة نسبة لطوائف من الجند والقبائل من اجل توفير سبل المعيشة والرزق لهم وتزويدهم بمورد محترم يد رعليهم م دخلا منتظما يجب عليهم في غير حاجة لمساعدة الغير + تطلب قدرا كبيرا من الاشراف الاداري المتواصل فالحائز منهم لحصة او نصيب من هذه الارض (kleros) كان مسئولا امام الحكومة عن زراعتها وكان بدوره يخضع لرقابة شديدة من رؤساء بلدياته وكذلك من الموظفين في السلك الاداري + وعلى سبيل المثال كانت القاعدة بخصوص التقاوى وبذور القمح (sitos) التي كانت الحكومة تقدمها على سبيل القروض + يجرى تطبيقها عليه كذلك + ومع ذلك فالجندى الحائز لنصيب من الارض كان اكثر حرية من الفلاح الملكي في كيفية تصريفه وإدارته لهذا النصيب + اما نظم الدورة الزراعية (diagraphé tou sporou) او التوزيع الرسمي للمحاصيل + فلم يكن مطبقا على هذه الانصبة العسكرية + وفيما عدا بعض المحاصيل (وهي النباتات الزيتية وربما الحشائش) كان الحائز لنصيب من هذه الاراضي حرا في قاعة ارضه على النحو الذي يرون له + ولما لمصرف ان يحضرا من هؤلاء + بدلا من زراعة الحبوب + حولوا انصبتهم وخصصهم من تلك الاراضي او جزءا منها على الأقل الى كرم واحراش الزيتون او حدائق + ولعلهم عمدوا الى هذا التصرف بعد الحصول على اذن خاص من الحكومة وبالشروط المألوفة المطبقة بالنسبة لغير الاراضي (kataphytosis)

على ان الملك كان من ذلك يعتبر نفسه صاحب هذه الانصبة من الاراضي وحقيقتهما تخرجهم هذه الاراضي من بطونهم وماتلفهم من ائتمار يأتين في المقام الاول + وكما هو الحال بالنسبة للفلاحين الملكيين + كانت المحاصيل يتم الاحتفاظ عليها بوضعها تحت اعين الجراس الى ان يتم الوفاء به في جميع الضرائب المستحقة على هذا الجندى الحائز

لذلك النصيب * ولا يحق له ان ينقل لمسكنه نصيبه من هذه المحاصيل او يزيحه من الحقول او الاجران حتى يحصل على تصريح بالافراج عنها (aphasis) من الموظفين الملكيين *

كان هدف البطالة من انشاء النظام " الكليروكي " القاضى بتخصيص حصص وانصبة من الاراضى لطائفة الجند كيما ينتفعوا بنصيب مما تنتجه هذه الاراضى على سبيل الاجر المينى عن تلك الخدمات العسكرية يؤدونها للدولة - يرمى الى تحقيق عدة اغراض * بعضها سياسى وبعضها الاخر اقتصادى * وقد المحدثا الى بعض منها من قبل * وهناك اعتبارات اخرى منها ان ندرة الحملة المسكوة قد تكون احد الدوافع الى اتخاذ هذا الاجراء * وان لم تكن هى الباعث الاساسى * وهناك امور اخرى ذات اهمية بالغة من اولها تلك الرغبة الاكيدة فى ربط افراد الجيش بمصر وجعلهم يتخذون من هذا الوطن بلدا امينا لهم ثم هناك الرغبة فى اقامة عاقلات وثيقة ووطيدة بين الملك والجيش * وبأتى فى المقام الثانى حرص الحكومة على ادخال اساليب جديدة فى العمل الزراعى وابتداع ربح اقتصادى وعلمية مجلوبة من الخائن * ومنها فى ارجاء البلاد فتدب فيها ربح منظرية * ومن المؤكد ان اولئك الجند الحائزين لأصبة من الاراضى لم يكونوا ملاكا بعيدين عن اراضيتهم غير آبهين باقتطاعاتهم هذه * بل على العكس اظهروا رغبته بعد الشقة اهتماما بالغا بأراضيتهم هذه وهى مصدر رزقهم الاساسى * وفى مكاتبات زيتون وارشفة المشهور رسائل عديدة دالة على مبالغ الاهتمام الشديد الذى كان يظهره هؤلاء من شايار رسائلهم لزيتون ولغيره من الشخصيات فى نطاق فيلادلفيا * بها شيدوه واقاموه من مساكن وبيوت ريفية جديدة * زينت ونسقت على احدث الطرز المرمية فى الاسكندرية تحيط بها الحدائق والزرائب وطلبت جدرانها بالجص وزينت حجراتها بالارائك * وفيلا عن ذلك فقد كان اولئك الجند يحنون بما كانوا يربونه من ماشية وطيور ودواجن وكانوا يزرعون فى اراضيتهم من اشجار * وكان هؤلاء قد الفوا حياة الريف واخذوا يترددون عليه بين حين وآخر * وكان بعض هؤلاء من الخبراء السهرة فى شئون الزراعة وخرس الكرم واشجار الزيتون وتربية الاغنام والماشية * وعلى ذلك رحبو بأن يصبحوا اصحاب اراضى زراعية فى ريف مصر مرة اخرى والمودة الى العمل الذى القوه واحبوه ولو على فترات

مقطعة - ولابد أن نذكر أن بلاد اليونان وآسيا الصغرى كانت لاتزال إلى حد كبير مالاذا
تقوم فيها الحياة الاقتصادية على الزراعة * وأخيرا كان البطالمة يبخسون أن تبقى الاموال
التي تسلمها جنودهم كأجر أو كنصيب لهم من الاسلاب والمضام أو يهبطي آخر تبقي جميع
مخزات هؤلاء المند في مصر ولا ينبغي ان تتسرب إلى الخارج وإنما تصبح محبوسة
أو مستغلة في البلاد - وأفضل نوع من الاستغلال هو تشغيلها في الأرض التي ربما بقيت
رالج فسيحة منها دون زراعة - ولولم يتم تنفيذ مثل هذا الاجراء * والمصل الزراعي في مصر
كان دائما عزيز المثل - بينما مدى اتساع رقعة الأرض الزراعية في البلاد قابل للزيادة
باستمرار - فكلما توفر المان والرجال الكفا - والمعقدت المهمة على بذل الجهد - زادت
رقعة الأرض المنزرعة واتسع نطاقها *

أراضي الهيئات (Doreai)

ان نفس هذه الاعتبارات الانية المذكورة هي التي حدثت بالبطالمة إلى ان يسبقوا
أراضي على موظفيهم المدنيين فمنحوا هيئات شاسعة من الأراضي على سبيل العطائيسا
(doreai) * وكان البطالمة الاولون وبخاصة بطليموس فيلادلفوس قد توسعوا في استياع
هذه المنح والهيئات - فمنحوا احوالهم الكبار في الشؤون العسكرية والشؤون المدنية * وقد
وردت اشارات عديدة إلى مثل هذه الهيئات في المصادر التي في متناولنا ومصرفتنا بوحدة
منها وهي ضيعة أيوللفيوس في القيم ومركزها فيلادلفيا * وثيقة بفضل ذلك الارشيف مسين
وثائق البردي الذي عرف بأرشيف زينون * وقد جاء لأكثر من الفين من الوثائق في
البردي في شتى الموثوعات العامة والخاصة وبذلك القى أضواء ساطعة على ذلك النشاط
البحري الذي بذل في استصلاح أراضي هذه الضيعة وخرس الاشجار في جنباتها حيث
اصبحت جنة فيحاء واصبحت قبلة انظار الزائرين من مصر والخارج * وقد سرد لنا العالم

A Large Estate in Egypt

الروسي " رستفنزف " في كتابه

الوانا من الحياة في هذه الضيعة وقص لنا تلك اليهود المندولة في اصلاح الاراضين

وكان يستقى معلوماته من الوثائق البردية التي كانت تحت تصرفه عام ١٩٢٢ عندما اصدر

كتاب هذا • ويظهر هذا التاريخ ظهرت مثل الوثائق التي تحكي لنا ألوانا أخرى شائعة من الحياة في خضم هذا المجتمع الزاخر بالنشاط • وقضاء عن الميل الطيبى لدى المالك الثرى في ان يربط أفراده ومساعديه الأساسيين برباط وثيق عن طريق الهيئات المسخية • فان الدافع الاساسى الذى اوجس الى البطالة في تقديم مثل هذه الهيئات هو الرغبة في ان يجرىوا نظام الضياع الفسيحة عند المقدونيين والفرس • جنبا الى جنب الطريقة التقليدية عند اليونان وهي توزيع انصبه صغيرة متواضعة (kleroi) كوسيلة لتحسين وسائل استغلال مصر • وكانت مثل هذه الضياع الفسيحة تمنح لأكثر أعران المالك نشاطا وأشد هم تدبيرا • وكان الملك يقوم فيهم القدرة على تطبيق نفس الاساليب التي يطبقها الملك في باقى الاراضى وتشجيعهم على اقتباسها والحول بمقتضاها في ضياعهم الكبيرة • وهنا يجب ان ننوه ان هذه الضياع كانت قابلة للاسترداد • شأنها في ذلك شأن الكليات • وكان اصحاب هذه الضياع في الحرق يجمعون بين صفة المالك و "الدولة" الذين ينوبون عن الملك ويحملون رهن اشارته وينفذون تعليماته • وما لا ريب فيه ان هذه الضياع كانت محاور ارتكاز ومناطق ارشاد • أفادت منها البلاد كثيرا •

الارض الخاصة والملوكة : ge idioktetos = ktemata

وهذه الارض تعتبر ملكية فردية او بالاحرى هي بمثابة ذلك فالأصل ان كل شئ في مصر ملوك للملك وهذه تعتبر اذا • ملكية اعتبارية • ان صبح استعمال هذا القياس • ليس هناك اقل شك في انه بالاضافة الى مثل تلك الملكيات الواقعة في نطاق اراضى المصايد • كان هناك قطع عديدة من الارض متناثرة في جميع ارجاء مصر • يملكها الافراد • فالتى اكن والبيوت والكرم والحدائق والبساتين كان يطلق عليها بـ ktemata • اي املاك وذلك في صدر العصر البطلمى • وبذلك ذلك • كانت هناك رقع من الاراضى المنزوعة حبوبيا وبخاصة في صعيد مصر • يجرى فيها البيع والشراء والرهن والوصية • وهذا كله بمنتهى الحرية • ومعنى هذا انها كانت تعامل • تحت سمي الحكومة وبشرط • معاملة الاراضى ذات الملكيات الخاصة • وليس لدينا من الوسائل ما نستطيع به التعرف

على أصل هذا النوع من الاراضى ، ولربما كان أصلها يرجع الى ايام الفراعنة ثم زاد عددها بالثأكير في عهد الحكم الفارسى * وعلى اى حال فعلى قدر علمنا ، لم يمد البطالمسة الى مصادرة هذه الاراضى او اتخاذ اى اجراء من هذا النوع فيما يتعلق بهذا الشئ من الارض المملوكة وانما اذكروا قبيل الاوضاع الرائدة * وفي هذا الجان كما في غيره من القانون المدنى بوجه عام ، لم يحاول البطالمسة على الاطلاق استحداث تغييرات جوهرية او تعديلات اساسية .

وفي الحق انهم منذ البداية كانوا يشجعون على التوسع فى ملكية الارض الخاصة * فالارض التى كان يكتنى لها بالاسم الاثنى : *gé idioktetos* وهى التى قامت الحكومة ببيعها لافراد كانت من مبتكراتهم وكانوا هم الذين اقروا ونظموا ايجار الاراضى بدلتى التوارث فسموها بالمعس فى زراعة الارض *emphytevna* لورثة المستأجرين باعتبار ان هذا حق مشروع لهم * وكان فى رأى ملوك البطالمسة ان فى وجود نفر من الناس ممن يوصفون بانهم ملاك اراضى ، حازوها بفضل ما اوتوه من تدبير ونشاط ، كفىل بان يسمى هؤلاء الى زيادة رقعة الارض المدرجة وتحويل اجزاء من البلاد الى كرم وحدائق وبساتين غدا * وهذا من شأنه ان يعود بالخير الميم على ملكوك البطالمسة ويكون فى صالح مصر والبطالمسة كانوا بالطبع فى حاجة الى طبقة من الناس ممن جوا فر لهم قدر من الثنى والثراء حتى يمكن الاعتماد عليهم او على الأقل على بعضهم منهم كموظفين وملتزمين وضامين لهؤلاء الاخيرين وبذا تكفل الدولة الحصول على استحقاقها * على ان وجود هؤلاء * الاعيان * بأعداد كبيرة فيه ضمان لحسن سير العمل وتأديتهم لما يوكل اليهم من خدمات واستعدادهم لتقديم ما يملكون من اراضى على سهل الضمان * وبالطبع لئلا تكن تلك الارض الخاصة معفاة من الضرائب * وليس من حرميت الحكومة على ان ترقب زراعتها وان يتم ذلك على الوجه الاكمل بحسب الطبيعة الموضوعة ونظام الدورة الزراعية * ومن امثلة ذلك ضمان زراعة المحاصيل الخاصة فسي زمامها اذا لزم الامر ثم ان الحكومة كانت تصدر كذلك على الوفاء بتسديد الضرائب

ثبت

بانتظام * وفي الحالات التي فيها المجزع عن الوفاء بهذه الالتزامات فكان الملك يعرض

الى المصادرة ويبقى هذه الاراضي وفاء لما استحق عليها من ديون * وقصة ديوان

" الايديولوجوس " (Idios Logos) وهو الموظف الكبير الذي اُشرف بالملك

حساب خاص لصالح خزانة الملك منذ منتصف القرن الثاني قبل الميلاد * وتتميز بما ابداه

في القرن الاول قبل الميلاد من نشاط ملحوظ في اء مال المصادرات ويبقى الاراضي على

بطان واسع وظهور ممالك جديدة * سارعوا الى اقتناء ما يباع وامضوا على ملكيتهم في هذه

الارض المشتراة من الحكومة - هذا كله يضيف محالي كثيرة على مدى التطور في الملكية

الارض - وقد قيل ان عهد الملك بطليموس (١٢) اوليتيس او الزمار والى كليوباترة (٧)

شهد توسعاً في بيع الاراضي فهذا الملك المفتون والمتألف كان في حاجة ماسة الى

الاموال ليقدّمها رشاً الى زعماء الرومان وقادتهم ليضمنوا له ملكه وعرشه المهمتين

او ليردوه اليه عندما طرد منه عام ٥٨ ق.م * وردوه بالفصل عام ٥٦ - ٥٥ ق.م *

تلك كانت الاوضاع المختلفة لنظام الاراضي في مصر البطلمية وهذه هي اساليب

استغلالها او اقتطاع بعض منها للخير * ويتضح من ذلك ان الحكومة كانت لديها الهيمنة

التامة والاشراف الدقيق على شئون الزراعة في جميع انحاء البلاد وليس هذا بمعجزة

لانه من الارض الزراعية كانت الحكومة تحصل على دخلها الرئيسى * فالايديولوجوس

(ekphorion) وما كان يضاف الى ذلك من مختلف الضرائب * يضمنونها ضرائب

صغيرة * كان يدفعونها * الفلاحون المليون ومخضها الاثريكان يدفعونها * البشرو

الحائزون للاراضي والملك الخصوصيون ثم ضريبة ٣٣% على الكرم ثم ما كان يضاف

(Apomoira) وهي السدس والعشر على الانتاج من القمح والحب والبقا

الى ذلك من ضريبة الايومويرا كل هذه الضرائب مجتمعة كان ي ولف بقية دخلها في موارد

الدخل المتنوع لاقتضى عدم البطالة * وكانت من الطبقات من اصحاب الاراضي

والحائزين لانتجة منها تساهم بنصيب معلوم في هذا الدخل *

ومن ذلك فليس في وسعنا ان نقول ان البطالة الاولى عندما شرعوا في

الحياة الزراعية كانوا ينفذون خطة موضوعة ومرسومة باحكام في تاريخ مسبق وان هذه

الخطات كانت تقوم على مقدمات نظرية في قياس منطقي . لم يكن هناك في أغلب المظنون
شيء من هذا والا كانوا يتعشرون في تنفيذ خططهم الموضوعة مسبقا . وهم يعتبرون
باجدين فيما صنع عزمهم عليه في سياستهم الزراعية .

وواضح انهم عند اعادة تنظيمهم لهذا الفن من الاقتصاد المصري كلن رائد لهم
عدة اعتبارات مختلفة . سبق ان الينا الى بعض منها . انهم ارادوا مضاعفة الانتاج
كما يزداد دخلهم وحرصوا على الاحتفاظ لانفسهم بأكثر قدر ممكن من الانتاج الزراعي
ولكنهم كانوا يرغبون في الوقت نفسه الا يتورطوا او يبالغوا في السير في هذا الاتجاه
فالشغل فيهم مدفوف بالمخاطر وكانوا يخشون دائما إثارة النفوس ومعلون على تجنب
معارضة الناس . سرا . كانت هذه المعارضة سلبية ام ايجابية . ولذلك يبدو انهم
ارادوا شيئا كثيرا من التعديلات والتحسينات في اسلوب جباية الضرائب المستحقة
على الاراضي . وفي قوانين الجباية بطريق الالتزام وحس الشيء اصدارها .

في بلاد نفوس علم ٢٥٩ ب ٢٥٨ ق م . وعرفت بالاسم (*Nomoi Telonikoi*)
فاستحدثوا الشيء الكثير من الضمانات من قبيل الحرص على ألا يفلت احد او يظلم
فلاح . فراقبت الموظفين وكفلت المدالة المطلقة حتى لا تتورث اثرة الشعب . وبالاختصار
يمكن القول ان هذه القوانين جعلت نظام جباية الضرائب لبا افضل مما كان عليه . وأكثر كفاية .
على ان البطالة عرف عندهم انهم كانوا ينفرون من هجر التقاليد القائمة والتشكر لنماديات
الصنمية المتوارثة في البلاد . وقد حاولوا ان يكون للحكومة الاشراف المباشرة على اكبر
قدر من رقعة الارض المنزوعة . ولكنهم في الوقت نفسه كانوا حريصين على عدم الاضرار
بمصالح طوائف مهمة من السكان وبخاصة رجال الدين . ذلك الجمع الهائلة من الملاك
الخصروصيين للاراضي وهم سند وسمامة قومية للحكومة . حقيقة ان البطالة انفسهم
كانوا يسترشدون باعتبارات سياسية واقتصادية توخوها عندما اوجدوا في محيط
الارض الزراعية " جزرا " عديدة وجديدة من الملكية الخاصة . سحروا باقتطاعها على
حساب الارض الواقعة تحت اشرافهم المباشر وفي هذا ما فيه من تفتيت للقوى . وفي هذه

"الجزر" اراضى الهبات والحيارات الخاصة بالجند والاراضى المملوكة ملكية خاصة وهذه كلها تمثل رقعا قسيحة عوقفت الدولة منها موقعا حذرا وقد ضمن البطالمة لانفسهم دخلا لا بأس به من هذه الاراضى " ذات الطابع الخاص " وكانوا دائما يباشرون نوعا من الاشراف على ادارتها ولكنهم تجنبوا بقدر المستطاع الاساءة الى مصالح اصحابها او اثاره نفوسهم . ولا يجب ان ننسى ابدا ان ملوك البطالمة اعتبروا انفسهم اسلاف البلاد وحكامها الا وثقراحيين ذوي الدول والطلون وانه ينبغي على جميع سكان البلاد اطاعة اوامرهم طاعة عمياء وقد اسبغوا على الموظفين الملائيين بعضا من تلك السلطات المشهولة لهم . ومن هذا كله فقد كانوا في ادارتهم للارض الخاصة بهم وهى الارض الملكية . يقفون احيانا مكتوفي الايدي . صابرين ومتحاملين على انفسهم ازاء ذلك الاجراء التقليدى والاحتجاج السلبى الذى كان المصريون كثيرا ما يلجأون اليه اعلانا عن سخطهم واستيائهم وكثيرا ما عهد الفلاحون الملكيون الى هذا الاحتجاج الصامت ضد بعض التصرفات الظالمة من جانب رجال الادارة والمشرفين على شئون الزراعة من " نوماركيين " وغيرهم فيعمدون الى الاعتصام بالمعابد والتمسك باليهما ويكفون عن العمل وهذا ما يعرف بالكلمة اليونانية (anachoresis) اى الذهاب الى غوث او اعلى باعتبار ان المعابد كانت تبني دائما فى الاماكن العالية حتى لاتصل اليها مياه الفيضان فتغطيها او تغمورها وهناك طريقة اخرى بديلة وهى انكى واشد وتلك يصبر عليها بكلمة (ekchoresis) اى الفرار من قرية لآخرى والاختفاء والتوارى عن ابصار الحكومة اما فرارا من دفع الضرائب او عصيانا عن العمل وبين حين وآخر يتردد فى الوثائق ضد هذه الظواهر التى كانت تشل حركة العمل وتضيق بها الحكومة ذريعا ولا تجد من سبيل الى استكمال القوة او تممد الى البطش بهؤلاء الفاضحين . ذلك ان الحكومة كانت تسوى هذه الاوضاع . لا بالمعنف والاكراه . وانما بالحسنى والتفاهم الودى . وخلاصة الموقف ان البطالمة اقاموا فى حكمهم لمصر نظاما اشبه مايكون فى كثير من الوجوه بنظام التحكم والسيطرة (étatisme) المتضمن اشراف الدولة وسيطرتها فى العصر

الحديث على مساوئ الانتلير ولكن من الانصاف للبطلانية ان نقول ان نظامهم لم يكن صارا او شديدا الصائبة ولا متسا بضمي الافق.

أراضي المراعيس

بالإضافة الى الارض الصالحة للزراعة والكروم والبساتين ، كان يملك البطلانية اصحاب
جمن اراضي المراعيس (nomai) وادعوا لانفسهم الحق في التصرف في الكاد
الاخضر الذي ينمو في الاراضي المنزوعة وفي الحقول كمحصول تكملي بعد انشائها فصل
الحصاد . وتوافر مش هذه الموارد المنظمة في الكاد ، يمكن للبطلانية ان يستحوذوا
بالطبي على قطمان واسراب من مختلف الحيوانات المستأنسة . فمن ابتكار وثيران ،
تستخدم في اغلب الاحوال في اعداد الارض في الحقول وفي زراعتها ومن حمير وذئاب
تستخدم كوسيلة سهلة للنقل ومن اغنام وماز تربي بالآلاف من اجل صوفها ولبنها
ومن خنازير للاساحى واوز مقدس وغير مقدس وبالإضافة الى هذه الحيوانات التقليدية
المستأنسة في مصر يمكن ان نضيف أنواعا كثيرة من الدجاج واصطيالات خاصة بالخيل كانت
تزرع منها فرق الفرسان بما يلزمها من خيول ثم هناك حفلة من الفيلة المخصصة للاغراض
الحربية والفيلة هي بمثابة نباتات مصر القديمة فهناك اعداد ضخمة من الجمال
التي جلبها البطلانية الى مصر .

الزيت ونظم الاحتكار في مصر البطلمية

الزيت هو افضل مثل معروف لدينا عن كيفية تطبيق نظم الاحتكار في مصر البطلمية
وذلك بفضل ما وصل اليها من معلومات في وثيقة الالتزام في جبهة الضرائب حيث جاء قلنون
(nomos) منظم لعملية الالتزام في النباتات الزيتية (elaike wne) جاء فيه
تنظيم لهذا النوع من الاقتصاد الملكي المطبق في مصر بطليموس فيلادلفوس (٢٥٩ - ٢٥٨ ق م)
وما بعده . والقانون الذي جاء في هذه الوثيقة ، أفرد لموضع الزيت واطلسق
عليه nomos elaike وكان يكون كاملا بالمقارنة الى القوانين الاخرى في هذا

النص البردي حيث وردت فقرات مهمة بها بعض التعليمات الخاصة بضريبة النبيذ المخصص للمعابد وتقدر بالسدس أو العشر وتسمى ضريبة الايوهيرا (apomoira) ثم جاءت كذلك قصاصات أخرى متتوعة بها بعض التعليمات الخاصة بصناعة المنسوجات من صوف وكتان رفيع وقنب (eriere , othoniera, styppia) وقصاصات خاصة بالمحارف (trapezitime) وأخرى خاصة بصناعة الجص والشراب المستخرج من الشعير (ويسمى Zytera) وأخرى خاصة بضريبة الدرعى (ennation) . تلك هي المجالات التي تناولتها قوانين الالتزام في جباية الضرائب المتتوعة منها وغير المتتوعة وهي في مجموعها تمثل سلسلة فريدة من القوانين التي وصلت الى ايدينا مصوبة ومصححة في ديوان وزير المالية أيولونيوس وأريما كان القانون الأصلي يرجع وقت إصداره الى الحقبة الأولى من عهد بطليموس فيلادلفوس أو ربما مرده الى عصر بطليموس سوتير .

والقدر الذي يعنيننا هنا هو المتعلق بالنباتات الزيتية وقد اطلق عليه كلمة شاملة elaiké اي الضريبة على الزيت وهو فريد في بابه من حيث انه ورد كاملا وبذا اتاح لنا فرصة التعرف في شيء كثير من التعمق والافاضة على سياسة بطليموس فيلادلفوس والكيفية التي كانت تطبق بها ثم ربما كذلك على سياسة سوتير في هذا الشأن .

وهذا القانون الخاص بالزيت nomos elaikés كان ينظم كيفية التصرف في الناتج أو الحظيلة من النباتات الزيتية المختلفة والكيفية التي كان يستعمل بها عصر هذه النباتات والجهات المسئولة عن عصرها ومدى الرقابة المفروضة على المعاصر وعلى العمال المشتغلين فيها . وأكثر النباتات الزيتية انتشارا في مصر هي السمسم وزيت الخروع (croton) والمصفر أو الزعفران الكاذب والقرطم والقرع الحسلي وبذر الكتان . والمادة الخام يمكن الحصول عليها من الفلاحين وفي كل عام كانت المساحة المقررة زراعتها من كل صنف يجري توزيعها بواسطة السلطات الحكومية على مختلف المحافظات

ثم تقوم السلطات المحلية على مختلف القري وتقوم الاجمعه الاداريه في القرية بتوزيعها على افراد الفلاحين وهذا كله بمقتضى دوره ما لوفه فيما تجدد لكل شئ في ذلك الكميات الواجب اعتبارها لكل نبات والحيوان التي لصالحها وضع هذا الخطيط فكان يخصص عدد معين من الاروات ويقدر بالآلاف (لزراعه نوع معين من هذه النباتات الزينه او صنف اخر مع مراعاة صلاحية الارض وجود ثمرها ومزدهتها لهذا النوع او ذاك . وفي خارج النطاق المخصص لذلك لم يكن يجوز لاحد ان يزرع شيئا من هذه النباتات . اما كامل المسئوليه عن التجهيز الدقيق للبناء المرسومه من حيث بذور البذر وفقا للقاعده الموضوعه فكانت تقع على الجواز الادارى وكان كل فلاح يتسلم من الحكومه البذور المدنيه وعليه ان يقوم بردها الى الحكومه عند الحصاد فكانت المحاصيل تنجى تحت عين الحكومه وبصرها ورقابته الموظفين والمترمين والصالحين للتصديقات اولئك المترمين وهذا) هم المسئولون في اخير الامر عن الانتاج من هذا الالتزام (وكان المحصول يتم كبله ويدفع ربحه كغيره اما ما بقي فكان يسلم الى الملتزم الذي كان عليه ان يدفع للفلاحين ثمن المقادير التي تسلمها لهم وذلك بحسب تسريته مقرره)

وبصيرها الملك واعلنها على الناس من قبل . وكان الملتزم بدوره ملزما بان يسلم المقادير التي حصل عليها من الفلاحين الى الحكومه ينقلها الى شئون الحكومه ومنها الى معاصر الزيت التابعة للحكومه وكانت هذه المعاصر موجوده في المدن والقرى ولم تكن الحكومه تسمح بوجود معاصر خاصه فيها عدا الاستثناء الوحيد وهو المعاصر التي تخص المعاهد فهذه كانت تحتفظ بمعاصرها الخاصه ولكنها كانت مضطره الى تسجيلها والا ستئذ ان عند تشغيلها لفترة معلومه كل عام تحت اشراف المترمين والموظفين في عصر مقدار معين من زيت السمسم في معاصرها الخاصه وللإستهلاك المحلي داخل المعاهد . ويتم هذا العصر طوال فتره محدوده هي شهران فقط اما باقى العام فكان ينبغي ان تبقى هذه المعاصر معطله وقد وضعت عليها الاختام للحيلولة دون استخداها اما اذا كانت هذه المعاهد في حاجه الى شئ من زيت الخروع فعملها ان تقوم بشراؤه من المترمين .

ولم يكن مسموحا للمخاض بحال من الاحوال القيام ببني الزيت .

كانت مصائر الزيت التي تحصل لحساب الملك ، تخضع لرقابة دقيقة من قبل الحكومة ثم من قبل الملتزم . وكانت جميع المصاير مسجلة ويجوز وضع الاختتام على ما لم يكن مستعملا منها ، كما كانت توضع الاختتام على جميع الآلات المعطلة في هذه المصاير . وكان العمل الذي يتم في هذه المصاير يخرى تنظيمه بواسطة الملتزم والموظفين الاساريين . ولكن المفروض ان يقوم هؤلاء بتزويده كل معصرة بالقدر الكافي من المواد الخام بلا زيادة ولا نقصان في القدر الذي يكفي لتشغيل هذه المصاير فعلا وكانوا مسئولين كذلك عن قدرة كل معصرة ودرجة كفاءتها في اداء المهمة الموكولة اليها . اما عن مركز العمال في هذه المصاير وهم المنصر البشري المسمي وكان يطلق عليهم كلمة (elaiourgoi) فقد كانوا احرارا وليسوا عبيدا او اقنانا . ولكنهم من ذلك كانوا خاصمين لا شراف دقيين . انهم كانوا يعملون في المصاير في فترة ممتدة طوان فصل التشغيل او العمالة . وبينما هم منكهون على العمل في هذه الحقبة كانوا ملزمين بأداء هذا العمل والبقاء نفس الاماكن التي توجد فيها هذه المصاير ، فاليحق لهم مفاد رتبها او الخروج عن نطاق مكانهم في المحافظة التي ينتمون اليها . وكان الملتزم والموظفون الاداريون هم اصحاب السيطرة (kyrioi) في فصل العمالة هذا وهم الذين يتحكمون في المصاير وهكذا كان اولئك العمال تحت السيطرة التامة في فصل العمالة وهم يتسلمون في مقابل العمل الذي يؤدونه مكافآت تقدر بحسب ما يقومون بعمله من الاراد ب من مختلف البذور و اذا حدث في نهاية فصل العمالة ان وجد فائض (épigenema) فان العمال كانوا يحصلون على هذا الفائض كإعانة لهم على نشاطهم .

والمرکز الدقيق الذي كان عليه اولئك المشتغلون في مصاير الزيت ليس واضحا ولا جليا ، فهم ينتمون الى طبقة ضخمة من الناس لهم ارتباط وثيق بموارد الدخل العام ويكنون بالاسم الشائع الآتي :
" epipeplegmenoi tais prosodois "

وهو لا يمثلون فئة من الناس لها نصيب من الامتيازات كما تمتعت ببعض الالتزامات والقيود التي تفلح حركتها ، اسوة بما كان عليه الفاشيون الملكيون . ومن ذلك فليس هذا التصنيف يكافئ في تعريف وتحديد المركز القانوني لهؤلاء الصناع ، ونظرا لعدم وجود معلومات دقيقة في هذا الشأن ، فالغالب على الذين انهم كانوا من الحرفيين المهرة ، المدربين على العمل في خدمة الدولة ، ولربما كانوا ينتظمون في بقايا او طوائف مهنية ، ترعاها الحكومة البطلمية ، على اعتبار انها مؤلفة من افراد كانوا يؤدون مثل هذا العمل على مدى اجيال ، فحذقوا واصبحوا ممن لا يستغنى عنهم .

والقول بأنه في صدر العصر البطلمي ، ربما وجدت معاصر وعدد ولايات يمتلكها افراد ، ولكنهم في استعمالهم لها مقيدون ، بصرف النظر عن ماهية مركزهم القانوني ، يدل على انه في ماضي ليس بالبعيد كان هناك عصاريون للزيت من ائمة الذين عملوا في معاصرهم الخاصة ولو لبعض الوقت ، وفي زمن ما ، لحمله في عصر البطلمية الاولين ولربما قبل ذلك ، اصبح محظرا تماما على الافراد ان يفتح زيت من اي نوع كما حرم على الحرفيين من عصاري الزيت القيام بمعصرها لحساب الافراد ، وبذلك اصبح عصر الزيت اختيارا خاصا ، انفراد به الملك وحده ، ولم يمد امام الصناع المهرة والحرفيين في هذا المجال الا ان ينضموا في خدمة الحكومة ، اما عن مركزهم القانوني المريب ، وهو المنطوي على حالة اشبه ما تكون بنصف اليهودية - فان الشك ليساورنا في اعتبارها من ممتلكات البطلمية ، والا فضل كثيرا ان نقول ، انها كانت من ذرات الماضي وموجسها الى ذلك الوقت الذي كانت فيه الطوائف الحرفية (*synagoga*) في الجليل وفي المدن والقرى تبصم ولو جزئيا على اي حال من اجل الالهة والملك في معاصر كان اغلبها ملكا لهم .

السياسة الخارجية التي انتهجها ملوك البطالمة الاوليون

لكي نقدر السياسة الداخلية التي سار عليها ملوك البطالمة الاولين ونتمتع على كنهها بحيث يكون في تفكيرنا هذا تخيل جادة الصواب ونكون هدفنا الوصول الى تقدير سليم بقدر المستطاع فينبغي علينا ان نحاوّد النظر في التصرف على حقيقة المنهج الذي رسموه لهذه السياسة في شتى ميادينها الادارية والاقتصادية والزراعية والضريبية فهدف البطالمة من وراء هذا الاستغلال الشديد لشتى موارد البلاد كان بعيد المدى ولعلنا نستطيع ان نجتلي شيئا من الحقيقة اذا ألقينا نظرة ولو عابرة على حقيقة السياسة الخارجية كما نتصرف على الاهداف التي كان البطالمة يرمون اليها من وراء النج بانفسهم في معترك السياسة الخارجية التي كانت في مد وجزر في الجحش الشرقي من البحر المتوسط في مدى اكثر من ربع قرن عقب وفاة الاسكندر الاكبر في عام ٣٢٣ ق م . ان هذه السياسة كانت متأثرة الى حد كبير بالاغراض والاهداف التي داعيت خيال الملوك البطالمة الثلاثة الاولين ، فبغيتهم واهدافهم والمركز الذي كانوا يحتلون في عالم تسوده الحضارة الهيلينية ، فحتم عليهم سلوك طرق مخوفة بالمخاطر وكبدتهم خسوس حروب عديدة * ولانفس الشديد ليست لدينا اية بينات واضحة او كاشفة عن كنه هذه الاهداف وانما نستطيع ان نسترشد ببعض الحقائق والامارات والتصرفات والتحركات التي صدرت في شتى الجالات وذلك على الرغم من اختلاف التفسيرات وتباين الآراء .

أولا : هناك رأى يقول بأن سياسة البطالمة الخارجية كانت عدوانية وهجومية (Offensive) وقد انبرى العالم الالماني الريح فلكن

(Ubrick Wiloken) في مطلع هذا القرن للدفاع عن وجهة النظر هذه . وفي رأيه ان فرض الحكم البطلمي في مصر كان يندوى على الحصول على أقصى ما يمكن من ثروات مصر كما تكون البلاد في وضع يمكنها بفضل هذا الثراء المرض وهذه الموارد الطائلة وبفضل جيش قوي واستطول ضخمة من ان تقو بدور رئيسي في معترك السياسة الخارجية في حوض البحر المتوسط * ولا ينبغي علينا وسط هذا الخضم ان ننوه عنا

حقيقة مهمة وهي أن مصر وسط هذه الامبراطورية الشرقية الاطراف والاستقلال من جهة
غربا الى قبرص شمالا والى فلسطين وسوريا للخالفة Coele-Syria = سهل البقاع
(لبنان) شرقا ثم اجزاء من سواحل آسيا الصغرى وبعض جزر بحر الارخبيل - كانت
مصر في نظر البطالمة هي المورد الرئيسي والوحيد الذي لا يفتقر وهو مصدر الخشب
الصمغ وحاصلاتها متنوعة وعديدة ومتجددة وصناعاتها وحاصلاتها مطلوبة * وبخاصة
العالم الالمانى " ألينج فلكن " الى حقيقة مهمة وهي ان الهدف من وراء هذا كله
والغرض الاسمى من اتساع هذه السياسة هو التطلع لصالح سياسة خارجية بعيدة عن
مصر ومصطفى هذا ان مصر كانت وسيلة وليست غاية في حد ذاتها + على ان هذا التبدل
كانت تكنفه مصائب وقد تكبدت البلاد شظايا وغرق في حروب واطماع لا طائل من ورائها *
وقد تدهنى البلاد المصرية بعض الثمار من وراء ملك شاسع وبنا امبراطورية مترامية الاطراف
ولكن هذا كله على حساب مواردها * وقد يكون في هذا تأمين لحدود البلاد واحصاء
بعض الاخطار عنها *

ثانيا : هناك رأى آخر * طلع به علينا عالم روسى الاصل * متأمر كاسيمير خايل برستوفسكى
(M. Rostovtzeff) ولهذا العالم باع طويل في الدراسات فى التاريخ
اليونانى الرومانى وله نشاط ضخم فى هذا المجال وله كتب موسعة وخبرة عميقة
بالمصادر الاصلية والنصوص البردية والنقوش المختلفة عن هذا العصر ولا سيما ما يخص
مصر والممالك الهيلينية * ومن اجل ذلك ينبغي ان نقيم وزنا كبيرا لآرائه وعلى
الرغم من انها جاءت متعارضة تماما مع آراء العالم الالمانى فلكن وفى رأى برستوفسكى
ان الفكرة الاساسية التى كانت رائد ملوك البطالمة الثلاثة الاولين : بطليموس
الاول (سوتير) ٣٠٤ - ٢٨٤ ق.م * وبطليموس الثانى (فيلادلفوس) ٢٨٤ -
٢٤٦ ق.م * وبطليموس الثالث (يونانيس الاول) ٢٤٦ - ٢٢١ ق.م * تأويحت
وتراوحت بين المد والجزر والاقدام والادبار وقد خيل الى هؤلاء الملوك الثلاثة
امكانية تكوين امبراطورية مترامية الاطراف * توامها مصر كجسم ارتكاز * والهدف
من وراء ذلك مصر المستقلة وهي آمنة مطمئنة من غائلة الاعداء الخارجيين مسبب

الشبان أو الجنوب * ولكن تضمن سلامتها وتوأم من جانبها ، كان لابد عليها ان تكون سيدة في الحوض الشرقي من البحر المتوسط ، كيما يتحقق لها الاشراف والسيطرة على الطرق البحرية الموصلة لمصر * وهذه المهمة في حد ذاتها كانت مهمة الممالك ويستتريها شيء من التعقيد * وفي عهد الفراعنة طوال عهد الاسرات في الدولة القديمة والدولة الوسطى والدولة الحديثة كان التطلع الى الاستحواذ على الشاطئ السوري كغاية يعمل الضمانات اللازمة لتأمين البلاد ولكن في خلال الالف سنة قبل الميلاد كانت هناك تطلعات نحو آسيا الصغرى وحدث نمو في القوة البحرية لسندى اليونان مما افرى حكام مصر بعد نطاق نفوذهم السياسي الى حوض البحر المتوسط كله ولم يكن هذا يقصد الفزو والفتح او التحكم في مصائر اليونانيين في بلاد اليونان او في آسيا الصغرى وانما كان بغرض المراقبة الدقيقة للقوات البحرية وكبح جماح اليونانيين حتى لا يقطعوا المواصلات البحرية عن مصر ويحولوا بينها وبين شواطئها الشمالية وشواطئها الشرقية في كن من الشام وآسيا الصغرى * على ان هذه السيطرة كانت تتطلب ايجاد اسطول قوى وهذا يحتاج بدوره الى موارد طبيعية هائلة لا تتوفر في مصر ومن ذلك الاخشاب من اشجار الارز بلبنان والمعادن من قبرص * ولما كانت الاخشاب والمعادن هي الشرط الاساسي لبناء اسطول قوى وينبغي استيرادها او الحصول عليها من الخارج فان غير وسيلة لتحقيق هذا الهدف هي التحكم والسيطرة في مصير البلاد المنتجة لهذه السلع وفيها الضابطة والبناجم * ولعل هذا هو السبب في ان مصر احتفظت وينبغي ان تحتفظ دائما بسيناء وتطلعت في وقت ما الى سوريا الداخلية وقبرص وبعض اجزاء من سواحل آسيا الصغرى والاناضول كاربيا وليكيا (Lycia) * وهناك سبب آخر لا يقل اهمية عما سبق وهو ان قوة مصر وثروتها تعتمد على التجارة الخارجية ورواجها وانتظامها * ولكي تستطيع مصر الحصول على ما يلزمها من الجنود المرتزقة وهم عدة الجيوش في ذلك الحين ، ثم تحتفظ باسطول قوى ، كانت في حاجة ماسة الى خزائن مليئة بالاموال للصرف على هذا الاسطول * وهذا لا يتأتى الا بربح تجارة خارجية ، تحصى منها على الذهب والفضة ثم ان هذه التجارة نفسها كانت تتطلب سبب توفر السيطرة البحرية لتأمين الطرق التجارية .

وعلى ذلك كان فلكن يرى ان هجومى وعدوانى طابعه مقدونى وهيلينى ورجع اصله ونشأته الى مواطن بعيدة كل البعد عن مصر فالامبراطورية هى الخاية القصوى ومعايير الا الوسيلىه الى تحقيق هذه الخاية وتتلخص هذه السياسه فى كلمه السانيه واحده ذكرها فلكن وهى ومعناها السياسه التى هدفها تكوين امبرا اوريه عالميه اما بحسب ما ذكره رستفنزف فان تلك السياسه الامبراياليه كانت سياسته فاعليه بحتة ذات طابع اقتصادى وكان يتعين بمقتضاها ان تكون سلطنة مصر ورواج تجارتها هما الهدف من وراء هذه الامبراطورية التى كانت مجرد وسيلة لتحقيق غايه .

وبالاضافه الى هذه الاراء المتعارضة والنظريات المطروحه بساط البحث هناك فكره ثالثه قوامها ان الملوك البطالمة الثلاثه الاولين كان ينسب اليهم توفر اطماع توسعيه بقصد ازدياد رقعته املكهم الى حدود العالم المأهول بالسكان وانهم كانوا يتشبهون احيانا بالاسكندر بنده الاكبر فى طموحه الى تكوين امبراطورية عالميه . صاحب هذه النظرية هو عالم المالى يسمى كورنمان () .

على ان مبلغ علمنا من الاجراءات والتضمرات التى قام بها بطليموس الاول بمن لا جوس ودهسو الملقب فيما بعد بلقب المخلص () تكاد لا تبرر ما قد ينسب اليه من هذا الحلم العريض فهو رجل حصيف يعرف عنه انه جالت بخاطره بعض الاطماع ولكنه كان حريصا ، يتلمس الخطى قبل الاقدام على شئ وكان يعرف جيدا من اين توكل الكف فكان يقدم احيانا ثم يدبر احيانا اخرى وكان اذا ما الممت به كارثه ، باوى الى مصر وهى القوقعه التى كان يحتمى فيها حتى يزول الخطر رجل من هذا الطراز لا يمكن ان تنسب اليه اطماع بعيدة المدى . قد تكلفه غالبا وهو الشخص الذى اختار مصر بمحض ارادته لتكون نصيبه فى ملك الاسكندر باعتباره احد هؤلاء الخلفاء () وكان على راسهم برديكاس () وفيهم

سيلوقوس (Seleucus) وانتيجونس (Antigonus) وانتيباتر (Antipater) وكاساندر (Cassander) وابيسماخوس (Lysimachus) وغيرهم * ومن بين كل هؤلاء القواد وقع اختيار بطليموس على مصر وأثر ان يفوز بها دون غيرها من دولة الاسكندر وقد حكمها أولا بالنيابة لا بالامانة ، فكان الوالي عليها بوصفه ساترا (Satrap) اي مرزبان من قبل صاحب الحق الشرعي وهو ابن الاسكندر الرضيع من روكسانا (Roxane) الزوجة الفارسية التي كان الاسكندر قد تزوجها في آخر حياته وكان هذا الطفل هو الاسكندر الرابع ويشترك معه في هذا الملك المريض كوس ، اخ غير شقيق لالاسكندر اسمه فيليب اريدايوس (Philip Arrhidaeus) ولكن بطليموس مال اليه ان تنكر لبروتيكاس وتخلص الجميع من ابن الاسكندر ومن اخيه وخلا الجو لبطليموس بعد عام ٣٠٥ ق م * فاعلن بطليموس نفسه ملكا على مصر منذ عام ٣٠٤ وبقى مقيما على هذا العرش حتى وافته المنيا عام ٢٨٤ ق م * وفي خلال هذه الفترة التي امتدت عشرين عاما ، نهض فيها بأعباء جسيمة منها اتمام بناء مدينة الاسكندرية ومتابعة شن حروب في مختلف الميادين ، ففهم برقة الى مصر وفهم قبرص الى حكمه وكذلك بعض جزر بحر الارخبيل * ومن خلال كل هذه التصرفات والاعمال الممرانية التي اضطلع بها ، يمكننا ان نجتلي حقيقة الطبيعة التي كان عليها هذا القائد المصور وما كان يتحلى به من صفات الرجل الذي أوتي قدرا عظيما من الكفاية والمقدرة الهائلة * انه كان يفلح السياسة على حمل السلاح وكان يؤثر استخدام اللين واستعمال الدهاء والتصنع حتى يحقق آماله وكان يصرف الممكن وغير الممكن * حقيقة انه جالت بخاطره اطماع ملكية ، مثله في ذلك مثل باقي زملائه واقارانه * وفي سبيل ذلك عمد الى استخدام المنزلة التي لا تكن ولا تفن - كل هذا في هدوء وأناة وصبر ، لا يصرف الكل ولا الملل * انه بطليموس بن لاجوس وامه ارسينوى ومنهجه يرجع الى احد مقدوني نبيل فهو اذا كريم المحتد ، تربي وسط الضلaman الملكيين في بلاط مقدوني ، وكان رفيقا لالاسكندر في جولاته وصالاته وابدى قدرا عظيما من حسن الاخلاق والوفاء لالاسكندر عندما اختلف بين ابيه فيليب الثاني * وكان يبذل عليه الثمنات

واللهدو في تصرف الامور التي كانت تنحصر اليه وقد اظهر شجاعة منقطعة النظير في
شئى المناسبات في صدر شبابه * فلم تبهره عظمة يائد الشرر ولا ابهته * وقد بلى
طوال حكمه في مصر محتفظا بطابع الرجن المقدوني المتسم بالبساطة * حقيقة انه كان
مخلصا وفيما لاسكندر في حياته ولكنه لم يكن شيئا من الاخلاص على الاطلاق لاخ
لاسكندر هو فيليب اريد ايرس الذي عرف بالعتبه ولايو من بابن لاسكندر من لم
فارسية فتتكر له * وكان اوان من قلب ظهر المجرى لفكرة وحدة الامبراطورية والمحافظة
على كيانها ولذلك قضى فترة حكمه في مصر في حروب طاحنة وكفاح مرهق مع كل من كانوا
يودون المحافظة على هذه الامبراطورية المترامية الاطراف * وكان هذا من الهادى
الاولى التي كان يؤمن بها في سياسته * ولكنه بعد ان ضمن لنفسه الاستقلال بمصر
والاستثمار بها ووطد مركزه فيها * بل وفي اثناء اشتغاله بالدفاع عن هذا الاستقلال
لواوى النيل ضد برفيكاس وغيره من زملائه ويرانه * وجدناه * يحاول بسط نفوذه
على البلدان المجاورة وهي البلدان التي تحتل امتدادا طويلا لواءى النيل مثل
فلسطين وبنقة وسوريا الداخلية وتم له بالفعل الاستيلاء على بنقة * بمرور ان جاء الى مصر
واليا عليها ثم لما ثبت اقدامه في مصر * اتجهت كل جهودهم الى تحقيق السيطرة على
فلسطين وسوريا الداخلية وفينيقيا ثم تحققت له السيطرة على قبرص * وهذا البرنامج
المريض هو الحلم الذي جان بخاطر الجالس على عرش مصر ولا يخفى عن المنهج الذي
ارتآه الحاكم الروسى رستفنزف * اما السيطرة على جزر السكلاديس (Cyclades)
او الجزر الدائرية في الحوض الشرقى من البحر المتوسط ثم فرض الاشراف على شواطئ
آسيا الصغرى عن طريق اخضاع كيليكيا او الاناضول وكذلك شواطئ كاريا (Caria)
فهذا كله من الامور التي يمكن ان نجد لها تفسيرا ومبررا في ضوء ذلك البرنامج الذي
وضعه بطليموس الاول واخطمه لنفسه ولم يحد عنه ولكن الامر الذي لا نجد له اى مبرر
ولا تستطيع ان نجد له تفسيرا مقنعا * ذلك هو اقدامه ومغامرته في ٣٠٩ - ٣٠٨
ق م * بالتدخل في شئون جزيرة اليونان والحمى بها ومحاولة فرض سيطرته في شئون
شبه جزيرة الباليونيز وكورنته وسيكيون * من ان هذا كله مما يدخل قطعا في مجال

المغامرات المحفوفة بالمخاطر من أجل تكوين امبراطورية عالمية والرغبة الأكيدة في فسر
السيطرة على عالم بحرايجه * ولكن هذا الحلم كان مجرد حدث * ايضاً دأب خيالن
بطليموس في تاريخ حياته الطويل * فلما بدأت الصناعات والمراكب والمراكب السحب
املم ناظره في بلاد اليونان كفعن ذلك وقد وقع في وادي النيل الى حين ومالبث ان
عدل عن الاهتمام بمثل هذه المشروعات ذات الافاق البعيدة وعاد اذ راجعه الى الاسكندرية
فلم ينجب عن خاطره لحظة ان مصر هي القلب النابض * والدرة التي ينبغي ان يفتديها
بكل شيء * ويركز كل اهتمامه عليها ومع ذلك فلم يشأ ان يؤسس فيها غير مدينة واحدة
هي بطالية في جرجا لتكون منارة في الصعيد *

وسياسة مؤسس دولة البطالية * تتقدم لنا صورة عامة وغير متكاملة او رسمياً
تخطيطياً لما ينبغي ان يكون عليه الامبراطورية البطالية في مستقبل ايامها على عهد ابنه
وخلفه بطليموس الثاني * اذ تحقق بالفعل له حكم هذه الامبراطورية لأول مرة بمصر
الاسكندرية * فماذا كان طابع هذه الامبراطورية وما مبادئها ؟ هذه اسئلة قد تعرض للباحث
ونحن لا نعرف شيئاً كثيراً عن شخصية بطليموس الثاني الملقب فيلادلفوس (Philadelphus)
اي الحبلاخنة وزوجته الثانية أرسينوى الثانية ولذا لا يمكننا التصرف على حقيقة ما رسمه
ومقاصده ومدى الخطط التي كان يضعها البلاط الاسكندري في عهده * ذلك ان الكتب
التي دأبها المؤرخون القدامى عنه وعن تاريخ حياته وفترة حكمه قد ضاعت ثم ان شعراء
بلاطه وهما ثيوقراطى (Theocritus) وكاليمachus (Callimachus)
كانا حريصين على تقييده ونشر القريض عنه والتعنى بأعماله * وتوخى كل منهما المبالغة
والافراط في المديح له * ولذلك لا يمكن التوصل على احد منهما والاعتماد عليهم ما فسى
اعطانا صورة حقيقية عن اعماله وآرائه * بله مدى امبراطوريته والبلاد التي ذانت لسه
وهو يحكم مولده واحقيقته في وراثة العرش * لم يكن مؤمداً لتولى الملك في مصر * لانسيبه
كان ابناً لاه بريثته وهي الزوجة الثانية لبطليموس سوتر وكانت الزوجة الاولى هسبي
يورديكى (Eurydice) ابنة لاثينا وقد ولدت لسوتر ثلاثة ابناء آخرين اكبرهم

بطليموس الصاعدة (Ceraunos) ولكن الملك المجوز ما لبث ان اسبغ عطفه على ابن
الزوجة المفضلة لديه وهو برونيتيه وكان هذا الطفل قد ولد في جزيرة صغيرة تسمى قوس
(Cos) إحدى جزر مجموعة الجزر المتفرقة (Sporades) وقوس هذه جزيرة
مستعرضة واقعة على مقربة من ساحل آسيا الصغرى صرب الجنوب وكان مولد هذا الطفل
في هذه الجزيرة في عام ٣٠٩ ق.م. عندما كان والده يمد المدة لحملته يمتزم شنها
على بلاد اليونان واضطر ان ينقل بلاطه الى هذه الجزيرة ليكون على مقربة من ساحلة
العمليات العسكرية في بلاد اليونان فكان مركز قيادته واركان حربه في هذه الجزيرة .
وكان من حسن الحظ ان هذا الامير الصغير حظى بأحسن قسط من التعليم وتلقى تعليمه
على يد خير الهربين والمعلمين وهم الشاعر فيليتاس (Philetas) من اهل
جزيرة قوس ثم النحوي زينودوتس (Zenodotus) والرواقي استراتون (Straton)
من اهل لامبساكوس على الشاطئ الجنوبي من البسفور . لقد نشأ هذا الشاب في وسط
كله ملق ومداشقة ولذلك ليس بمجيب انه كان تواقا الى الاعتداد بالنفس مليئا بشيء
كثير من الضرر انه ان يخطى رجلا مثقفا حريصا على صداقاته مع رجال الادب
والفكر حتى اصبح يلقب بكلمة دالة على كل هذه المعاني وهي (nousikrotatos)
اي اكثر الناس تمسقا لربك الفنون (Musae) ونحن نعلم من ثنايا وثائق البردي
التى ترجع لبرصون وهي كثيرة جدا ومن اهمها ذلك الارشيف الهائل المعروف بأرشيف
زينون ، ان هذا الملك كان محبا للمعلم الطبيعية حريصا على اتناء الحيوانات الالهة
وبخاصة الغريب منها ، فكاء الاجراء وشيخ القبائل في فلسطين وبلاد ماوراء الاردن وبخاصة
الشيخ المشهور يسمى " طويا " يقدمون له الهدايا في شتى المناسبات من هذه الاصناف
الغريبة . ثم انه كان من جانيه لا يتوانى عن ان يبحث رسلا لاصطياد الفيلة والفزلان وشي
انواع الحيوانات الغريبة من وسط افريقيا ومن اثيوبيا واعالى نهر النيل وكان يحتفظ بهذه
الصيد النادر في حديقة الحيوانات بالاسكندرية . ثم ان هذه التربة في حب الاحتفاظ
بهذه الطيور والحيوانات الغريبة ، صاحبها رغبة ملحة في اقامة المهرجانات والاحتفالات

والمواكب ذات المسبحة والروعة في شتى المناسبات بالاسكندرية وكان لا يثنى بشئ * * * بل
 يصرف بسخاء ليكسب هذه المهرجانات طابعا من الابهة * ولدينا الشئ الكثير من
 المعلومات عن هذه الاحتفالات ففي وصف رائع خلده كاليكسينوس (Callixenos)
 وذكره اثينا يوس (Athenaeus) وردده كتاب غديرون من قبيل التبايل والاشادة
 بحكم هذا الملك ومبلغ ما كان له من عظمة الشئ * الكثير * فاذا ما طالعنا هذا الوصف
 الرائع في كتاب اثينا يوس وجدنا موكبا فحما حرص هذا الملك على اقامته في حلبة الالعاب
 (الاستاديم) بالاسكندرية في المناسبة الثانية من عيد الاسرة البطلمية (Ptolemaea)
 وهو عيد يحتفى به كل خمس سنوات ويطلق عليه كلمة دالة على فترة الخمس سنوات هذه
 وهي (Pentaeteris) وهذا العيد الخامس الثاني اقيم في عام ٢٢٩ ق.م *
 تخليدا لذكرى الالهين المخلصين (Theoi Soteres) * وهناك وصف رائع آخر
 ذكره ثيوفريستوس في قصيدة راعوية هي القصيدة الخامسة عشرة من سلسلة قصائده التي
 كان يتغنى بها الرعاة * وذلك في مناسبة عيد أدونيس Adonis وهو شاب جميل كان
 ابنا لملك قبرص ثم احبته الالهة افروديتي الالهة الجمال وكان من سوء حظها انه وهسو
 يصطاد، قتله دب بري. وفي الاسكندرية كان يحتفى به في مهرجان رائع بمناسبة زواجه من
 افروديتي ثم في اليوم التالي كان النسوة يحملن صورته متوجهات اوديسين صوب ساحل
 البحر وسط نواح وصراخ وهويل بكاء اعلی فقدته وحظه المأساوي في آخر المطاف سسوق
 لنا نصوص البردي العديد من الشواهد والادلة على مدى اهتمام هذا الملك بتلك المواكب
 وهذه المهنات وما كان يشاهده فيها من مناظر رائعة تستهوي ايضا للناظرين وتبههم
 بما كانت تنطوي عليه من عظمة هذا الملك واتساع ملكه وسلطانه * وقد اتحفنا مؤرخا عالم
 بريطاني هو فريزر (P. Fraser) بشرح مستفيضة في كتاب صدر له منذ بضع سنوات
 عنوانه " الاسكندرية في عصر البطالمة " (Ptolemaic Alexandria) اوضح
 فيه ما كان يجري في هذه المهرجانات من مواكب وما كان يراعى فيها من طقوس ومراسم لمختلف
 العبادات واخصها عبادة الاله ديونيسوس (Dionysus) * ولدينا في أرشيف زيلون

وثمة برديته تحمل خطابا موجهها من وزير المالية ايوليسوس الى عمالة القيم في بلاد فينيكيا
مركز ضيعته باقليم القيم وفيه طلب عاجل بان يوافيه بالهدايا المقدمة الى الملك فيسبي
مناسبة عيد ميلاد اوفى احد الاعيان والمواسم الاخرى التي كانت تتكرر على مدار السنة
وكان يحاكي هذا الوزير آخرون من اعيان البلاد في تقديم الهدايا في مناسبة عيد التاج
وغيره * ولا ينبغي علينا ان ننظر الى هذه الوقائع على انها كانت حالات فردية * لا يورث
بها وانما ينبغي ان نأخذها في الاعتبار لما تكشف عنه من ادلة على عظمة هذا المصير
وعلى نوعية المعالاة والاهتمامات التي كان الملك يعنى بها ويوليها اهمية خاصة *

ان هذا الملك الشاب كان على النقيض من والده من حيث الجسارة والاقدام
والجسارة الى اقتحام السلاح والسير على رأس جيشه في المصارك وميادين القتال * ففي
القليل النادر كان ظهوره في ساحة القتال وكان غالبا ما يصول على قواده فيكل اليهم تلك
المهام * اما هو فكان يوثق الاهتمام بشئون الدبلوماسية والسفن الى تحقيق لغراضه واحداها
عن هذا الطريق * بدلا من حمل السلاح * على ان السياسة التي انتهجها في اول الامر
كانت موحى بها من قبل اخيه وزوجته الثانية وهي ارسينوى وكانت تلعب بحبيبة
اخيها اي انها فيلادلفوس (Philadelphus) ثم أصبح هذا اللقب على اخيهما وزوجها
فيما بعد. فأصبح يعرف بهيلينيون فيلادلفوس وكانت ارسينوى هذه امرأة قديرة ترتعد لهما
فرائس الآخرين من شدتها وجبروتها وما اتصفت به من القدرة على الحزم والصرامة * انها كانت
تكبر اخاها بسبعين سنوات وكان لها نشاط جم وان كان في كثير من الاحيان غير مستحب اما
اخوها وزوجها فكان بالنسبة لهما كالحمل الوديع وكثيرا ما يوصف بأنه مثل ايوللو علم خصائل
من الشمر الاشقر * الذهبي اللون وكان يمثل بأنه الشخص المهيمن في الملذات * ذو
الصحة المعتلة والحريص باستمرار على ان يحيط نفسه بالملذات والمباهج * تلك هي الصورة
التي ابرزها لنا استرابون في موسوعته التاريخية * الجغرافية عنه (٧٨٩) وقد يكون
في وصف استرابون هذا شيء كثير من الصدق ولكن هذه الصورة برمتها لا تمثل الحقيقة *
فبطلميوس الثاني كان اعظم ملوك البطالمة على الاطلاق وسياسته التي اتبعها ازاء رومها

البطالة في هذا الشأن ، ولدينا مثل رائج على مدى اهتمامه بموضوعات جاذبة ومنها موضوع
 اسكان الجند (Stathmodosia) وتوطينهم بمنحهم رقعا من الارض تزيد وتنقص
 بحسب الرتب العسكرية وهو النظام الذي عرف بالاسم الاثني (Kleruchia) وهذا
 النظام له شقان : مسكن وقطعة من الارض توفر له القوات كبديل عن الراتب والاجر ، فكان
 نظاما ابتدع لهذه الاقوال الهائلة من الجنود المرتزقة لينوفر عليهم وعلى الحكومة عناء
 البحث عن سكن ومورد للرزق وهم جنود مجلوبون من الخارج من كريت ومن مقدونيا ومن
 آسيا الصغرى ومن شتى جزر بحر الارخبيل ، حضروا للنضواء في خدمة هذا الملك السخي
 في محاربة الجند ودفع رواتبهم واغداق شتى المزايا عليهم وكان هدف الملك ان يحتفظ
 بهذا الجيش المرابط تحت تصرفه وتحت طليعه في أي وقت يفتدبر لهم الاقوات والبدايل عن
 الرواتب وعين لهم المساكن والشركات وكان اسلوبه هذا فريدا في نوعه ، وعملوا واقصيا في
 حقيقته ، افاد به قصور ونهش باقتصادياتها عن طريق الاستعانة بطلانفسه من اليونان
 والذين غرقين المثقفين ، في فلاحه الارض والاعمال الهندسية والعمرائية التي ترتبط بالزراعة
 ثم في تحضير وتمدين الجمهورية الفخيرة من السكان المصريين الذين كان يعيش بين ظهرانيهم
 اولئك الجنود والضباط في حياة ريفية رتيبة فاستفادوا وافادوا ، ولدينا خطاب موجه من
 الملك الى احد هؤلاء القادة العسكريين والدمشقي عن فرقة من الجند هو انطيوخس .
 (Antiochus) وكان يجوز نفسه قطعة كبيرة من الارض ويلقب نفسه دالة على ذلك
 فهو myriarouros صاحب الف اورات ، والاورا فدان يوناني يساوي ٦٠٠٠ من الفدان
 المصري وكان eponymous commander - أي ينسب اليه الجند ويتبعونه باعتباره هو
 الذي جلبهم (جاليسهم) كتب اليه الملك خطابا منشورا ضمن مجموعة من اوراق البردي
 التي نشرتها جامعة المانية هي هالي (Halle) وتسمى Papyrus
 وفي هذا الخطاب تحدث الملك بصراحة (Halensis) وكشف عن تربيته
 (166 - 185)
 سمعه عن تصرفات الجند والضباط في منطقة ادفواو (apollonopolis magna)
 وار تكابهم مخالفات جسيمة وعدم التزامهم بما جرى عليه المصريون توزيع ثكنات عليهم ليقيموا

فيها بواسطة الموثقين المختصين وهم مندوبو وزير المالية في الاقسام الادارية وكانوا يحرفون باسم oikonomoi بل يرفضون ما يحظى او يخصص لهم ويعمدون الى التصرف المشوائي واستخدام الخدق واتهام مساكن الاهالي وطرد اصحابها واحتلالها بالقسوة الفشومة ، وقد طلب الملك ايقاف مثل هذه التصرفات فوراً ومنع حدوثها وعدم التصرف فسي هذه المساكن عندما يخادرونها لا بالتأجير من الباطن او بتخصير معالمها ولا بوضع الاختام عليها حتى يمسكوا اليها ، كما لو كانت ملكا خالصا لهم ، من انهما اساسا ملك للملك وحده . وهذا الخطاب وغيره من الاوامر الملكية التي اصدرها الملك في هذا الصدد وهي واردة في مجموعة بردي مشهورة - تحمل اسم فلندرز بيتري (Flinders Petrie) يقدم الدليل الواضح على مدى عناية الملك بشتون الجدد وعلى مدى سخطة وتبرمه مما كان يجري من مخالفات تحت سجن الحكومة ونصرها من طبقة الجدد والضباط وهي الطبقة التي خصها بجعل عنايته .

ثم ان الوثائق البردية قد كشفت لنا عن جوانب اخرى من حياة هذا الملك ، فصورته وهو يقف برحلات تفتيشية وزيارات لاقليم الفيوم وهو الاقليم الذي كان يطلق عليه اولا اقليم البحيرة Lammander نسبة لبحيرة قارون ثم تغير الاسم الى الاقليم الارسينويشي نسبة لاخته المتوفاة ، فنرى الملك وهو يتفقد اعمال الري والصرف والاعمال الهندسية والانشاءات العمرانية التي كانت تتم في هذا الاقليم وبخاصة في بلدة فيلادلفيا الواقعة في شرقي هذا الاقليم على حافة الصحراء وهذه كلها اعمال كانت تجري بسرعة فائقة . وكانت هذه الاعمال الاصلاحية وبخاصة استصلاح الاراضي والتوسع الافقي على حدود اقليم الفيوم يسير على قدم وساق بطريقة اقل ما يقال فيها انها كانت تتم بحس السرعة ، فالملك ووزراؤه وكبار موظفيه كانوا لا يتوانون ولا يفرطون في شيء من هذا المنهج الاصلاحى الواسع المدى . ونجد صدى هذا في خطاب منشور ضمن اوراق بردي " بيتري " موجه من ابنه مهندس مقيم باقليم الفيوم اسمه كليون (Cleon) الى ابيه وفي هذا الخطاب اشارة الى غضب الملك على هذا المهندس الكبير وصاحب المشروعات الضخمة في اقليم الفيوم . وعلى الرغم من

هذه الجهود الجبارة لم ينس من تولى الملك الذي انحنى عليه باللائمة لتفريطه .

والمعروف عن بطليموس الثاني انه كان اغنى ملوك عصره ، بل وربما كان اقواهم . وكانت عظمة مصر وامتدادها من تطور سريع ونجاح وفلاح ، بفضل مساهمة الظروف المواتية ، فلم يصادفه شيء من الصعوبات التي عاقت نظرائه من الملوك المعاصرين ، وانما كان الطريق مهيدا ، فانطلق يدعم حدود البلاد في الجنوب صوب النوبة ويغرس سلطانه في الشرق الجنوبي من سوريا وفي بعض المدائن في فينيقيا مثل صور وصيدا ثم استطاع آخر الامران يفرغ من سائرته على حلف الجزر في مياه بحر الارخبيل .

انه بعد الحرب السورية الاولى بين كن من بطليموس الثاني وانطيوخوس الاول (٢٧٤ - ٢٧٢ ق.م) تم عقد السلم بين الطرفين في عام ٢٧٢ ق.م . ومقتضاها توطدت الامبراطورية البطلمية وامتت مداهما . وفي ذلك الحين او قرابة هذا التاريخ ، ديس شاعر البلاط السكندري شوقيفيلس قصيدة كان فيها المديح لبطليموس وكان تاريخ هذه القصيدة قبل عام ٢٧٠ ق.م . لانه جاء بها تنويه وإشارة الى الملكة الاخت ارسيونى الثانية فيقول عنها ان الملك هو " الاخ والزوج العزيز " لارسيونى الثانية بالطبع ومعنى هذا انها كانت اذ ذاك لاتزال على قيد الحياة . وفي شهر بشمس (يولييه) من عام ٢٧٠ ق.م . توفيت وجاءت اشارة الى هذا الحدث الالىم في حجر منديس (Stele of Mendea) فيقول فيها رفعت الى المقام العالي عند " رع " او هارما خيس (Harmachis) كتابه عن وفاتها وقد مضى هذا الشاعر فعدد اساء البلدان والشعوب التي كانت تدين يالولا . والخضوع لبطليموس فذكر بالاضافة الى فينيقيا وسوريا ، شعوبا اخرى كثيرة منها الاشويين و ذوو البشرة " الداكنة " وجزر السكلاديس (او الجزر الدائرية حول جزيرة ديلوس) ثم تجاوز هذا الشاعر في امعائه وخوضه في تعداد الشعوب فذكر بلاد العرب وليبيا وليبيا واهل كيليكمها واهل كارييا ، وكان فيلادلفوس قد استطاع ان يسترد نفوذه في منطقة الاناضول في اثناء الحرب السورية الاولى .

على ان هذه الرقعة الواسعة لم تبق في حوزة مصر وانما فقدت مصر جزءا كبيرا من هذه الاوطورية ، من السيطرة والسيادة التي كانت لمصر على البحار بعد ان كانت شواطئ آسيا الصغرى كلها تخضع من ايدي فيلادلفوس عقب معركة قوص (٥٥٨) ٢٦٢ ق.م * وانفسوس * وقد توفي الملك في يناير سنة ٢٤٦ .

بطليموس الثالث :

تولى بطليموس الثالث الحكم في عام ٢٤٦ ق.م * واستمر في الحكم حتى ٢٢١ ق.م * وكان ابنا لفيلادلفوس من زوجته الاولى ارسينوى الاولى التي طلق وتوفيت الى فقط قبل زواجه من اخته ارسينوى الثانية وشاءت هذه الملكة القديرة ان تتبنى هذا الابن وتحضنه واصبح يطلق عليه في الوثائق الرسمية على انه ابنها ثم اسبح عليه الشعراء كنية مؤداها انه كان يتصف بمائة الخلق ورقة الطبع وتأكد هذا المصنوع في اللقب الذي اطلق عليه واشتهر به وهو " يورجيتيس " (Euergetes) ومعناه فاعل الخير . ويمكن ان نفسر ذلك فنرى في هذه الصفة الالهية التي اضفت عليه ما يفيد انه كان محبا لخير شعبه وفي هذا تعبير عن تلك الماكرة المثالية التي كان ينادي بها الفلاسفة الرواقيون والكلبيون * على ان المؤرخين الحديثين تصرب اليهم بعض الشك في ان هو الذي امر باعدام ابولونيوس آخر وزير مالية لدى والده بطليموس فيلادلفوس ، ان صح انسه اعدام والثابت انه توارى فجأة عن الابصار عقب تولي بطليموس الثالث عرش مصر . وميمت في الميزان امانك وعقاره ومقتنياته ولدينا في وثائق البردي الدلائل القاطعة على صحة هذا التعبير الالهي * ثم انه هو الذي ابلغ او امر بان يقتل اخوه ليسيماخوس الذي كان قد تولى لفترة ما وظيفة الحاكم (استراتوجوس) في تقطع ماليت ان توارى بعد ذلك من التاريخ بطريقة تشوشها الشكوك والظنون .

وبطليموس الثالث هذا كان ملكا على قسط وان من الثقافة ، تتلمذ على يمين ابولونيوس الرودي (من اهل جزيرة رودس) وهذا هو الذي خلف كاليماخوس في وظيفة

مرموقة هي رئيس الأكاديمية في الاسكندرية • وصداقة الملك لارتوستوستي (Eratosthe-
nes)
الجغرافى دليل على موهبه العلميه والثقافيه ثم اصلاحه التقويم المصرى بواسطة جمن مرسن
الكهنة المصريين دعاهم للحضور للاجتماع فى كانوبوس (ابي قير بظاهر الاسكندريه) فى
عام ٢٣٧ ق م • دليل آخر على اهتمامه وبعد نظره وحبه للتنظيم والاداره • وقد اصدر
الكهنة قرارهم المشهور والمسطر على حجر يسمى بحجر كانوبوس • باللغة المهيروغليفية
والخط الديموطيقى وباللغة اليونانية • يشيدون فيه باعمال الملك وعفوه عن المسجونين وتنازله
عن المتأخرات من الديون الخ من اعمال المديح بالملك ولكن هذه التصرفات تكشف عن ميله
الطبيعى الى الاهتمام بالعلوم الانسانيه وحبه فى مساعدة الكانوبيين والصفاء الثالث
انه كان ملكا متذوقا لتداعب الفنون • وليست لدينا أية اولى باقية ما كان يملكه على كثير
موظفيه ومستشاريه • اسوة بما حفظته لنا اوراق البردى من املاء ابيه فيلادلفوس على
نحو ما ذكرناه • ولذلك لا نستطيع التعرف على ذوقه ولا على صوته المدوى • وفى اغلب
الظن كان التقرير عن تلك العمليات العسكرية التى قام بها فى سوريا فى مستهل حكمه •
هو الشئ الوحيد الذى كان من بنات افكاره وربما من صنع يده • وكان قد ذهب على هبل
الى سوريا لانقاذ اخته برنيقة ابنة فيلادلفوس الذى كان قد زوجهها من انطيوخوس الثانى
ملك سوريا فى عام ٢٥٢ ق م • وودعها والدها حتى انفرما وصحبها وزير ماليته ايولونيوس
حتى اوصلها الى انطاكية فى سوريا ثم تنكر لها زوجها واعتصم يافسوس مستجدة باخيها
بطليموس الثالث فسان الى زجدها ولكنها ماتت قبل ان يتخذها من ورعها • وقد تابع بعد
ذلك حملته فى بلاد ما بين النهرين وابلى فيها بلاءا حسنا • وبذلك اصبح الملك المحارب
المفوار واستحق بعد ارة ان يلقب بانه اعظم فاتح قومه فى الاسرة البطلمية • على انه بعد
ان تحققت الفايات البعيدة المدح من فتوحه فى قلب آسيا • ما لبث ان تخلى عنها لاسباب
استراتيجية • ومن ذلك بقى الحكم له فى امبراطورية واسعة ولكنها متناثرة • فبرقه كانت
تحت حكمه المباشر بفضل زواجه من برنيقة ابنة " ماجاس " • اما فى سوريا وفينيقيا فظلت
حدود مصر كما هي من قبل • ممتدة على الساحل فى عمان صيدا صوب طرابلس • وفى
كيايكيا وبافيليا توسعت مصر فى املكها وكذلك كان الحال فى كاريا بآسيا الصغرى • وليس

هنا سجل ذكر التفصيلات المسببة عن الحداث والبلدان التي كانت تدين بالولاء لمصر في
الهيلسبوننت (البسفور والدردنيل) ثم في تراقيا وفي نطاق جزر بحر الارخبيل ، فمهمسده
كلها جزئيات ليس من وراء سردها طائل ، والخاتمة ان مصر كانت لها امبراطورية متناثرة
اجزائها هنا وهناك ومشتتة على بعض جزر في نطاق الجزر الدائرية (Cyclades)
تدين بالولاء لمصر فهي اذا امبراطورية مبهجة .

هذا هو الوضع في الامبراطورية اللابيدية او البطلمية وهي في اوج عظمتها
وهذا الانحسار في شكلها راجع الي انها تمدت النطاق وخرجت عن الحدود التي وصلت
اليها الامبراطورية المصرية في ظروفها العادية ، على ايام القراعنة العظام ، واذ اصبح ان
الاصل في نشأة هذه الامبراطورية البطلمية هو ان مصر كانت ترغب في ان تزود نفسها
بجميع الضمانات التي تكفل لها الامان والتفوق والسيطرة الاقتصادية على نظراء مصر
والمنافسين لها من جيرانها ، فان تطور هذه الامبراطورية واتساع رقعتها شيئا فشيئا
جعلها تنهض وتفوق كل المقاييس على غير انتظار ، ولا يمكن ان نقبل الرأي الذي نادى
به العالم الالماني " الريح فلكن " والقائل بأن مصر عندما وطدت اقدامها على شواطئ
آسيا الصغرى ابتداء من كيرايكيا في الاناضول حتى الهيلسبوننت ثم امتدت الى الخرسونيز
(Chersonese) (الدردنيل) والى تراقيا (البلقار حاليا) ، كان ملوك البطالمة
يبتغون تحقيق اهداف ابعد من مجرد الرغبة في الاشراف على الطرق التجارية المؤدية
الى الاسكندرية ، وهذه الامنية التي ينسبها " فلكن " الى ملوك البطالمة الاولين ، كانت
ترمي الى السيطرة على جميع انحاء بحر ايجه بقصد الحصول على السيادة (hegemonia)
على العالم في هذا المحيط ، ولعل هذه الرغبة كانت في الحقيقة هي الدافع الى كل هذه
المنافسات والمشاحنات التي وقعت من القوات التي انقسمت دولة الاسكندر ومقت في صراعات
ومؤامرات ودسائس ابتداء من اوائل القرن الثالث قبل الميلاد ، وبالتأكيد كانت هذه الرغبة
او بالاحرى هذا الملمح الذي داعب خيال ملوك البطالمة الاولين ، غير خاف على الملكيين
لبطلميين الاولين ، بما اوتياه من بعد النظر والحصافة ، ومن اجل تحقيق هذا الهدف

استطاعا استخدام جميع موارد البلاد احسن استخدام . ولكن نظره عابره الى خريطة هذه
الامبراطوريه المصريه المتراصيه الاطراف ، يتبين منها ان بعض هذه المواقع كان مرتبطا
بمحور الارتكاز وهو مصر التي كانت تمثل المركز الرئيسى ، بينما بعض المواقع الاخرى كان نائيا
وبعيدا عن مركز الدائرة ويحتل نوعا من الانبعاث ، وعلى اى حال فان هم البطالمة الاوليين
انصب على ضرورة الاحتفاظ بمواقع ثلاثة لاغنى عنها وهى برقه وسيريا الخاليه (سهل البقاع
اولبيان) ثم قبرص . وفى الوقت نفسه كانت مصر مستخدمه للتفريط والتخلي عن غيره هذه
المواقع الثلاثة وذلك عن طيب خاطر . ومنذ عام ٢٥٣ ق م لم يكن قد بقى لبطليموس فيلادلفوس
شىء من املاكه فى صميم مصر ايجيه . ومع ذلك فان بطليموس الثانى قبل هذا الوضع على
مضض قنسى نهايه حكمه فى عهد شند سلاما مقيما نون ان يعمر صنعوه شىء ادرك بطليموس
الثالث كيف ان الخلافات والنزاع الاسرى قد مزق الامبراطوريه السلوقيه شز متزق وكيف تفككت
واضر هذه الامبراطوريه قبل ان يحاول انطيوخوس الثالث لم شملها ، بل والتوسيع على حساب
جيرانها عن طريق الانارة على مصر فى عهد بطليموس الرابع (فيلوپاتور) ولكن اطماع انطيوخوس
الثالث باء بالفشل الذريع فى معركة مشهورة هى معركة رفح ١٧٢ ق م . وارتد عن مصر ونجست
الامبراطوريه البطلميه من خطر محقق بفضل جهود الفيلسوف المصرى الذى ندره شوسيبوس
(Sosibius) وزير الحربيه المصريه على عهد فيلوپاتور . ان بطليموس الثالث كان
متفركا لهذا الخطر من قبل وقوعه بفترة طويله وكان يعلم ان الدوله السلوقيه فى الشام كانت
لمصر بالمرصاد وانها كانت منافسه ومناهضة لحضره ، تتطلع الى الاغاره عليها بين حين واخر
ولكن حكمه هو بوجع من الاول اقتضت عدم استغلال الخلافات الاسريه فى داخل تلك
البلاد الواقعه على تخوم مصر من الشمال واثار البعد عن التورط فى عمل عدوانى ولستم
يفكر فى توسيع رقعه بلاده فى الخارج بعدد فترة الخمس سنوات الاولى من حكمه والتسنى
قضاها فى حروب طامشه فى هذه البلاد . وبقيت الحقيقه الاساسيه ماثله للعيان
وهى ان مصر قديما وكل شىء هى القاعده الاساسيه فى سلطيان البطالمة ومحور
الارتكاز فى ملكهم العريض ولا ينبغي والحاله حسده ، تعريضها لاي خطر او المغامرة بما فى عمليات

عسكرية خاسرة وكان الملك بطليموس الثالث يرى بثاقب نظره ان في وسعه استخدام موارد البلاد في تحقيق اهدافه ولكن لا ينبغي عليه ان يرهق مصر بما تكلفه هذه الحروب ومن مصاريف باهظة واعباء لا قبل لها بها ، خاصة وان مصر قد قدمت له في حروبها في السنين الاولى من حكمه بسخاء ولم تضمن موارد لها عن تزويده بكل ما كان يلزمه في هذه الحروب التي كان فيها ينتقم لشرف اخته برثيقة زوجة انطيوخوس الثاني * ولكن لم يكن قد غاب عن باله ابدا ان مثل هذه النتائج لا بد ان تعود على مصر بالمفانم والاشكون فربما او سيجب في ارهاق موارد البلاد * ان مصر هي المورد الرئيس الذي يغذى الخزانة الصامتة لمصر البطلمية وهي في الوقت نفسه تمثل المنصر الانساني في هذه الامبراطورية ولا ينبغي التفريط في اي شيء يضر بمصلحة البلاد * وهذا هو السبب في ان البطالمة او بالاحرى الملوك الثلاثة الاولين * اذ صح ان كان قد عن لهم التفكير في تكوين امبراطورية لهم في وقت مله فان هذا التفكير كان مجرد خاطر بالبحث ان تبخر واعرضت عنه مصر كلية - الى ان جاءت كليوباترة السابقة وهي الملكة الاخيرة في هذه الاسرة فصاودت التفكير في امكان تحقيق شيء من هذا البرنامج الذي داعب خيال فيلادلفوس في وقت ما * ولا ينبغي ان ننسى ان الموارد العسكرية والمنصر البشري القادر على خوض هذه الحروب بكفاية ومقدرة كان غير متوفر في مصر وانما كانت موارده مقصورة على بلاد اليونان ومقدونيا وآسيا الصغرى وهذه كلها كانت من البلاد التي احجم حكامها وملوكها عن السلاح لمصر باستيراد تلك السلعة البشرية وهي الجنود المرتزقة من قبيل الكيد لمصر وكان خجبتهم لهذا المنصر عملا عدائيا ، قصدوا من ورائه التكيل بمصر وحكام مصر * وعندئذ لم يبق امام الملوك البطالمة المقصود هنا عصر بطليموس الرابع فيليباتور - سوى الاعتماد على اولئك الجنود المرتزقة الذين كان فيلادلفوس قد وطنهم في ريف مصر وحرص على اسكانهم وتوزيعهم في ارجاء البلاد ليكونوا عدتها في وقت الازمات والملمات وقد نجحت هذه السياسة في المحافظة على هذا المنصر البشري المجلوب من الخارج والمدرّب على اساليب حرب الفيلق ونظامها * عمدت حكومة بطليموس فيليباتور ووزيره سوسيتوس الى تجديد المنصر المحارب المصري وهم الذين اطلق عليهم هيرودوت من قبل اسما مذكورا اي الماشيدي (Machimoi)

أو الحاربين على القتال وكون منهم فيلقا مصرية وقد نجحت الفترة واثبت أولئك الفلاحون المصريون انهم اكفاء وكسبوا النصر لبطل يهوس الرابع .

ولما كانت مصر مدينة في تقدمها وفيما حققته من نجاح لا الى تربتها الخصبة فحسب بل الى تجارتها سواء منها العابرة (transit) اول تجارتها الخارجية ولذلك آثرت مصر أن تركز الى توحى النظم وهو شرط أساسى لرواج التجارة الداخلية والخارجية على السواء . وموقع مصر القريد جعلها لاستتليح الاتصال بآسيا الا عن طريق الممر السوري الذى يعتبر بمثابة دهليز (Corridor) وكذلك لاستتليح الاتصال بأوروبا الا عن طريق البحر ففى ذلك وبمك هذا الموقع ، لا يمكن أن تكون مركزا لامبراطورية عالمية ، لان اتصالها بالاراف هذه الامبراطورية ، سوف يكون خاضعا لجيرانها وواقعا تحت رحمتهم . وفضلا عن ذلك فلكي تكون لمصر امبراطورية عالمية ، فان هذا يتطلب بدوره وجود جيش قوى مرابط ، تتجدد عناصره فى يسر وسهولة ، وانى لمصر بذلك . والجيش القوى البطلانى كانت عناصره اجنبية مجلوبة من الخارج كما قلنا ولكنها كانت باستمرار عرضة لان ينضب معينها اذ ماترأى لجيرانها وخصومها أن يخبسوا عنها هذا المورد البشرى ومنعوها من أن تتزود منه بخير زاد فأغلب القوات المعاربة يأتى من بلاد اليونان ومن جزر بحر الارخبيل وكريست وهذا الاحتمال واقع لا مناص منه متى شم خصوم مصر أن اطماعها زادت عن الحد وأنها اخذت تتدلى الى تكوين ملك عريض وامبراطورية طامحها الاساسى تكوين امبراطورية بحرية (thalassocracy) . وكانت مثل هذه الامبراطورية لا تزال فى حوزة مصر على عهد فيلوباتور ، على الرغم من أن سيلرقيا الواقعة على نهر العاصى (Orontes) فى سوريا ارتدت الى دولة السلوقيين وأن اجزاء مسن بامفيليا فى آسيا الصغرى ضاعت من مصر ، ولكن الوضع بوجه عام هو أن امبراطورية مصر بقيت لها بشكل ما حتى بداية عصر ابيفانيس وهو بطليموس الخامس ٢٠٤ ق م ثم بسند الانهيار بعد ذلك مباشرة . وكانت العلاقات الداخلية والانقسامات الاسرية هى اجندة العوامل التى أضعفت مصر وافقدتها القدرة على الدفاع عن نفسها ضد خصومها ونظرائها .

وعلى عزلها عن جيرانها والحيلولة دون حدوث أي تكتل بين مصر وسوريا مثلاً أو بين مصر
واحدي جاراتها ايا كانت هذه الجارة •

وهنا ينبغي علينا أن نذكر من مميزات هذه العلاقات بين مصر وروما منذ
أول الأمر أي منذ ٢٧٣ ق م عند عقد ~~معاهدة~~ ^{معاهدة} صلح بين مصر وروما
(. . . Amicitia) وتبادل معها السفراء وأوفد بعثة مصرية إلى السناتو الروماني
لاعلان هذه الصداقة وتوكيدها فكانت هذه السفارة بمثابة حركة بارعة تنم عن بعد النظر
الثاقب من جانب مصر ومركزها في معترك السياسة العالمية • وبأن أثر هذا بشكل جلي عندها
رقعت الحرب البونية الأولى ٢٦٤ - ٢٤١ ق م بين كل من روما وقرطاجة والآخر جارة
افريقية • محلها الآن تونس وقد وقعت مصر موقفا محايدا تماما وعرضت أن تقوم بدور الوسيط
لاصلاح ذات البين بين الطرفين المتقاتلين • لو شاءت ولكن للأسف لم يتحقق شيء من ذلك
وانتهت الحرب بهزيمة قرطاجة وإملاء شروط مهيمنة عليها وعلى أن هذه العلاقات الدبلوماسية
لم ينجم عنها أية نتائج سياسية حتى نهاية القرن الثالث • مع أن بدء هذه العلاقات الدبلوماسية
كان مرجعه إلى البلاط السكندري الذي اتخذ الخطوة الأولى في هذا السبيل • وعلى الرغم
من أمارات الورد والاحترام المتبادل والاتصالات التي كانت تتم بين الطرفين من حين لآخر
في صورة بعثات تكريفية متبادلة في شتى المناسبات • فلم تكن ناك كما همة عدم اعتداء
أو نحو ذلك بين روما ومصر وإنما هي صداقة جوفاء لا تخفى ولا تشتم • وعلى أي حال فالسياسة
التي انتهجتها ملوك البطالمة كانت سياسة استقلالية • بل أنها في واقع الأمر كانت تسفر
أحيانا عن أنها ليست في صالح مصر • ومن ذلك مثلاً قيام باليموش فيلوباتور بالتدخل
كوسيط في الحرب التي شنتها بعض الحلفاء ضد فيليب الخامس ثم تدخله في الحرب المقدونية
الأولى • وكان هذا التدخل لخدمة مصالح فيليب وليس من أجل روم • وحتى في صدر عهد الملك
باليموش الخامس (ابرغانيوس) عمد وزيره اجاثوكليس إلى إيفاد رسول لروما من أجل طلب
العون والمساعدة من قبل مجلس السناتو الروماني ضد انطيوخوس الثالث وفي الوقت نفسه

كان هذا الوزير بحمته يوجه جنده واهتمامه الى التوجه الفعلي ملك مقدونيا مع ان الاخير كان اذ ذاك العدو والدود لروما ، بل انه كان يتفاوض دون طائل من اجل عقد زواج بين الملك الشاب ابنة النيس رابطة لقلب الخامس ملك مقدونيا . واثبت بذلك انه كان يشحط فلا يعرف الصديق من العدو . وفي عام ١٩٦ ق.م . كان لروما موقف ازاء مصر فكانت النصيرة والسداحة عن مصر ضد الملك السلوقي وتقصت دور المدافع عن الحرية اليونانية . والحامي لملك مصر السلوقي الارادة .

على ان كل شيء ما لبث ان تغير بعد ان عقدت روما معاهدة مع انطيوخوس الثالث سميت بمعاهدة اپاميا (Apamea) في عام ١٨٨ ق.م . واستولت برجامسة (Pergamum) بقتضاها على معظم الاملاك السلوقية في آسيا الصغرى وانكمشت بذلك دولة السلوقيين في الشام واصبحت روما بعد ذلك قوة مهابة في الشرق ومن حقها ان تملأ ارادتها بحد السيف . حقيقة ان روما لم تقر في اجزاء من بلاد الشرق التي ملكها في ذلك الحين ولكنها عندما انتصف القرن الثاني ضمت بلاد اليونان ومقدونيا عام ١٤٦ ق.م . وضمت برجامسة في الفترة ما بين ١٣٣ - ١٢٩ ق.م . وضمت كيبكيا عام ١٠٢ ق.م . وسوف تنقضى فترة طويلة قبل ان تقدم روما على ان تضم اليها مملكتين عظيمتين اخريين هما دولة السلوقيين ثم دولة البطالمة مع انهما كانتا في حالة ضعف ، ومع ذلك فقد بقيت كل من هاتين الدولتين محتفظة بظل من الحياة الاستقلالية ، تنعم به تحت سيطرة روما او خوفا من تهديداتها ، الى ان يحين الوقت المناسب لدخول كل منهما في الحضيرة الرومانية بشكل سافر .

وحتى بداية القرن الاول قبل الميلاد ، كانت روما مشغولة وايديها ممتلئة بسبب حروبها الكثيرة والمغامرات المتعددة التي تورطت فيها في الحياة الغريبة من البحر المتوسط . ثم بسبب تلك الازمت الداخلية والخلافت بين الطبقات (البطارقة او الاشراف والبلدات او العامة) ثم زاد الطين بلة ان ظهرت طائفة من التراد في الجيش اخذت تهدد روما وتملى على مجلس السناتو شروطها . وعندئذ كان ملوك البطالمة لا يزالون قابضين على (١) هذا هو تاريخ حبيب رشيد المشهور وفيه اشادة ببطليموس الخامس (ابينقانيس)

ناصيه الحكم ولكن المؤامرات كانت على أشدها بين الاخوه والاخوات وكاد بالبغض منهم مستى غلب على امره لجأ الى روما متوسلا وطالبا التدخل لصالحه ورده الى عرضه المسلوب منه وهناك فريق آخر كانت فرائضه ترتعد وترتجف خوفا ووجلا من روما وبطشها • وهكذا كانت السياسة الخارجية ماضية لتلوى على جميع الاحوال على عمل الحساب كل الحساب لروما واحتمال تدخلها بطريقة سافرة متى شئت • ثم اقتضت هذه السياسة الخارجية على نطاق ضيق فانهضت عمليا على مجرد تناقض يقبض الاحدى من ورائه بين من والد ولد السلوقيه فى الشام وكانت قد اصبحت ان ذاك عباره عن ملكه سوريا فقط • وتاريخ مصر فى الداخل اصبحت فى هذه الحقيقه عباره عن مناقشات بين افراد الاسره البطلميه ملوكا وملكات على تولى العرش وكانت هذه المساجلات مصحوبه بحروب دمويه وانقادات واتحرافات مما اضعف البلاد وساعد على تفكك اوصالها فالصعيد فى ناحيه والوجه البحرى فى ايدى منافس • والاسكندريه تطرد الملوك ثم نستفيد هم وهكذا دواليك • وبالطبع كانت اصابع الرومان وراء هذا كله تحت هذا وتوابعه على ذاك من الاخوه والاخوات وكان زعماء الرومان ورجال الاحزاب فى روما بل واعضاء السناتسو انفسهم يمدون ايديهم ويقبلون الرشاوى من اجل نضرة ملك معزول وردع السى عرشه المسلوب او من اجل صد ملك سوريا ورده من مصر • ويذكر التاريخ واقعه مشهوره فى سنة ١٦٨ ق م • عندما انتصرت روما على مقدونيا وهزمت ملكها پرسيرس Perseus فى موقعه بيدنا Pydna • وفى ذلك الحين ان كان ملك سوريا انطيوخوس الرابع قد غزا مصر ودخل الاسكندريه بالفعل وعنده ذى لاجقه السفير الرومانى جايوس پوپدليوس لايناس (..... G. Popilius Laenas) وجه اليه انذارا سيئا وخبره من الريحيل فورا من مصر بين صداقه الرومان وطلب اليه امير تجيب على هذا السؤال فى الحال قبل مغادرته دائره كان قد رستها من حوله فى الرمل بصعاه كانت تحت ابط هذا السفير الرومانى • وقد استجاب انطيوخوس الرابع لهذا هذا السفير مستسلما لطلب روما ورجل عن مصر وبذا تم انقاذ العرض المضرى بفضل تدخل روما •

وأصبح ملك البلاد إذ ذاك وهو بطليموس فيلوميتو مدينا لزوما بعرشه وصارت مصر في الحقيقه

تحت الحماية الرومانيه المقنعه .

على انه لا ينبغي علينا ان نطيل في شرح المؤامرات والدسائس التي كان يحيكها الامراء في الاسره البطلميه وتشارك فيها بنصيب وافر الملكات والاميرات البطلمويات من برنيمات وار سينوات وكليوباترات وقد اشتهرن كلهن في التاريخ بانهم مستأعدات ومتوجلات وقويات الشكومه ولحاصل من اشهر الامثله على ذلك الملكة كليوباتره الثانيه زوجه فيلوميتور ثم ترملت بعد زوجها ان ماتت ١٤٥٤ ق م . أصبحت زوجه لاخته يورمتيس الثاني ثم هناك كليوباتره الثالثه ابنه كليوباتره الثانيه والزوجه الثانيه لبطليموس يورجتيس الثاني ثم هناك مثلهن اخران من طراز اخر احدهما ارسينوس الثانيه الزوجه الثانيه لبطليموس الثاني وحامله لقب فيلادلفوس حبيبها اخيها وكانت امراه بارعسيه وسندا قويا لاختها وزوجها وتعتبر مثلا على الملكة البطلميه القديره اما المثل الاخير فهو كليوباتره السابعه ذات التاريخ المشهور واليفد الطولي في نهضه مصر والتطلع الى استعادته مجددها

القديس (١)

ولعل التزاوج بين الاخ واخته على مدى اجيال وعلى النحو الذي كان يتم به في الاسره البطلميه كن بين اسباب ضعف هذه الاسره وضعف ملوكها الذين افسدتهم الانحسار في الملوك واقعدتهم عن العمل الجاد اقدام زوجاتهم ونسائهم على المشاركة في الحكم بطريقه منفرده ثم ان الملق والاستسلام من قبل الشعب المصري جعلهم يرخنون الحبل على الفارب ويتمادى الملوك في غلوائهم - كل هذا اخرج لنا صورا بشعه من وحوش كاسره لا تصرف الرحمة الى قلوبهم سبيلا فالاخ يقتل اخيه والام تقتل ابنها وهكذا من الاعمال التي تقشعر لها الابدان وتتفتت من هولها الاكباد . ولواتبع لكاتب مثل المؤرخ الروماني تاكيتوس (الفرصه لصور لنا هذه

الاحداث بصوره دائمه مثلما فعل بالنسبه لحياه امبراطوريه رومانيين هما تيريوس ونيرون .

(١) انظر كتاب العالمه الامريكيه ماكردى عن الملكات الميلينسيان
ثم كتاب كليوباتره السابعه لركي على ثم كتاب ثارون وتشالزورث عن اكنافيان وانطونيوس وكليوباتره
وقد صدر في كيردج بانجلترا في عام ١٩٦٥ وفيه اشاده بالملكة كليوباتره السابعه وروايه
ببرنامج سياسى لها من اجل رفعة شأن مصر .

ومند تولى بطليموس السادس (فيلوميتر) وهو ابن الملك ابيفاوس وكان قد ال اليه
 الطك وهو لا يزال فى مقتبل العمر وكان ذلك فى عام ١٨٠ ق م . ثم انه بلغ سن الرشيد
 فى عام ١٧٣ ق م . وعندئذ بدأت المناورات والفتن . حقيقه ان روما استطاعت فى وقت
 لاحق ان تمنع الملك السلوقي انحيو خوش الرابع من ان يجنى ثمار انتصاراته وغزوه لمد ينسنة
 الاسكندرية فى عام ١٦٨ ق م . وذلك على اساس ان روما لم تشأ ان ترى العرشين المصرى
 والسورى فى تيسواحدة خشيته ان يصعب عليها فيما بعد اخضاع هذا العرش المتحد ولكنها
 لم تكن تبتئسوا وتشعر باى ضمير او غضاظه فى ان ترى الانقسام يذب بين افراد البيت البطلمى
 المالك . فلما خلع الكسندر يون بطلموس فيلوميتر عن عرشه ، بتحريض من اخيه الاصغر
 بطلميور جتيس الثانى ومجالاه له ، يم الملك المخلوع وجهه شطر روما ومثل امام السناتور
 متوسلا وراجيا و طالبا العون فى ذله وامتهان وعندئذ استطاعت روما ان تصلح ذات البين
 بين الاخوين . وكان هذا الصلح يتضمن اعاده فيلوميتر الى عرشه فى الاسكندرية بناء
 على استدعاء شعبه له ، بيضاء يحصل يورجيتيس الثانى على حكم برقه ومند الحين اصبح
 يورجيتيس الثانى يستمتع حياته يوما وسوف تثير الاحراج انه لم يكن جديرا بهذه الحماية
 فهو يمثل صوره بشعه لملوك هذا البيت واستحق بجداره ذلك اللقب الذى اسيفه
 عليه شعب الاسكندريه وهو (Kakergetes) اى الشرير بدلا من
 فاعل الخير وهو اللقب الذى كان يتشددق به وهو منه براء . وقصد سجنسل
 التاريخ العديد من الجرائم التى ارتكبها ، فمن قتل دماء وتشريد والتورط
 فى حروب طاحنه بينه وبين زوجته كليوباتره الثانى وهذا كله
 سسرا سمعته وجعلته ينزل الى الحضيض . انه كان ينفسى

ان تماونه روما في ضم قبرص لبرقة تحت لواء حكمه المشترك ولم يكف عن الدس لاخيه لدى روما والتشني عليه وتصويره بصورة بشعة على انه قاتل ومجرم أثيم ينصب الشباك ويدبسر الخطط لقتل اخيه وعلى ان فيلوميتور صادف الترفيق في ازالة الجفوة بينه وبين السناتو الروماني واستطاع ان يكسب اجانيه الزعيم الروماني المشهور كاتو (Cato) الذي انبرى للدفاع عنه امام السناتو واخيرا تحقق له النصر في عام (١٥٣) وقضى بحمد ذلك ثمانى سنوات في اخذ وعطاء وفلاوضسات بينه وبين اخيه وسط مكائد تدبر له من قبل اخيه هذا ٤

عقب موت فيلوميتور سنة ١٤٥ ق م • الذي خرج مصرها في ساحة القتال في سوريا • اتحدت برقة مع مصر تحت حكم يورجتيس الثاني وكانت المملكة السلوقية يحكمها ان ذاك ملك سلوقي ششميط • استطاع ان يلم شلمها • ولذلك رأت روما الا تكون مصر • وهى جارة لسوريا • مفككة الاوصال فتكون مطمحا لسوريا ولذلك عولت على اصلاح ذات البين بين يورجتيس الثاني وارملة فيلوميتور وهى كليوباترة الثانية وكانت قد اصبحت زيجة ايورجتيس الثاني وهى اخته كذلك •

على ان روما استفادت كثيرا • لامن الولا • والاستقسام الذى كان بيديه الحكام واولو الامر في كل من مصر وسوريا فحسب • بل افادت كذلك من ذلك الانقسام الذى كان يفت في عضد هاتين الدولتين العظيمتين وهما : المملكة البطلمية والمملكة السلوقية وساعد على تحقيق هذه البخية التصرفات التى تردى فيها يورجتيس الثاني الذى كان يلعب كذلك بالبطين (Physkon) وكان السكندريون قد اسبغوا عليه كنية فيهما اساءة اليه ولكنهما نابعة من تصرفاته فلقبوه بالشير (Kakergetos) بدلا من فاعل الخير وهو اللقب الرسمي الذى كان يتشدد به • وصفحة اعماله في مصر ابعده عن ان تكون صفحة فخار • فاعمال القسوة التى تردى فيها ازاء علماء الاسكندرية ورجال القلم والفكر في اكاديميتها ثم ازاء شعب الاسكندرية نفسه والرجاء الاحرار المستتمين

بالمواطنة في تلك المدينة الخالدة - كن ذلك جلب عليه كره الاسكندرانيين له وكان
حقا عليه ان يحاكم بالسخط العام الذي لقيه في كل مكان من جراء اعمال القس التي
ارتكبها عقب تنصيبه على عرش الاسكندرية عام ١٤٥ ق.م * وصحب ذلك الوان مــــن
التعذيب والتفصيل في الشخصيات البارزة وفي بعض اليهود الذين انحازوا فيما بعد
لزوجته كليوباترة الثانية وناصروها وتلى ذلك اعدامه على طرد علماء الاسكندرية واعضاء
الاكاديمية بها وتشريدهم وتشيتهم وكان من بين هؤلاء استاذ السابقي والعالم
المشهور " اريستارخوس " (Aristarchos) * وزاد الطين بلة * وقع تلك
الجفوة المسلحة بينه وبين زوجته الاولى كليوباترة الثانية * فنشب بسببها حرب ضروس *
قسمت البلاد الى معسكرين * وكانت ابنة هذه الملكة وهي المسماة كليوباترة الثالثة
امراة بشعة * انضمت الى الملك الذي هتك عرضها ثم تزوجها من انها ابنة زوجته من
فيلوميتور * ادى كل هذا الى سلسلة من المؤامرات والاعتصاب المسلح * وشورة جالحة
قامت بها مدينة الاسكندرية انتهت بغزار الملك من المدينة في عام ١٣١ ق.م * وانفراد
زوجته كليوباترة الثانية بتولى الملك ولكن هذا لم يدم سوى فترة قصيرة * استطاع بعدها
بقليل ان يهود الملك الى الاسكندرية ويبلغ من امعانه في الضرب وشهوره ان قتل ابنه
الذي كان قد انجب من كليوباترة الثانية * بتعيد التثكيل بزوجته * وام هذا الطفل
وعندئذ فرت الملكة الى زو ابنتها وهو ديمتريوس الثاني ملك سوريا واستمرت هذه الحرب
الضروس بين يورجيس الثاني وكليوباترة الثانية عدة سنوات والبلاد منقسمة على نفسها
واعمال التعذيب والتدمير في كل مكان وانتهى الامر باتمام الصلح بين الطرفين في عام
١١٨ ق.م * وعملت تسوية وتراضى اطلق عليه " فيلانثروپا " (Philanthropa)
ولدينا وثيقة بردية مشهورة نشرت في مجموعة بردي تيفين تحت رقم (٥) وفيها بنسود
هذه التسوية الشاملة واقرار كل طرف من الطرفين ببعض التصرفات والاجراءات التي
اتمها كل جانب * كما تضمنت تسامحات وترضيات عديدة لاقرار السلم ولم يصمر الملوك
طويلا بعد ذلك اذ مات في عام ١١٦ ق.م * وكانت تصرفاته الهوجاء قد ساهمت الى
حد كبير في تشتيت المملكة البطلمية * اذ انه كان قد اوصى بعرش برقة الى ابن غير شرعي

له اسم بطليموس أبون (Apion) ثم جاء هذا الابن بدورة بعد عشرين عاماً فأوصى بحضرته الى روما . ثم ان يوزجته الثاني كان قد اوصى زوجته الثانية وهي كليوباترة الثالثة بأن يكون لها حق الاختيار لاحد ابنيها كيفما يكون ملكا على عرش مصر . وكانت كليوباترة الثالثة هذه يلقبها السكندريون بالشقراء ذات الوجه الاحمر ، اضطرتها الظروف ان تختار ابنها الاكبر وهو بطليموس الملقب لاثيروس (Lathyros) اي الحمماني (= ذو الوجه المبتع بحدبات اشبه بالحمص) وكانت في الحقيقة تمت هذا الابن ولكنها اكرهت على الموافقة على تنصيبه ملكا على البلاد وقد تحكت لئلا يجمعه يطلق اخته كليوباترة الرابعة التي كان يكن لها محبة واخلاصا شديدا ولكن الملكة الام كانت تشك في اخلاصها وولائها ومن اجل ذلك اطاحت بها وجمعتها بقرى من احدى احدى له اسمها كليوباترة القمر (Cleopatre Selene) وما نظن ان موقفا شائكا لهذا يمر بمسالم في بيت بطلمي كله . دسائس ومؤامرات ولذلك خلق هذا الموقف جوا مربيا مليئا بالشغب واستمرت الاضطرابات حتى توارثت الملكة الام كليوباترة الثالثة عن الميدان وتوفيت في العام ١٠١ - ١٠٠ ق.م . ثم هدأت الاحوال بعد موت الاخ الاصغر للملك وهو الاسكندر الاول فازيح من وجه اخيه الاكبر بطليموس لاثيروس وبذا خلا الجواه فأخذ " يبيض فيه وينقر " .

وكان السكندريون قد طردوه من المدينة في اثناء حياة اخيه الاصغر فذهب الى قبرص يتولى الحكم فيها ولكن الى حين بينما كان الاسكندر الاول يحكم في الوقت نفسه في الاسكندرية . وبعد حروب مستمرة بين هذين الاخيرين ، استطاع الاخ الاكبر بطليموس لاثيروس ان يدبر العودة الى عرشه في مصر حيث تولى الحكم مدة تقرب من ثمانين سنوات من ٨٨ حتى ٨٠ ق.م . واغلب هذه الحروب كانت تتخذ من سوريا ساحة لها يشن فيها الملكان البطلميان القتال احدهما ضد الآخر ولكن منهما بالطبع مناخرون في سوريا وقتلا عن ذلك فالملك البطاطمة تورطوا في حروب ومنازعات من نوع آخر كانت تجري في الساحة السورية . ويبدو ان مصر حتى وهي في التمزج الاخير في فترة عصيبة مسيئة

تاريخها سلسلة منسوبة من الانقسامات والحشاحات بين الاخوة والاخوات الاشقاء ، لم
تدخل مطلقا عن احقية ادعتها لنفسها في تلك الشئ الجنوبي من سوريا ، وكانت
المسألة السورية لاتزال تداعب خيال هؤلاء المشرك البطالة الضعاف مشغى وهم وسط
هذه المحن واليهات والنكبات الاسيرة التي الت بحرشهم في مصر .

ومن قبل ذلك بكبير رأينا كيف ان البلاط السكندري كان يأهل خيرا في اتمام تسوية
بهذا الشأن تنجم عن زول الملك بطليموس الخامس بابنة (لانطيوخوس العظيم ولكن
مصر بات بالفشل ولم يتحقق شئ من ذلك الحلم الحريص وقد اثبتت الظروف فيما بعد
ان انطيوخوس الرابع نفسه كانت له نوايا سيئة ازاء مصر وانه كان يتطلع الى ضمها اليه
بطريقة سافرة ولكن ربما خلعت مصر من انيابه فعلى نحو ما وصفناه من قبل * ولعله كان
يتخذ مما فعله ابيه انطيوخوس الثالث من قبل مثلا يقتدى له * وكان انطيوخوس الثالث
قد غامر بنفسه في حرب ضد فيلوتاتور (معركة في سنة ٢١٧ التي هزم فيها وكتب النصر
لفيلوتاتور) ثم مرة اخرى ضد ابيفانتيس منتهزا فرصة ان الاخير كان لا يزال في سن قاصرة
وان هذه السن القاصرة يمكن ان تكون فرصة ينهض استغلالها ولكن هذا التصرف لم
يكن له اي جدوى * وهكذا كان اسلوب انطيوخوس الرابع يسير على نفس النهج فهاجم
المملكة البطلمية واستطاع ان يستولى على القرى وان يأسر الملك الشاب فيلوميتور الذي
ضلل به من قبل ناصحين شريرين هما الوزيران لينايوس (Linaeos) والخصى
يولايوس (Eulaeos) وبعد ان استولى انطيوخوس الرابع على القرى تخلف
صوب الاسكندرية واصبح على ابواب المدينة * ولكن هذه المدينة الباسلة اعلمت
يورجتيس الثاني ملكا عليها وسرعان ماتم تحصين المدينة وجعلها في حالة دفاع قوى
فد العدو الذي لم تكن لديه ادوات حصار يضربها من حول المدينة ولذلك ارتسب
انطيوخوس الرابع عن الاسكندرية فمكتفيا بأن وضع الاخوين فيلوميتور ويورجتيس الثاني
في حالة مواجهة والى احدهما ضد الآخر اغدا متناقسان وتوض كن منهما اركان الآخر
محط من قدره وهذا ظن الملك السوري انه قد فاز في تحقيق نفيته وانه قد وجه ضربة

حماية تهديد من كيان الاسرة البطلمية . وقد تحقق له ما أراد ، اذ حدث بالفعل ان تضارب
الاخوان وهاد الملك المصري الى بلاده ولكن خاب فآله اذ تصالح الاخوان وتمت تسوية
العلاقة بينهما بفضل تدخل روما ووساطتها . وعندئذ عاود انطيوخوس الرابع الكرة فجدد
الهجوم على مصر ووصل بالفعل الى ظاهر الاسكندرية واخذ يحد المدينة لكي يغرب ضيقه
القاصمة وعندئذ انبرى له السفير الروماني جايوس بونيليوس لائناس بوصفه مبعوثا من قبل
مجلس السناتو الروماني وحاو بينه وبين ان ينفذ بغيته . ولم تكن روما بخافلة عما كان يجري
في هذه المنطقة وانما كانت عيونها مسلطة على الحوض الشرقي من البحر المتوسط . وروما
بالاس لم تخضع انطيوخوس الثالث عبثا ولم تكن مستعدة بحال من الاحوال لكي يسمح لاحد
من خلفائه بان يبتلع مصر ويضمها لاملاكه فتصبح لخدمة سائفة ويكون مصير ذلك ان تصبح
الدولتان : سوريا ومصر قوة مهابة ، قد يستحس على روما اخضاعها بعد حين ، طان او
قصر . واذا كانت روما لم تسمح لها ظروفها بالتدخل من قبل في هذا النزاع ، فان السبب
في ذلك معروف وهو انشغالها في الحرب المقدونية الثالثة . فلما تهاكت عن هزيمة بربسيوس
ملك مقدونيا في موقعة بيدنا عام ١٦٨ ق.م . على يد القائد الروماني ايميليو باولوس .
(Aemilius Paullus) ، خلا الجو لروما فرص التنازل في وجه ملك سوريا
وهو انطيوخوس الرابع وجعلته " يكس الملك " ولقنه السفير الروماني " لائناس " درسا
قاسيا ، تناولناه من قبل بالشرح وبيننا مدى البشاعة والامتهان في معاملة روما له منذ
المعتدى وطرده من مصر بطريقة فيها شيء كثير من السخرية والاحتقار لشأنه . تلك
حادثة مشهورة ذكرها المؤرخ الروماني ليفي (Livy) وردت فيها كتب التاريخ
من بعده . عندما تعرضت لهذه الحقبة من تاريخ مصر على عهد البطالمة وعلاقة مصر بروما .
وكانت هذه الحادثة بمثابة اعلان سافر لشوعية الصداقة بين مصر وروما وفيها تحذير مكشوف
لاي من جارات مصر من الشمال حتى لا يفكر احد من ملوك هذه البلدان في شن عدوان
على مصر التي أصبحت منذ ذلك الحين تحت الحماية الرومانية المقتضية . وهذه حقيقة
واقعة لا ريب فيها ، فمنذ عام ١٦٨ ق.م . عرف العالم الهيلينستي على سبيل اليقين ان
مصر تحميها روما . اما لماذا لم تصلح روما تلك الحماية رسميا ولماذا لم تشأ روما ان تضم

مصر الى املاكها نهائيا كما فعلت مع كثير من بلاد اليونان ومقدونيا ، فلهذا موضوع آخر له اسبابه . ولحسن روما شئت ان تتوخى التريث والا تستعجل الخواث ، وان تترك الظروف تمهد السبيل للوصول لهذه النتيجة في حينها ثم ربما كانت سياسة الاحزاب في روما هي احد الاسباب الجوهرية في تأخير ضم مصر الى ملك روما وفي اطالة هذه الفترة مدة تقرب من ١٣٨ عاما اي من ١٦٨ ق م . حتى ٣١ - ٣٠ ق م .

وهكذا كانت الحروب التي شنها انطيوخوس الرابع على مصر تمثل المحاولة الاخيرة التي تورط فيها الملك السلوقي ضد مصر بطريقة عشوائية لامبرز لها سوى ذلك الطمع الشخصي . وقد بين على مصر ان تنقم ورد الصاع صاعين ، فتدخل في الخلافات والنزاعات التي سوف تؤدي بالملكية السورية الى الدمار . وعلى ذلك عندما تورط ملك سوريا المسمى ديمتريوس الاول (Demetrius I) في شئون جارة شمالية واقعة في وسط آسيا الصغرى وهي ولاية كابادوكيا (Cappadocia) شمالي الفرات وجنوبي انقرة ، مشيرا بذلك الكثير من الشكوك في نفوس الرومان وكشفا للنقاي عن بعض التطلعات والاطماع في شئون آسيا الصغرى بتدخله في النزاعات الاسرية حول عرش كابادوكيا ، انبرت اليه روما كما انبرى له الملك اتالوس الثاني (Attalos II) ملك بيرجامة ، ارضاء للرومان وكسبا لودهم ، فقدم احد الادعيان في عرش سوريا واسمه الاسكندر بالاس (Balas) مناهضا لديمتريوس الاول في عرش سوريا . وعندئذ لم يتردد فيلوميتور في نظرة هذا الداعية وهذا المخامر المسمى الاسكندر بالاس وتوكيدا لهذه الخطوة وتوثيقا لهذه المواقفة اعطى ابنته المسماة ثيا (Thea) او كليوباترة ثيا (Thea) اي كليوباترة الاله لتكون زوجة له ، فكان بتزويجه ابنته له ايدانا من جانب مصر في انها تؤيد دعواه وتطالبها في عرش سوريا . ولما قتل ديمتريوس الاول في ساحة المعركة واثبت بالاس عدم صلاحيته لانه لا يطلع بالمهمة الموكولة اليه ، لا بد انه كان قد اغضب فيلوميتور الذي قلب له ظهر المعين وانضم الي جانب ابن ديمتريوس الاول وهو ديمتريوس الثاني الذي

رفد الى ابنته كليوباترة ثيا * وفي ساحة المعركة ذبح بالاس وتخلصت سوريا من هذا
الغلام ولكن بطليموس فيلوميتور الذي كان النصر هامته في المعركة نقل منها جريحاً
وما لبث ان لفظ انفاسه الاخيرة عام ١٤٥ ق.م * وهكذا لم تكن مصر شيئاً من هذه
الحرب السورية * سوى انها اصبحت بطريقة عملية عن نواياها البعيدة المدى * وانها
لم تكن بعد قد تخلت عن اطماعها السابقة او انها وقت ذلك الدرس القاسى الذى
تلقته فى عام ١٦٨ ق.م * ولم يخلصها من هذه الورطة سوى السفير الرومانسى
” بوبيليوس لابيناس “

وكان الحان لايزال على ما هو عليه فى نهاية حكم كل من يورجتيوس الثانى (عام
١١٦ ق.م *) فى مصر وديمتريوس الثانى فى سوريا من حيث التواطؤ وعمل الدسائس
والجزم بدعين فى عرش سوريا * تسانداهم مصر وتشد من ازهرهم * وتلبية لدعوة موجّهة
من قبل السوريين الذين كانوا يدقون ديمتريوس * بحث لهم يورجتيوس الثانى بما بين غير
شرعى لبالاس (Balas) كما يكون ملكاً عليهم وكان هذا الابن اسمه الاسكندر
زابيناس (Alexander Zabinas) وبعد حرب شعواء استمرت ثلاث سنين
قتل ديمتريوس واعتلى زابيناس عرش سوريا فى انطاكية * ولكن سرعان ما دب الخلاف
بينه باعتباره سنيحة * وبين يورجتيوس الثانى الذى تخلى عن تقديم المصون له * فكان
هذا التخلي عنه سبباً فى ضعف مركزه * ومالبث هذا الغلام ان خلع عن عرش سوريا عقب
ثورة قامت ضده وانتصت بقتله والتخلص منه * وجاء بعده امير سلوقى اصيل اسمه
انطيوخوس الثامن Antiochus VIII الملقب بجرينوس (Γρυπός) فخلف
زابيناس على عرش سوريا وتزوج من ابنة الملك البطلمى واسمها كليوباترة تريفائينا
(Cleopatra Tryphaena) .

على ان مصر لم تستطع ان تجنى اى ثمار من وراء هذه الحروب التى كانت تمولها
ولا من الاشتراك فى الدسائس التى كانت تحريكها وتدس انفسها فى شئون البلاط السورى وقضت
الظروف بأن تورط نفسها بتقديم المصون والساحل لسيديته من مدعى العرش السورى * ان

روما كانت دائما تفت بالبرصاء لمصر وتحول دون ان تزداد قوتها لويضعهم مركزها فسي هذه المنطقة الحساسة • ولربما كل ان الخوف من روما هو الذي جعل كلا من فيلوميتور وبرجتيس الثاني يختار اسماء تحم الشكوك حول احتيقاتها في عرش سوريا • ولما جاء الملك بطليموس لاثيروس "الشماني" وجدنا ان مصر الى سوريا سلسلة من النزاعات التي كانت تفتت ممتلكاتها من قبل ولكن لم ينجم عن هذا الاسلوب اي توطيد لمركز مصر في سوريا فثان "لاثيروس" برصفه ملكا ان ذلك على البلاد قد اراد ان يوطد مركز انطيوخوس التاسع ضد اليهود في فلسطين وهم الذين كانوا باستمرار في حالة ثورة وغيان ويكونون دولة داخل دولة سوريا • وعلى ذلك تخصم من كليوباترة الثالثة التي كانت تعتمد على تأييد الحزب اليهودي في الاسكندرية • ولما عزل لاثيروس عن العرش وحل محله اخوه الاصغر "الاسكندر الاول" • ولد مركزه في قبرص • على الرغم من الجهود التي بذلتها امه كليوباترة الثالثة من اجل اقضاء لاثيروس عن قبرص • وكان جميع القواد المستربيين التابعين لها قد تخلوا عنها وخانوها فيما عدا قائدين يهوديين هما خلكياس (Choloias) وآنانياس (Ananias) • ومن قبرص استدعى "لاثيروس" بواسطة مدينة بطلمية بالصعيد كيما يحاونها ضد اليهود وقد كانت هذه فرصة مباحة كيما يعود مطلقا الى مصر عن طريق سوريا وبفضل اعوانه في سوريا • ولكن كليوباترة الثالثة ذهبت الى ساحة القتال في بطلمية بالصعيد لمنازلته ومطاردته وعندئذ اثر لاثيروس ان يعود ادراجه الى قبرص ومنها حاول مرة اخرى التدخل في شئون سوريا والاشتراك فيما يجري في ساحاتها من نزاعات اسرية وخانات فرقت ذات البين بين افراد الاسرة المالكة هناك • ولكن جميع الجهود باءت بالفشل ولم تجن مصر من ورائها اي طائر وانطوت على مشروعات غير مجدية اما ما كان يجري في ساحة الاسكندرية فانها اعمال فسي غاية البشاعة • تردى فيها الملك الاسكندر الاول ونجم عنها تحطيم كل آماله • بل والقضاء على نفسه آخر الامر • ان ماليت السكندريون ان ثاروا عليه وعزلوه عن عرشه في عام ٨٩ ق.م • ثم تلموه اربا اربا جزاء فعلته الشنيعة وهي قتل امه البغيضة كليوباترة الثالثة عام (١٠١ ق.م) وهي التي جوزيت جزاء سنمار ونسي لها مافعلته من اجلسه

وما ارتكبه من جرائم ومهملات من أجل تواجده وهو الذي سمح لروما ان تستولى على بركة باعتبارها ارثا اوصى به ابيون لها.

استدعت الاسكندرية لاثيروس فحضر في عام ٨٨ ق.م. وتولى الحكم لمدة ثمانين سنوات حتى ٤٨ ق.م. قضاه في سلام وطمانينة بعد موت اخيه وقضائه على ثورات نشبت في الاقليم الطيبين. وبعد ذلك تخلت مصر عن اطماعها السياسية في سوريا ولم تعد تنادي بعد ذلك بأن لها سياسة سورية تبغى تحقيقها.

حكم الملك بطليموس اولوقليس (٨٠ - ٥١ ق.م.)

الاستقلال المصري في خطر :

منذ ذلك الحين لم يعد من حق مصر ان تدعي ان لها سياسة خارجية معينة على الاطلاق ، ان لا يمكن بحال ان يطلق على تلك الدساتير الدنيئة التي كانت مصر تحيكمها لجارتها في الشمال ، انها تنطوي على سياسة مرسومة وذات تخطيط معلوم . وكان من الاولى بمصر ان تمنى بوضي خطط تصون بها استقلالها ضد روما . وعقب فترة الحكم القصيرة جدا التي حكمتها ابنة " لاثيروس " وهي بربقة الثالثة التي قتلها زوجها الاسكندر الثاني بن الاسكندر الاول وبعد موت الاسكندر الثاني نفسه في اثناء ثورة جامحة شنتها عليه الاسكندرية غضبا منه وبغضا لسياسته ، كان الدسول الشرعي لبيت البطالمة قد انقرض تماما في عام ٨٠ ق.م. وكان الاسكندر الثاني نفسه مديونا لروما بعرشه الذي حصل عليه بفضل تأييد الدكتاتور الروماني سالا (Sulla) عام ٨٢ ق.م. وكان انذاك سالا صاحب الحول والناول في المعالم الروماني . وهناك نقف حيارى ازاء المصير المحتم لبلد اصبح عرشه خاليا من المطالبين الشرعيين به ، بينما دولة روما متطلحة الى هذا البلد الذي فرضت حمايتها عليه منذ امد طويل ان منذ عصر فيلوميتور عام ١٦٨ ق.م. بالذات . وازاء هذه الحيرة وخشية سوء الحاقبة لو طان الامد على هذا الشخبور (interregnum) ، سارع السكندريون

بمقتضى ابن غير شرعي للملك الراحل " لاثيروس " وذلك الابن هو بطليموس الزمار
(Auletes) الذي عزب بهذا اللقب غير الالهى بسبب وهبة تعيز بها ،
بل وكان يفاخر بهذا الفن في اللص على الارض او الزمار ، من ان هذه مهبة
غير خلية بأى ملك ، وقد عرف عنه انه كان يلعب نفسه بـ " نيوس ديسيوس " (Neos Dionysus)
التي كانت في التشبه بأله الخمر والفن ،

وعندئذ اخذ الحديث في روما يتواتر عن وجود وصية مزعومة من مخلفات ذلك
الملك الاسكندر الثاني الذي قيل انه اتحدى بما فعله من قبل ملوك غيره وهم
ملك برجامة (انالوس الثالث) (Attalos III) و بطليموس ابين (Apion)
في برقة وملك بيشنيا (Bithynia) المسمى نيوميديس (Niomedes)
فيما بعد ذلك بتليل وكأنا الاسكندر الثاني تشبه بهؤلاء وذهب بلاده ارثينا
خالصا لروما ، وسواء اصبحت هذه الرواية ام لا ، فان روما كانت قد الفت هذا
الاسلوب وهو النص على ذكرها بصورة او بأخرى في وصايا ملوك ذلك العصر من
قبيل الملث او التودد او من سخريه القدر ومن ان القصة التي كانت تحور حول هذه
الوصية المنسوبة الى الاسكندر الثاني ، ربما كانت فرية ومحض اختلاق ، فان الموضوع
برمته اصبحت ملروحا بالفعل على نشاط البحث في الدوائر السياسية بروما ، وكانت
الاحزاب الرومانية المتنازعة على السلطة في الجمهورية الرومانية ، مؤيدة بتلقوا
من امثال يوليوس قيصر وهومي ، وتتسابق في الاضطلاع بهذه المهمة وهي ضم مصر
الى روما ، ولكن هذه الاحزاب السياسية اختلفت فيما بينها على من يكون صاحب
الفضل في الاستيلاء على هذا الارث العظيم .

وظم هذه الدرة وهي مصر الى سلطان الحكم الروماني في اواخر العصر الجمهوري .
وهكذا اصبحت تاريخ مصر مرتبطا ايما ارتباط بتاريخ روما وتطور الاحداث الداخلية فيها
في هذه الحقبة الحرجة من تاريخ الجمهورية الرومانية وهي ان ذاك في سبيل الاختصار .

يتنازعها القادة والزعماء العسكريون وملون شروطهم على مجلس الشيوخ او السناتوس
الرومانى المتيد *

وكان قادة الحزب الديمقراطى وهم من نعرفهم باسم الاحرار (populares)
يجهدون بشدة ضم مصر ، نظرا لان هذه السياسة وما تنطوى عليه ، راقى فى نظر العامة
او جماهير الباجز (plebs) فى روما وكانوا يحرفون باسم البروليتاريات proletarii
وقد استهوتهم الثروة الطائلة التى كانت لدى مصر والفاصل التى كانت تنتجها ارض مصر ،
املا فى ان يجرى توزيع هذا وذلك عليهم وقد يصب هذا توزيع رقى من الاراضى كأنصبة
يحظى بها عامة الشعب الرومانى ، ثم ان هذه الموارد الوفيرة قد تيسر السبيل امام
زعماء حزب الاحرار للوصول الى تولى السلطة فى روما ، وهذا امر لا يروق لزعماء حزب
الاشراف (Optimates) وناضلوا من اجل تعديله وعدم تحقيقه بأى حال من
الاحوال * وكان من رأيهم انه اذا ترك هذا الموضوع معلقا الى حين ، فقد ينجس
عن ذلك ميزة اخرى وهى ان يجرى الملك المصرى المصطاء ويسخو فى تقديم الرشى
كما يضمن كسب الاشراف له فى سياسته * وقد كان من اليسير استبعاد مطالبين تقدمت
بهما كليوباترة القمر (Cleopatra Selene) وهى اخت لاثيوس وارملته وكانت
قد تزوجت ثلاثة من السلوقيين على التوالى ، فطالبت بعرش سوريا لاحد ابنائها وكانت
سوريا اذ ذاك فى ايدي تيجرانيس (Tigranes) ملك ارمينيا وصهر ميربواتيس
(Mithradates) احد اقطاب ملوك الشرق القديم ، كما طالبت بعرش
مصر لابن آخر لها * ولكن لم يحظ احد المطلبين بالرضا وصرف النظر عن هذا وذلك
وفى عام ٦٥ ق م * عندما كان الزعيم الرومانى ماثيوس بومبى يطارد القرصان ويضيق
عليهم الخناق فى عرض البحر ويظهر المياه الشرقية منه من شرهم وكان مشغولا كذلك
بالخناق الهزيمة بحدود روما للدود " ميثريداتيس " انبرى احد زعماء الحزب الديمقراطى
واحد رجال الحكم الثامنى لاون وهو ليسينيوس كراسوس (Licinius Crassus)
وتقدم باقتراح مقضاه اكرام مصر على دفع اتاوة (Tributum) باعتبارها ولاية

(Provincia) تابعة للشعب الروماني ، على ان يوكل تنفيذ هذه المهمة لوليوس قيصر . وفي العام التالي (٦٤ ق.م) بان في الافق خطر مماثل ، جاء من ناحية اخرى فمن ثانيا لا تحة خاصة بتوزيع الاراضي تقدم بها سرفيليوس رولوس (Servilius Rullus) اقترح فيها ان يجرى توزيع جميع اراضي الدومين والاملاك العامة الواقعة في خاين ايطاليا ، على المواطنين الرومان الفقراء ولكن النبلاء او الاشرف في روما هزموا كلا من الاقتراحين السالفي الذكر وانجري شيشرون في خطبة عصماء عنوانها (De lege Agraria) يندد بالاقتراح الاخير ويدعو الى رفضه وبذلك فشلت الجهود في ادماج مصر في برنامج اصلاحية .

وعلى هذا النحو اصبحت المسألة المصرية احد الموضوعات الرئيسية في برامج الاحزاب الرومانية ، يسيل لها لحاب العامة وتستهدف القادة والزعماء في الجمهورية الرومانية بمسا تشيره من خاتبات في الرأي وماتوقظه من اطماع وآمان . كانت سنة ٦٣ ق.م . في روما تعرف بسنة كاتيلينا (Catilina) عضو السناتو الفوضوي وهو الذي انجري لشمه شيشرون وكان يشغل وظيفة القنصل في ذلك العام قندد به وبأساليبه في عدة خطب مشهورة عرفت بهذا الاسم " ضد كاتيلينا (In Catilinam) كشف فيها امام مجلس السناتو مبلغ ما تردى فيه هذا المضمون جرائم واعمال تخريبية . وصحب هذا عودة بومبي من حملته المفطرة في الشرق بعد ان تم له النصر على " ميثريداتيس " وقيامه عقب ذلك بتنظيم الولايات الجديدة التي دانت لروما في الشرق او في آسيا ، وكان من جراء هذا التنظيم ان احكم الشناق من حول مصر يتوقع كل هذه البلاد في حوزة روما والسلوقيون كانوا قد سقطوا في يد روما واصبحت سوريا ولاية رومانية خالصة (provincia) وبجانب ولاية آسيا التي كانت في وقت ما تمثل مملكة برجامة ، نجد كلاً من بيبثيريا وبنطش وجنوبيس البحر الاسود يشتركان في حكومة واحدة ، كما نجد غير ذلك سلسلة اخرى من الولايات التي وقعت تحت الحماية الرومانية ومن هذه مملكة كابادوكيا وجالاتيا ومملكة البسفور على ضفاف القرم . اما الاحداث الجارية في روما فقد كان لها تأثيرها المباشر على مستقبل

مصر ، ذلك انه في عام ٦٠ ق.م . تألفت الحكومة الثابتة الاولى (Truimvirate) من ثلاث رجال عظام (Truimviri) هم يوليوس قيصر وبومبي وكراشوس وشاكهميس مليونير . وكان امرا طامعيا ان يشير قيصر موضع تلك المشروعات التي سبق ان اقترحها " روللوس " وان يحاول اقرارها ، ولكن عيون اليك بطليموس اوليتيس لم تكن غافلة عما يجري في روما وانما كانت مساعطة باستمرار على خبايا هذه السياسة الرومانية وكان يتوجس خيفة من نتائجها على مستقبله ومستقبل مصر وقد استطاع بأساليبه الخاصة ان يشتري ذمة يوليوس قيصر ودفع له رشوة قدرها ستة آلاف من القانتات وبذلك استثنيت مصر واخرجت من نطاق المشروعات الخاصة بقوانين الاراضي ومدر قانون مشهور يعرف بقانون الملك السكندري (De Rege Alexandrino) وبمقتضى هذا القانون أصبح بطليموس اوليتيس هو الصديق والحليف للشعب الروماني (amicus et socius populi Romani)

وهكذا استطاع بطليموس اوليتيس ان يحقق بغيته ، ولكنه اغفل شيئا مهما ، لم يكن قد عمل له اى حساب - ذلك هو شعب الاسكندرية ومن ان هذا الشعب كان يتألف على حد قول المؤرخ اليونانى بوليبيوس (Polybius) من جماعة من الفوجاء الذين ندد بهم هذا الكاتب ، فان فيهم حمية القومية والوطنية الجامحة وفيهم اعتزاز بالنفس باعتبارهم من سكان مدينة الاسكندرية وهى اذ ذاك اعظم مدينة فى حوض البحر المتوسط ، بل وفى العالم المأهول بالسكان . وكان هذا الشعب السكندري بطوائفه العديدة يكن البغضاء والكراهية الشديدة لروما ويخشى الآثار الناجمة عما حققته من انتصارات فى الشرق .

وفى عام ٥٨ ق.م . جاء احد الترابضة المأورين وهو كلوديوس (Clodius) وهو صنيعة من رجال يوليوس قيصر ، اشتهر بالافتك والبهتان ، وتقدم باقتراح بخصم يمس سمعة مصر فى الصميم ويحط من كرامتها وقد تمت الموافقة على هذا الاقتراح وهو يقضى بأن تلحق جزيرة قبرص بالجمهورية الرومانية وتسلم عن مصر وتصبح تابعة لروما اى (annex) . وما كان فى وسع هذا الملك المدين والحليف للشعب الروماني

وهو اول تمسك ان يحرك ساكنا او يعترض على مثل هذا الاجراء التمسقي والقلبي بتقطين
اوصاف المملكة المصرية على هذا النحو المشين ، على ان الاسكندرية ضاقت ذرعا بهذه
الافلال وانحت بالثمة على الملك اوليتيس لتقريبه وطردته من مصر في نفس المسام
٥٨ ق م * وقد لاذ بالفرار بأقصى سرعة ، ميمما وجهه شطر روما ، طالبا منها المصون
والتأييد في هذه المحنة التي حلت به ولم يكن هو السبب المباشر فيها .

وهنا قد يصح لنا ان نتساءل عن موقف روما ازاء هذا الملك الظريد * وهل هناك
احتمال بان يستجيب الرومان لدعوته ويسارعوا بتجديده ورده الى عرشه المملوك ؟ ام
ماذا يكون حل هذا المشكل ؟ وكانت هذه المهمة مريحة للغاية ، ويتسابق عليها عظماء
الرومان اما هائلة او في السر وكانوا يفكرون في الاضطباع بها لما تنطوي عليه من مكاسب
مادية ومعنوية لا يحصى عنها ، مالمها الفخار بالاشتراف في عمل مجيد كهذا * وصانف
في ذلك الحين ان كانت الجمهورية الرومانية تسودها الدسائس والمؤامرات وتتنازع فيها
امواء القادة وتشتد الكراهية بين مختلف الاحزاب * وكانت ساحات الفورم (Forum)
او سوق المدينة في روما مسرحا لمماركة شتى تنشب كل يوم بين الخطباء وذوي الحارب
والخبايا * وكان يوليوس قيصر قد ذهب الى بلاد الغال (فرنسا حاليا) املا في ان
يكسب من وراء غزو هذه البلاد نفوذا وموارد كان يحلم بالحصول عليها من قبل من مصر *
ثم في الوقت نفسه ترك محسوبة وهو التربيون المهرج كلوديوس ليراقب ما يجري من الاحداث
في سوق الفورم ويتصرف فيها بما يتفق ومصلحة سيده يوليوس قيصر * ولما عرض موضوع
المسألة المصرية في هذا الجو المكهرب ، كان ذلك بمثابة وضع الزيت فوق النار فازدادت
لهيبا وسط تلك المشاعر المتأججة والمتهبة * وتسبب عن هذا سفك الكثير من الدماء
وارتكاب اعمال المنف * وقد استخدم بطليموس اوليتيس بعض السفاحين والقتلة الأجانب
من اجل التخلص من مائة من السفراء الموفدين من قبل اهل الاسكندرية للدفاع عن
قضيتهم في روما ضد هذا الملك الظريد * وكان رئيس هذه البعثة وهو ديون (Dion)
عضو الاكاديمية الاسكندرية قد لقي نفس المصير فقتل الجميع وتسبب عن هذه الجرائم خلق

جو من الخزي والمأر حتى ان الموضوع برهه اثير اطمح الحاكم في روما ونوه عنه شيشرون في احدى خطبه (Pro Caelio, 10) وفي ذلك ففي عام ٥٧ ق م * قرر السناتوسو بفضل الذهب الذي اسبغه بطليموس على زعمائه ، ان يصاد الملك الى عرشه بواسطة كورنيليوس (P. Cornelius Spinther) حاكم كيليكيا (الاناضول) ولكن حزب الاستقراطية الذي كان ضد هذا المشرع مؤيدا من قبل التوتيم بومبي الذي كان يطمح في ان يوكل اليه مثل هذه المهمة - من قرار السناتو هذا حتى اصبح هذا القرار حبرا على ورق * وعندئذ اوى بطليموس الى الاعتصام بمحميد افسوس في آسيا الصغرى حيث وجد هناك مصرفا يستطيع ان يقرضه المال اللازم لتنفيذ بغيته وعندئذ استطاع ان يوثر على الحاكم الروماني في الشام واسمه اولوس جابينيوس (Aulus Gabinius) وهو معروف بصداقته لبومبي * وقد اغراه طمعه في ان يحصل على عشرة آلاف من التالنت كان قد وعده بها هذا الملك ، اذا مآرده الى عرشه المنسلوب * وكان السكندريون في هذه الاثناء قد نصبوا ابنته الكبرى بوزيرة ملكة عليهم وكانوا في واقع الامر يشعرون بالخطر الداهم عليهم ، فأخذوا يبحثون عن زهر لهذه الملكة واتجه تفكيرهم بطليموس الى احد افراد سلالة السلوقيين باعتبارهم اصهارا سابقين وكان هذا الشخص الذي وقع عليه اختيارهم يعيش في سوريا ولكن جابينيوس ضمه من مفادرة سوريا وبذلك حطم آمال السكندريين ثم هداهم البحث الى المشور على شخص آخر من سلالة السلوقيين كان يلقبه السكندريون بالسماك او الفسخاني (Cybiosactes) وهذا اللقب الذي اسبغ عليه ، دليل على نوعية هذا الشخص والطباع التي كان يتجلى بها * وقد ضاقت الملكة بسلوكه وهالها ما كان يطمح به ، فدبرت قتله والتخلص منه * وعندئذ اتجهت وجهة السكندريين نحو شخص آخر يدعى اركيلوس (Archelaos) وهو ابن احد قواد ميتريداتيس وقد تمت الموافقة على قبوله زوجا للملكة ولكنه اظهر عجزا عن التصدي لجحافل الرومان والدفاع عن مصر ورد الفرق الرومانية الزاحفة من سوريا بقيادة جابينيوس * وقد تم رد بطليموس الى عرشه ولكنه لم يحمو طويلا فمات في عام ٥١ ق م * تاركا ولدين وبنتين احدهما كليوباترة الباطنة وكانت كليوباترة هذه ذات

شهرة واعطاء بصيرة المدى • وقد حكمت مصر بالاشتراك مع احد اخوتها وهو اصغر منها
ببعض سنوات وكان هذا بناء على وصية والدها الذي وكن الى روما تنفيذ هذه الرخصة ،
وبذلك دخل تاريخ مصر في اطار تاريخ روما •

كليوباترة السابعة (٥١ ب • ق • م •)

ببساطة مصر ومحاولة احياء الامبراطورية المصرية

اخيرة

هذه صفحة في تاريخ دولة البطالمة ، تربعت فيها على دست الحكم الملكة المشهورة
كليوباترة السابعة ، وكانت فيها هي البطلة والمحركة لدقة الشئون وقد مثلت دورها بعناية
وتفكير جاد وكانت الاخطار تجريها بين حين وآخر ولكنها استطاعت النجاة في هذا
البحر المتلاطم الامواج الى ان عصفت بها الاحداث الواقعة من الخائن وقد استعانت
في تحقيق مآربها بفضل قائدين رومانيين عظيمين هما يوليوس قيصر وماركوس انطونيهوس
وهما اللذان آرت اليهما وجذبتهما اليها واستخدمتهما الواحد تلو الآخر في تحقيق
مآربها وكانت تنجح في تحقيق برنامج سياسي واسى المدى • ولكن الحظ خانها آخر الامر •
والظروف التي احاطت بالسياسة الرومانية الهوجاء لم تكن مواتية لها • فلما انجبت ابنها
من يوليوس قيصر وسمته قيصر الصغير او قيصر (Caesarion) ، كشفت عن نواياها
البعيدة بهذه التسمية وعن استعدادها في الوقت المناسب لكشف النقاب عن احفاد
ابنها في ارض ابيه وتجلي هذا بصورة سامرة بعد اغتيال يوليوس قيصر سنة ٤٤ ق • م • في
اليوم الخامس عشر من شهر مارس وهو يوم مشهود ومشهور كان يطلق عليه (Ides of
Mars = March)
في التقويم الروماني •

حقيقة ان مصر منذ عهد فيلوميتور كانت قد خرت على اقدامها وكانت تستجدي بين
حين وآخر شيئا من المظف والمعون من روما وكانت روما تستجيب لمطالب ملوك البطالمة
المستضعفين في مختلف الازمان • ولكن الانسان المنصف لا يسمعه الا ان يعجب لهذه
الحيوية التي اظهرتها مصر في عصر الملكة كليوباترة • ومصر كانت اذ ذاك هي البلاط

الوحيد الباقي في حوض البحر المتوسط بشقيه الغربي والشرقي دون ان تخضعه رومما
وتضمه الى املاكها * بل اننا نستطيع ان نقول ان مصر عادت تتطلع الى استعادة
امبراطوريتها وتتجسس السنين التي تدومها من تحقيق هذا الهدف ، وكان في هذا
التطلع بادرة خاطرة اهم على الجمهورية الرومانية في فترة دقيقة كانت فيها الجمهورية
الرومانية في حنة كليلها خائبات وانقسامت بين القواد الرومان والاحزاب واشتدت ازمة
الجمهورية بظهور نفر من الجمهوريين المطالبين بالعودة الى الاسس والقواعد السليمة
التي بنيت عليها الجمهورية (Res Publica) وادي هذا الى مقتل يوليوس قيصر
وقيام الحزب الجمهوري برئاسة بروتس (Brutus) وكاسيوس (Cassius)
واخرين بحملة مؤداها الانشقاق والخلاف بين هؤلاء الزعماء الجمهوريين من ناحية
وبين اكتافيوس (Octavius) وماركوس انطونيوس (Marcus Antonius) من
ناحية اخرى * والزعيمان الاخيران هما الممثلان لارث يوليوس قيصر والمطالبان بالانتقام
لده من القتل * وسوف نرى كيف يحسم هذا الخلاف في معركة بحرية في شمان بسلامة
اليونان هي فيليبياي (Philippi) في سبتمبر من عام ٤٢ ق م * ثم ان سكستوس
(Sextus) بن بومبي كان يقود حربا قرصانية في مياه البحر المتوسط وهي حرب
كانت تقض مضجع اكتافيوس وانطونيوس وهكذا كانت الاخطار تهدد الجمهورية من كل مكان *
ولكن الامر الشريف حقا هو ان تلك الامبراطورية التي داعبت خيال كليون بآخرة كان الضماد
فيها على الاسلحة الرومانية وعلى سواعد الجند الرومان والفرق الرومانية (legiones)
وهذا وضع شاذ وامر غير مستقيم ولا يمكن الاطمئنان الى سلامته * وما زاد الطين بلية ،
ان رومانيا هو القائد والبطن ماركوس انطونيوس كان يمثل الداعية لقيام هذه الامبراطورية
المصرية والسند القوي لها بعد عام ٣٧ ق م * على ان مجرد التفكير والرفقة في احياء
هذه الامبراطورية المصرية ، اظهر حقيقة واضحة ، هي مبلغ ما في وسع اي زعيم قدير ان
يفعله متى توافرت لديه كل تلك الموارد المصرية والاموال البركدسة في خزائن مصر بوفرة ،
لا يمكن ان ينضب لها معين * ولا ينبغي ان ننسى انه عندما احتدم الخلاف بين اكتافيوس
وانطونيوس واخذوا يتنازبان على السلطة في الجمهورية الرومانية وعلى من تكون له الكلمة

منهما ، كان هذا الخلاف ماثلاً في الأذهان . ونراه كذلك مجسداً ومثلاً في فريقين هما روما ومثلها اكتافيرس والاسكندرية ومثلها الطونوس وكلبيو باثرة . وهكذا تبلور الرض واحتدم الخلاف في محسنيين هما روما ضد الاسكندرية او الضرب ضد الشرق .

وهنا نحن نستعرض بعض الاحداث الجارية ونحاول سرد اهمها لنرى كيف تطورت الأمور وكيف يُرى بمصر في مشارك عسكرية وسياسية على في الحقيقة من ضمن تاريخ الجمهورية الرومانية . بعد موت بطليموس اوليتيس يستتب اقدم يوليوس قيصر على عمل خطير وهو تنكره للنظم الرومانية السليمة ورمية القنار في وجه مجلس السناتو او الشيخ الروماني بأن عبر من بلاد الغال الى شمال نهر ريواليو (Cisalpine gaul) كما كانت تسمى اذ ذاك ثم اجتاز نهيرا صغيرا في شمال ايطاليا اسمه الروبيكون (Rubicon) بجيشه مندفعاً صوب روما وكان في هذا الجمل متجهكا لحرق الدستور الروماني . ويعتبر هذا المصير في عام ٤٩ ق.م . ايذانا ببدء مرحلة جديدة وخطيرة في تاريخ الجمهورية الرومانية ومثالاً لسلوك القادة والزعماء الذين استهانوا بالنظم الدستورية المزعجة في روما . وكان هذا المصير فاتحة عصر مزير من الحروب الاهلية (Civil Wars) التي شهدتها الصال الروماني بين قائدين عظيمين هما يوليوس قيصر وماجنوس بومبيوس . وقد كان من سوء حظ مصر ان انساق الى هذا الحروب الاهلية ، مع انه لم يكن لها في هذه الحرب لائاقة ولا جمل ، ولكنها كانت ضالمة مع جانب يوليوس قيصر بالتحصية . وكان اولى بها ان تناصر جانب بومبي فهو الذي كان قد اسدى للملك بطليموس اوليتيس جميلاً بأن اوحى الى جاجينيوس الوالي على الشام وهو احد صناعه ، ان يرد الملك المخلوع الى عرشه وتم هذا بالفعل منذ بضع سنوات وسوف نرى ان ابن بطليموس اوليتيس وهو وهو بطليموس الرابع عشر وزوج كليوباترة وكان يصغرها سناً تنكر لهذه الملائكة وكان السبب والمحرش في اغتيال بومبي في المياة المصرية عند مرفأ الفرما (بيلوزيم) وكان بومبي قد فر من المعركة بعد هزيمته على يد يوليوس قيصر في فارساليا (Pharsalus) في بلاد اليونان عام ٤٨ ق.م . فظان ان مصر هي المكان الامن الذي يأوي اليه ولكن هذا

الملك المصري الشاب كان آنذاك في خلاف مع زوجته واخته كليوباترة والاشنان يقتسمان زوجها لوجه على رأس جيوش متناحرة ، ظنا منه ان اغتيال بومبي هو خير قربان يقدمه ليوليوس قيصر المظفر ، وكان اتحاد مصر في حرب اهلية رومانية قد جاء بطريقه غير مشرفة وغير خليقة بمصر ولا يملكها المقترحة على عرش البلاد وهي كليوباترة السابعة التي ساقها طمعها الى البحر بنفسها في نزاع روماني احدا ودما . وقبل معركة فارسالوس اوفارساليا كما كانت تسمى احيانا وهي التي حسمت ذلك الخلاف والنزاع المحتدم بين القائد الرومانيين العظيمين : يوليوس قيصر وماجنوس بومبيوس ، كانت كليوباترة قد تورطت وقد مت سفنا لسكستوس بن بومبيوس المظفر صاحب اليد الطولى على البيت البطلمي ، وكان سكستوس هذا يقوم بحرب قرصانية في المياه المصرية والشرقية من البحر المتوسط ، وما كان في وسع كليوباترة ان ترفض طلبا كهذا . ولما منى بومبيوس بالهزيمة في فارساليا واصبحت كفة يوليوس قيصر هي الراجحة ، صار موقف كليوباترة وزوجها وهبوا اخوها الاصغر حرجا للغاية بعد هذه الهزيمة ، فحلى ان الصلح بين كليوباترة وبين زوجها هذا كانت على غير مايرام فهي في سن السابعة عشر بينما هو يصغر بها بسنين سنوات والخلاف بينهما على اشداه ، فتركت كليوباترة الاسكندرية ولجأت الى القيايس المصرية المرابطة على تخوم الحدود الشرقية من مصر ، ومن اجل هذا ردة كليوباترة حشد اخوها وزوجها قواته عند النرما (بيلوزيوم) حيث اعد الحدة لاستقبال بومبي بعد فراره من معركة فارسالوس مهزوما مدجورا ولكن هذا الاستقبال قد رآه ان يكون فيه نهاية غير كريهة برجل اسدي للبيت البطلمي جهلا فجوزى جزاء سنمار واخيل بومبي بتحريض من الملك وهو يتأهب للرسو بسفينته في ميناء الفرما عام ٤٨ ق م . ولما وصل يوليوس قيصر وهو يتعقب خصمه ، تعرف على جثمانه وعلى خاتمه وبكاه بكاء مراكم تمنى لو مات كروماني في ساحة المعركة ميتة شريفة وخليقة بقائد عظيم مثله ، ولكنها الخيانة وقصر النظر تودى بالانسان الى موافق التهلكة . اما يوليوس قيصر فقد التفت الى اخ واخته واصلىح ذات اليين وطلب اليهما ان يتوليا الحكم بالاشتراك سنويا وذلك تنفيذاً لوصية ابيهما المودعة لدى روما .

ومنذ ذلك الحين ان منذ عام ٤٨ ق م • اخذ نجم كليوباترة في المصعود واصبحت

تتقدم الصفوف وكلكتها هي المسموعة التي يتردد صداها في كل مكان ، فهي الموقودة
والمؤرزة من قبل يوليوس قيصر ، البطش المظوار • وهنا قد يتساءل الانسان هل كان في
وسع الملكة كليوباترة ان تختار طريقا غير الذي سلكته • وان نقدرى باخيها رياختها
الكبرى وبما فعله الشعب الايبى في مدينة الاسكندرية ، فتعلن حربا شمواعلى يوليوس
قيصر في الاسكندرية ، وهى الحرب التي عرفت في التاريخ الرومانى بحرب الاسكندرية
(Bellum Alexandrinum) وصفت أحداثها ووقائعها واستراتيجيتها
باللاتينية ونسبت الى كاتبها المسمى هيرتيوس (Hirtius) وقد انتهت هذه
الحرب بعد مقاومة عنيفة من جانب الاسكندرانيين وملكهم بيهزيمتهم ونوت ملكهم وانتصار
يوليوس قيصر عليهم • انها لو فعلت شيئا من هذا ، لكان منكمها محقروفا بالمخاطر ،
ولربما كان في ذلك خسارة محقة لكن شئ • بل فيه خسارة لحياتها نفسها ولكنها
بمقلها الراجح وبعد نظرها ، أثرت طريق الامان وغلبت الحكمة على العاطفة وتقدير
الواقع الملموس بدلا من السير وراء الخيال متأثرة بروح الوطنية الجوفاء • ولذلك انطوت
كل سياستها على ان تجذب الى جانبيها ذلك الرجل الذي ابتسم له الدهر واصبح
المستقبل بين يديه • مبشرا اياه بأنه سيكون سيد العالم • وقد تحقق هذا بالفعل
ولكن الى حين •

وبعد انتهاء حرب الاسكندرية التي استمرت سنتين اوتتحو ذلك من ٤٨ حتى

٤٧ ق م • وكان السبب فيها شملة من الوطنية التأججة ، انتابت اهل الاسكندرية

وجرفتهم نحو التورط في ثورة جماعية ضد يوليوس قيصر الذي كان قد اتصل بكليوباترة

وعاشرها مطاشرة الا زواج وبما هذا الى زوجها وهو ملك البلاد ، فخل القاج من فسوق

رأسه وقاد هذه الحرب فكانت ثورة عارمة وسم الابار واقار العتارس في الشوارع والطرق

الضيقة وبذلك وضع اخته وزوجته وحشيقتها في مراكز حرجة للغاية • ولكن يوليوس قيصر

استطاع بما اوتى من براعة في وضع الخطط والاستراتيجية ومعرفة بالامام الطبيعى •

ان ينجو من هذه المحنة وان يتحقق له النصر . وقد حكمت كليوباترة بالاشتراك معها في
الاصغر وتزوجته بعد مقتل زوجها الاول في ميدان الحرب وكانت الجيوش الرومانية
بالطعن تؤيد عرشهما في مصر . وقد بلغت كليوباترة قمة مجدها واهي عظمتها بعد ان
كلت هزائنها تلك الانتصارات التي كسبها يوليوس قيصر . وعقب الحرب التي شنها
يوليوس قيصر في شمال افريقيا وعرفت بالحرب الافريقية ، دعاها يوليوس قيصر للحضرة
الى روما لتقيم في قصر ابنته لها على ضفاف نهر التيبر (Tiber) وقد استجابت
لهذه الدعوة وعاشت في روما فترة طويلة كانت محزنة مكرمة . وحتى انها ظنت انها أصبحت
ملكة العالم . ولكن المفكرين من الرومان من اثنان الخطيب شيشرون كانوا يضيقون بها
ذرها وينظرون اليها كما لو كانت قذى في عيونهم ويتمنون رحيلها عن روما حتى يتنفسوا
الصعداء ولكنهم لم يكونوا يملكون لها نفعا ولا ضرا ، فيوليوس قيصر هو سيدها ووالده
ابنها قيصرون وهذا الابن شبيه بأبيه في سجنته ومظهره . وشاء القدر ان يكون في
هذا الابن سر عظمتها وسر نكبتها في الوقت نفسه وفيه تكن المتاعب وبسببه تشتغل
حروب اهلية اخرى بين زعماء الرومان بعد ان يتوارى يوليوس قيصر عن الميدان ريثما
في يوم مشهور في شهر مارس من عام ٤٤ ق م . نتيجة المؤامرة التي دبرها له جماعة من
المؤمنين بالتقاليد الجمهورية فخر صديقا في احد دهاليز مجلس السناتو الروماني عند
اقدام تماشال مقام ليومبي في هذا الدهليز . ولا ريب ان مصنع يوليوس قيصر وهو في قمة
مجده يعتبر كارثة محققة بالنسبة لكليوباترة . انه كان من الصعب عليها بل ومن
المستحيل الاقتراف مع القيصرين وهم الحزب المتأدي بضرورة اشد الثأر من
الجمهوريين وهم حفنة من السفاخين والقتلة . ولكنها حاولت الا تورط نفسها فالتحذرت
موقفا وسطا يتسم بالحذر والثأني . انها ارسلت بالمعمل جيوشا كانت مجهزة بمصر
وهي اصلا جيوش رومانية جلبها جايوس قيصر عندما قدم لرد والدها الى عرشه منذ عام
٥٥ ق م . ثم تركها لتؤيد عرش هذا الملك ، فذهبت هذه الجيوش الى القائد الروماني
المسمى دلابلا (Dolabella) وهو من دعاة الانتقام لدم قيصر . وكان القصد
من وراء ذلك تقديم المعلن لهذا القائد في محاولة فاشلة ، اريد بها الاستيلاء على

سوريا وانتزاعها من كراسوس الجمهورى . ولربما هذا تفكيرها ان تؤثر القرى في هذا الجو الماصف الملى بالاحداث الجسم حتى قيل انها هى التى دبرت تمطيل خسر السفن التى طلبها منها كل من انطونيوس واكتافيوس كيلا تص فى موعدها ويكون تأخير وصولها فيه الضمان لها والنجاة من اللوم اذا ما ذرعت بشتى الاسباب والمهادير كقيام عاصفة ، أخرت ابحار هذه السفن او نحو ذلك . وهكذا ارادت انتظار المصير المحتم وقد جاء هذا فى سبتمبر من عام ٤٢ ق.م . ان حشم الموقوف فى معركة فليباى (Philippi) التى قربت مصير العالم وانتصار حزب يوليوس قيصر على هؤلاء القلة من الجمهوريين . وكان الشرق كله فيما وراء بحر الادرياتيك من نصيب انطونيوس بينما الغرب بما فى ذلك ايطاليا وجزء الفان واسبانيا وبلجيكا وغيرها من نصيب اكتافيوس وهو الوريث ليوليوس قيصر بحكم وصيته .

على ان مهمة انطونيوس فى الشرق هى التى تعيننا فى المصم لا ارتباطها ارتباطا وثيقا بمستقبل مصر وخاصة بعد ان توثقت صلات كليوباترة بهذا الزعيم الرومانى وهيسو ماركوس انطونيوس الذى وكلت اليه روما تنظيم شئون الشرق كله وذلك بمقتضى اتفاق تسبم بينه وبين اكتافيوس ولبيدوس وهو الاتفاق الثلاثى (Triumvirate) الرسمى الذى قدر له ان يعمد خمس سنوات ثم جدد لخمس اخرى وانتهى فى عام ٣٣ ق.م . وهذا الاتفاق كان فى حقيقة امره اتفاقا ثنائيا (Duumvirate) اكثر منه ثلاثيا فانطونيوس هو رجل الشرق واكتافيوس هو رجل الغرب وهما بطلا العالم وليس لهما ثالث يقف فى سبيل ايهما . وكانت مهمة انطونيوس فى الشرق تنطوى على تهديده الاحوال ووضع حد للثورات المشتملة فى الشرق وتصفية المشاكل التى تجمعت فى ارضائه ثم الاخذ بالذات لمقتل الزعيم الرومانى كراسوس (Crassus) الذى لقي مصرعه بعد معركة كارى (Carrhae) عام ٥٣ ق.م . فى العراق بواسطة الاشفانيين الذين كان الرومان يطلقون عليهم اسم البارثيين (Parthians) وكان الخطر يشهد املك روما فى الشرق من جانب هؤلاء البارثيين . وفى طارسوس (Tarsus) بآسيا الصغرى حدث لقاء

تاريخى ومسرحى فى الوقت نفسه • وكان انطونيوس قد بعث فى طلب كليوباترة لسوء المعاملة
عن اسباب تقاعسها فى تقديم العون والمساعدة لى تصدوا للأعداء بالخارج من قسلة يوليوس
قيصر ، ولكن الملكة أثرت الذهاب لملاقاة انطونيوس لا كتهمة وإنما فى صورة الالهة افروديتى
الجديدة ، وتحف بها مظاهر الحضارة والابهة التى تغلب اللب وتفتتن بها العقول • ولم
تجد الملكة اية صعوبة فى تبرير موقفها ، اذ ما لبث انطونيوس ان تحول من قاضى الى محب
مقيم فى الضرام بها وقد صاحبها فيما بعد الى الاسكندرية حيث نعم بمباهج المدينة
المظيمة وبحياة كلها مفاخرات • لم يسبق لها مثيل ، وهى حياة ليس فى مقدور احد ان
يقلدها او يحاكيها وكان هذا كله فى عام ٤١ ق.م • ولابد ان الملكة جال بخاطرهما
حينذاك انها تستطيع بواسطة هذا الجندي المظلم ان تحقق ما رتها وان تتخذ لنفسه
عونا على تحقيق الامبراطورية التى كانت تحلم بها هى واسرتها فى سالف الزمان •

ولكن انطونيوس لم يترك لنفسه المنان حتى يفرق فى مباهج الاسكندرية ، فبعد
ان قضى فيها فترة من الزمان ، شدته التاعب التى سببتها له زوجته فولفيا (Fulvia)
عقب فشلها فى حرب عرفت بحرب بيروسيا (Perusia) كانت هى المحرقة على
اشمالها ضد اكتافيوس وعندئذ يمت وجهها شطر الشرق كيما تتنزع زوجها من احضان
كليوباترة وترده الى ايطاليا ، بعيدا عن مباهج الشرق ومقائمه • ولكن القدر خلص
انطونيوس من زوجته انطونيوس واكتافيوس ، وتوثق هذا الصلح بزواج انطونيوس من اخت
اكتافيوس واسمها اكتافيا وعقدت بذلك معاهدات فى برنديزى وميسينوم وهما ميناءان
فى جنوب ايطاليا عام ٤٠ ق.م • وكان انطونيوس لا يزال حتى ذلك الحين محافظا على
طابعه الرومانى الاصيل بوجهه قائد الجيش الرومانى المعتز بولاء جنده له • وبعد
ان اقام فى اثينا فترة من زوجته الشابة ، اخذ يتأهب ويستعد لخوض حرب آل على
نفسه ان يشنها ضد البارثيين وكانوا قد غزوا آسيا الصغرى واجتاحوا سوريا ولكن فنتيد يوس
(Iulius Ventidius) حدهم وانقذ تلك البلاد من شرهم (عام ٤٨ ق.م •)
على ان سياسة الدفاع هذه ليست بكافية واصبح من التعمين على انطونيوس ان يشحن

هجومًا متوغلًا به في أرض العدو لودعه والتكهن به ولذا أخذ يستعد لهذه العملية المرتقبة ، فطلب إلى زوجته أكتافيا أن تعود ادراجها إلى روما وأن تتركه وشأنه ثم ذهب هو إلى أنطاكية في الشام حيث كانت الملائكة كليوباترة في انتظار مقدمه وفي صحبتها أولادها منه ومن يوليوس قيصر .

وايتداءً من هذا اللقاء ، طرأ تغيير واضح على انطونيوس بفضل تأثير كليوباترة عليه بالطبع ، فأخذ يتحلل من الأفكار والمبادئ الرومانية القديمة وينحاز إلى الملكسة كليوباترة بطبيعة سافرة ، غير أنه ولا بيان بما يتقول به الرومان عليه من أقاويل ، والبعض منها مبالغ فيه بالطبع . ولكن الحقيقة لم تكن خافية على أحد . فلقد حاولت الملكسة كليوباترة في أول الأمر أن تستعين به في استرداد أجزاء من الإمبراطورية البطلمية القديمة فجعلته يمنحها بعض أجزاء من سوريا الداخلية أو سهل البقاع في لبنان ثم يقدم لها كذلك جزيرة قبرص والبلدان التي كانت لمصر في إقليم كيليكيا بآسيا الصغرى وفسس جزيرة كريت ثم اقتطعت من أملاك الملك هيرودس فسس بلاد اليهودية (Judaea) إقليمًا غنيًا بأشجار البلسم هو المصروف بإقليم (Jericho) . على أن الخطط التي وضعتها هذه الملكة بالاشتراك مع خبيثتها ، اتخذت صورة مختلفة وجاءت أكثر تحديدًا عندما عقد النصر على غزو بلاد الشرق ومحاربة البارثيين . حقيقة أن هذا البرنامج ربما اعتبر في حد ذاته سرًا من المهمة الأصلية التي وكلت إليه باعتباره أحد الرجلين العظيمين في العالم آنذاك (duumvir) ، ولكن سرعان ما اتضح أن هذا الحاكم الروماني لم يكن يفصل هذا من أجل روما وأن أفكاره قد تطورت وأصبحت بعيدة كل البعد عن هذا المجال ، فمصلحة روما لم تعد هي الرائد والمحرك الأساسي في خاطره .

أنه لم يكن ينبغي تحقيق أهداف واطماع قوامها تكوين ولايات رومانية أو محميات تسبق عليها روما سلطانها ، وإنما انطوت أحلامه على تكوين حلف مؤلف من الممالك الشرقية ماله أن يصبح قوة موحدة تكون الاسكنسية عاصمة لهذا الحلف الموحد . وهذا

البرنامج هو ادنى ما يمكن تصويره من الخواطر التي ربما علفت بأذهان كل من انطونيوس وكليوباترة •

وليس هنا مجال التعرض لاي وصف مسهب لتلك الحملة التي شنها انطونيوس على أولئك البارثيين في عام ٣٢ ق.م • ولا لاي شرح لما لقيه من هزيمة اليمة ومن خسائر فادحة في اثناء عودته • وقد اعقب هذا المصير قيامه بشن حرب على أرمينيا في ٣٤ - ٣٣ ق.م • ولعل قصده من وراء ذلك تغطية فشله السابق • وقد انشاق في هذه الحملة الى التوغل في قلب أرمينيا وانتهت تلك الحملة بأسر الملك الارمني ومعه أسرته • وقد احتفت كليوباترة بهذه الانتصارات بصورة تجلج فيها المظلمة والروعة واسترعت جنين الابصار في الاسكندرية وفي العالم الروماني وبانت فيها بصورة واضحة تلك الاطماع التي كانت تجيش في صدر كل من كليوباترة وانطونيوس فكليةوباترة بالاشتراك من انطونيوس جالسا على منصة في الاسكندرية ومن حولهما الابناء والبنات وقد اعلنت كليوباترة نفسها ملكة الملكات ولم يكن هذا باللقب الاجوف • لانها قدرت ان تكون لها السيطرة الشاملة على جميع الممالك التي وزعت في هذا الحقل على ابنائها وبناتها من انطونيوس الذي كانت قد اعلنت من قبل زواجها منه • فأرمينيا والاقليم المنتظر ان يطعن بها من امالك البارثيين • تكون من نصيب الاسكندر هليوس (الشمس) الذي زوجته من يوناني (Jotape) ابنة ملك ميديا (Media) اما سوريا فكانت من نصيب بطليموس فيلادلفوس وكانت كن من قبرص وبرقة من نصيب كليوباترة القمر • وتوزع هذه الممالك على هذا النحو السلا فيه اشارة لغضب روما وكشف للنقاب عن حقيقة نوايا انطونيوس وكليوباترة ازاء روما • ولكن معركة اكتيوم في عام ٣١ ق.م • حطمت هذا البناء قبل ان يكتمل بمرجه وتم تحطيم هذا البناء كله بعد موقعة نيقوبوليس (Nikopolis) في ظاهر الاسكندرية سنة ٣٠ ق.م • وكانت روما تعلم علم اليقين انه لو ترك الحبل على الفارب حتى يتم ذلك البناء لكان فيه خطر داهم على روما نفسها • ولذلك عقد اكتافيرس الصرن على تشكيل قواه وجعل ولايات الغرب وعلى رأسها ايداليا تقسم له يمين الولاة (Conjurati)

في حرب يفتخر شنها ضد كليوباترة التي كان الرومان يعتبرونها العدو اللدود فهي
(hostis) اما انطونيوس فاعتبر متخلياً عن رومانيتها ، بتصرفه في امالك روما
في الشرق تصرف الشخص المفتون والفسارق الى اذنيه في حب كليوباترة وقد حسم
الموقف عندما التقى الشرق تحت لواء انطونيوس والغرب تحت لواء اكتافيوس في موقعة
مشهورة في المياه الضريبة من بلاد اليونان وفي خليج ابراشيا ، في اكتوبر سنة ٣١
ق.م* وهي تعتبر اشهر موقعة في العالم القديم وكانت الهزيمة من نصيب انطونيوس
وكليوباترة اللذان فرّا من المعركة وعادا الى مصر ثم تلى ذلك موقعة نيقيبوليس التي
حققت نصرا مؤزرا لـ اكتافيوس وانتهت بنضم مصر الى حظيرة الحكم الروماني وانتهاء دولته
البيطالية بانتحار كل من انطونيوس وكليوباترة.

وهكذا منذ وفاة الاسكندر الاكبر حتى معركة اكتوبر وهي فترة تبلغ نحو ثمانمائة
عام (من ٣٢٣ حتى ٣١ ق.م*) تراوحت خلالها السياسة البطلمية بين الهدوء والجزر
وكان فيها تاريخ البيطالية يشتمل على حقب معلومة ، وكل حقبة منها تتميز بخصائص من
الثقة والضعف . وكان ابرزها تلك الحقبة التي شهدت انهيار تلك الامبراطورية في نهاية
القرن الثالث واول القرن الثاني ويعتبر بدء هذا الانهيار في عهد فيليبياثور واتخذ
صورة متسمة بالحروجة والخطورة في عهد ابيفانيوس وحوالي عام ٢٠٠ ق.م* سار هذا
التداعي والانهيار بخطى سريعة . وسواء اكانت ملكة البيطالية تمثل ملكة محصورة في
وادي النيل ام اتسمت رقعتها وانبجحت في الشرق والغرب والشمال فكانت ذات ثروات
لا بد من المحافظة عليها واخرت امبراطورية شرابية الاطراف وتطلبت سلطانا بحريا شاملا
للحوض الشرقي من البحر المتوسط ، فان مصر بمعناها الضيق كانت هي القاعدة وهي
الاساس الذي كان يركز عليه كل هذا الكيان الهائل وكانت هي الشغل الشاغل للملك
الشماعيين في هذه الاسرة فلم تنقب مصالحها عن بالهم ولم تغفل عيونهم عن الاهتمام
بالجهاز الحكومي حتى في احلك الظروف واسوأ الاحوال .

(١) رقعة وادي النيل لا تزيد كثيرا عن مساحة ملكة بلجيكا حاليا والمسافة من رأس البرلس
شمالا حتى اسوان وجزيرة فيلة جنوبا تقدر بـ ٤٩٢ ميلا اذا طار الغراب رأسا اما اذا
سربا مع تميم نهر النيل فالمسافة تبلغ ٢٥٠ ميلا .

الانفتاح على دول عالم البحر المتوسط وعلاقة مصر بروما

بعد ان سردنا اهم الاحداث التي جرت داخلها وخارجها على عهد ملوك البطالة المتعاقبين ، يحسن بنا ان نعمل هنا معالم بعض الموضوعات ذات الاهمية الخاصة بنفس تاريخ مصر البطالية ومدى الارتباط بين السياستين الداخلية والخارجية وأثر كل منهما على الاخرى . من الحقائق المعروفة ان الاضواء من جميع الجهات في الحوضين المشرقين والغربي من البحر المتوسط ظلت مسيطرة بشدة على مصر ، عقب فتح الاسكندر الاكبر لتلك البلاد في عام ٣٣٢ ق م . اى في مستهل الثلث الاخير من القرن الرابع قبل الميلاد ، بل ومن قبل ذلك بكثير . ولعل الفضل الاكبر في ذلك كان راجعاً الى ذلك الوصف الشمل الذي كان هيروdot قد دججه في منتصف القرن الخامس قبل الميلاد عن مصر في الكتاب الثاني من موسوعته التاريخية . وشاء هذا المؤرخ اليوناني ان يسهب في وصف ما شاهدته من ايجاد تلك البلاد واثارها وماخيرها من عادات قومها . وقد عن انه ان يبرز ما كان لها من عظمة حضارية ومن خصالها الحديثة متميزة وما كان لاهم معالمها الاثرية من روعة وما كان لطوائف سكانها من نشاط متعدد الجوانب ، اخذ كل هذا بالباب القراء في المعالم اليونانية وبخاصة من اتاحت لهم الفرص لزيارة هذه البلاد ، وذلك عليهم نفوسهم وقلوبهم . وهكذا استجاب كثيرون من اليونانيين لدعوة هيروdot ولبوا النداء فرادى او جماعات . فلما جاءت غزوة الاسكندر لمصر ، فتحت البلاد ابوابها على مصارعها مرحبة بأولئك الوافدين الذين جاءوا من كل صوب وانها اوا على مصر كالسيل المنهمر ، متهاقنين عليها ، اما لاجل مشاهدة معالم تلك البلاد او لانشواء في سلك الخدمة المدنية او العسكرية لدى ملك البطالمة ، وبخاصة الملك بطليموس فيلادلفوس وهو الذي كان صيته قد طبق الاتفاق على بلغ السماكين وذلك بفضل اصلاحاته التقدمية العديدة وسعة افقه وتشجيعه للمعلمين والعلماء والمؤسسات الثقافية والحضارية التي اقامها واصبح عليها من فضل وماله الشيعر الكبير ، فاكسبه هذا شهرة عالمية واسعة . وكانت اصلاحاته العمرانية وحكومته الديمقراطية مضرب الامثال ، كما كانت انتصاراته بفضل قواده في البر والبحر محل تفاخر وتباهي ، مما اوحى للشعراء اليونان ان يشيدوا بذكرها وكان شاعر البلاط المسكندرى ثيوقرطس

Theocritus) أحد الاعظم الفيين ديجنول سلسله من الاشعار والقصائد على اعراس
(Idylls) التي طالما تخطى بها الرعاة . وجاءت فيها اشعارات منلفة الى اجساد
هذا الملك والى سخائه وتشجيعه للوافدين من اليونانيين وبخاصة من كان يرم منهم
الانضواء في سلك الجندية . دعاهم الشاعر ثيوكريطس الى البؤكير بالجذور الى مصر فقصها
على حد قوله : كل شيء جميل وفيها ملك جواد ، يجزل السطاء للضياف والجنود ويقدم
لهم افضل الاجور عن سعة وسخاء ، فلا هو بالضنين الشحيح وانما ببسط لهم الرزق ويؤمن
مستقبلهم بما كان يمنحه لهم من اقطاعات ومنح عينية ومساكن كان يوطنهم فيها وينزلهم على
بيوت المصريين ، يشاركونهم في بعض طوائفها كنزلاء طبقا لاوامر ملكية صادرة في هذا الشأن
سار اغلب ملوك البطالمة من بعده على منوال بطليموس في بلاد نفوس ونهجوا على نهجه بصفة
عامة في مجالى السياسة الداخلية والخارجية وفتحت مصر ذرائعها مرحبة بمقدم شعوب
كثيرة بين اوروبية واسيوية واستقرت البلاد لجهود فئات نشطة من هؤلاء المغامرين والمكبرين
والحرفيين الذين اوتوا مقدرة فائقة على الحيل الجاد والثمر والاصلاح في شتى الميادين
فأثمرت جهودهم واينعت بذور هذه السياسة وانتعشت البلاد اقتصاديا وماديا وادبيا .

وكان من بين المتطلعين الى مصر المزدهرة بل والشرعيين بها دولة ناهضة فى
الحوصى الغربى من البحر المتوسط ، وتلك هى روما الغنية والدولة الناهضة فى وسط ايطاليا
كانت هذه الدولة الغنية منذ بدء عهد بطليموس في بلاد نفوس ترقب الاحداث الجارية فى الحوض
الشرقى من البحر المتوسط وماذا ان ذاك ان كانت فى كفاج مزير وصدام وعراك من دولة افريقية
هى قرطاجة وهى دولة بحرية تجارية عديدة وفى اثناء الصدام المسلح بين روما وقرطاجة فى
الحرب اليونانية الاولى ٢٦٤ - ٢٤٢ ق م . كانت مصر حذرة ووقفت موقفا محايدا متباعدة
بالحكمة والريوية وعرضت ان تقع يدور الوسيط بين جارتها الافريقية وبين روما من اجل تسوية
هذا الخلاف المسلح ، ولكن اليها هذا رفض . وعلى اى حال فمصر ارتبطت بروما منذ
٢٧٣ ق م . برباط من الود والصدقة واخذت الصلات بين الطرفين تأخذ شكلا وديا وتوثقت
الروابط والعلاقات بينهما على مدى الزمان وتوطدت شيئا فشيئا . ولكن روما كانت تدبسر
وترسم وتضع الخطط ، متطلعة الى المستقبل البعيد وقد استطاعت

ان تنصب الشباك التي كبلت بها اعناني ملوك البطالمة المتعاقبين وخاصة بعد ان دب الخلاف والنزاع الاسرى بين افراد البيت المالك واستفحل هذا الخلاف واتخذ صورة مسلحة بين اخوهن غير متحابين هما بطليموس السادس فيلوميتر وبطليموس الملقب يورجيتيس الثاني ثم مرة اخرى من بين الاخير بعد ان آل اليه ملك البلاد وسده عقب موت ابنه وبين اخته وزوجته كليوباترة الثانية * وحوادث ووقائع تلك الحروب التي نجم عنها انقسام البلد وانفصال الصعيد عن الوجه البحرى ليست بخافية على أحد * وقد امتدت آثارها الى جميع مرافق البلاد وتعطلت حركة التقدم الى ان تم الصلح فى عام ١٨٠ ق م * بين الطرفين المتحاربين وسلم كل فريق للآخر بقبول ماتم من اوضاع وحقوق على نحو ما فصلته لنا وثيقة بردية مشهورة ^{رقم ٥} فى مجموعة بردى تيتوس فمهدأت الاحوال ولكن الى حين وكانت روما تتدخل وتتصح وتوفى بين المتقاتلين * وتجددت الخلافات بين ابناء كليوباترة الثالثة الزوجة الثانية ليورجيتيس الثاني وهما بطليموس الاسكندر الاول والاسكندر الثاني وجاء بطليموس لاثيروس فاشتط فى سلوكه وتجددت الثورات والفتن — كل ذلك ورومها ضالحة من وراء ستار متارة تتدخل للتوفيق بين الزوج وزوجته والآخر واخته ^{واخرى} بين الاخوة المتنافسين على العرش *

وليس من قبيل الاستطراد ان يجرنا هذا الحديث الى الكائن عن الاوضاع فى مصر والافاق التي اتجهت اليها فى سياستها الداخلية والخارجية فى حقبة حاسمة من تاريخها — ثم التمرس على الظروف والاحوال الاجتماعية والاقتصادية فى عصر شامل لملوك ثلاثة هم بطليموس فيلوميتر ٢٢١ — ٢٠٣ ق م * ثم بطليموس ايفانس ٢٠٣ — ١٨١ ق م * ثم بطليموس فيلوميتر ١٨١ — ١٤٥ ق م * وفى هذا الصدد ينبغي ان نذكر دائما حقيقة اساسية وهى انه بينما كنا فى العصر السابق وهو عصر كل من بطليموس فيلادلفوس وبطليموس يورجيتيس الاول نعتمد اساسا فيما نستقي من معلومات على النصوص الادبية والوثائق البردية وهى وفيرة ثم على مجموعة من النقوش والعملات اذ بنا فى العصر التالى وهو عصر الملوك الثلاثة المشار اليهم نواجه بحالة اخرى فيها ضحالة نسبية من حيث المصادر التي نستقي منها المعلومات ، فالمصدر الادبى الذى اعتمد عليه على فقرات من المؤرخ اليوناني بوليبيوس (Polybius) الذى عاش فى عصر بطليموس

يؤرخه الثاني وزار مصر إذ ذاك ثم ان وثائق البردي والتفوش المسطرة على الجوانب
والألواح الحجرية والبيرية والرخامية والبوابك اقل في القرن الثاني مما كانت عليه فسي
القرن الثالث * على ان هذا الوضع قد يكون ببعض المصدقة
ولا ينفي التعميم عليه إذ قد تكشف الايلم عن ارشيف اشبه بأرشيف زينون الذي بقي اعضاء
سلطنة على عصر بطليموس في بلاد نفوس لفترة الاثنى عشر سنة من صدر عهد بطليموس
يؤرخه الاول او قد نثر على وثائق ذات قيمة وأهمية تكشف لنا الفاضل من الامور
وتكشف اشياء كثيرة لما لدينا من ثغف المعلومات ثم ان تلك الفقرات التي كشفت حديثا عن
قرارهم اضدرة الملك بطليموس فيليباتور عن عبادة الاله ديوتيسوس والطقوس والمراسيم
الخاصة بهؤلاء الاله الخباد وضرورة حصرهم وتسجيل اسمائهم لدى ديوان في الاسكندرية
ودعوتهم من بين انحاء البلاد للشعور في الاسكندرية امام موظف معين اسمه ارستوبولوس
الخ مما جاء في وثيقة بردية منشورة في مجموعة بردي برلين - هذا القرار لا يقل أهمية وقما
عما جاء في خبر رشيد من عهد بطليموس ابيفانيس وصدر عن الكهنة ورجال الدين وهم
يشيدون بذكر هذا الملك ويشيدون بأعماله * ثم ان العملة زودتنا بقسط وفير من المعلومات
لا يقل أهمية عما جاء في نظيراتها مما يرجح الى منتصف القرن الثالث قبل الميلاد *

وعندما نعرض لهذه الحقبة ينبغي ان نتوخى الجذر الشديد فلا نعود الى تصميم
والاستنباط * ربا على مبدأ مرضى او طبقا للقاعدة التي تقول بأن السكوت وعدم النص
يحول لنا التسليم بالوضع الراهن (argumenta ex silentio) فولا اذا
ما توافرت لدينا الأدلة على وجود وظيفة ما مثل وظيفة وزير المالية (diocetes)
في القرن الثالث ولم نجد شيئا يدل على بقائها في القرن الثاني * فليس من الضروري
ان نستنتج انها توارت عندئذ واصبحت في خبر كان والعكس بالعكس اذا وجدنا إشارة
لوظيفة عامة في القرن الثاني مثل وظيفة الإديولوجوس (Idilogos) او الأبيستراتيجوس
(Epistrategos) فليس معنى هذا ان إحدى هاتين الوظيفتين أو كليهما
كانتا موجودتين في نفس القرن الثالث قبل الميلاد وكذلك الحال اذا ما وجدنا

ظاهرة مهمة من صميم الحياة الاجتماعية او الاقتصادية او الدينية غاب ذكرها في اى من الوثائق الخاصة بالقرن الثالث ثم ظهرت فجأة ولاون مرة ^{ثبت} ~~ورث~~ ^{ثبت} إشارة ثبت اليها في وثائق القرن الثاني ، فقد يكون هذا من قبيل الصدفة البحتة ، ذلك لان معلوماتنا عن القرن الثالث وعلى رفقتها وتنوعها ، ليست بالواقعية ولايزان يحتورها النقص والقصور كذلك في نواحي كثيرة . وعلى ذلك ينبغي علينا ان نأخذ حذرا فلا نعتمد الى التعميم ولا الى استقراء الحوادث او استنباط الاحكام العامة حتى لا نلتم بالاسراف في احكامنا او التفالى والافراط في حسن النية .

ومما لا ريب فيه ان مصر في هذه الحقبة اى في عصر الملوك الثلاثة وهم فيلوميتور وابيفانيس وفيلوميتور ، كانت تمر بمسحلة في غاية الدقة والحرجة من تاريخها . وباليتمها مرحلة انتقال عابر وانما هي سلسلة متصلة ومتلاحقة من الازمات السياسية بين داخلية وخارجية وفيها مواجهات لمراكز قوى في الداخل وفي الخارج . وكان اولى بها ان تتأهب وتستعد لكن هذه المواقف والمواجهات حتى لا تنافس فتتعرض في شراك ينصبها لها الخصم في الداخل وفي الخارج . وهناك اتجاهان اثنان لا بد من التنويه عنهما . وهما انهما ليسا بجدديين تماما ، الا انهما برزا بصورة جديدة في سياسة البطالمة ، مما استرعى انظار الباحثين والكتاب . والاتجاه الاول كان متعلقا بمعاملة الملك لطوائف الاهليين من عامة الشعب المصرى ونافذته اليهم . وقد شاب ذلك تغيير ملحوظ في هذه الحقبة ، قوامه الاهتمام بعناصر الشعب وجموعه الفقيرة (Laoi, plethos) وما يمكن ان تؤدسه هذه الاعداد الهائلة من خدمات لحكومة الملك البطلمي ، والتشويق في وادى النيل والمعتصم بين جنباة ، متخذة استراتيجية طبيعية من موقع البلاد الفريد ومستعينا في ذلك بطوائف الشعب المصرى ، وخاصة طبقة الحارين المصريين وهم جموع الماخيموى (Machimoi) وقد اسفرت هذه السياسة عن نتائج باهرة بالنسبة لتدعيم مركز الاسرة البطلمية في مصر . وقد اختلفت هذه السياسة عما كان يتبعها من قبل في صيغ عصر البطالمة الذين كان ملوكهم الثلاثة الاولون وهم بطليموس سوتير وبتليموس فيلادلفوس وبتليموس يورجيتيس الاول

فى فترة طوالمها (٨٤) اربعة وثمانون عاما من ٢٠٤ حتى ٢٢١ ق.م * يتبعون سياسة تتسم بحب السيطرة والتحكم وان كانت تهدف الى حب الخير والصالح العام وعرفت بالاسم الاثنى (benevolent domination) وكانت بهذه السياسة موجبة نحو جميع الشعب المصرى ونحو طوائف اليونانيين على السواء وعلى نحو موجبا تنطوى على البطش والجبروت بشتى طرق فى المعاملة فالملك باختياره سيد البلاد كان مسيطرا على كل مقاليد الامور ومتحكما فى شئون عامة الشعب ومستقيما فى ادارة البلاد بالانصراف الى توجيه فى تسيير دفة الشئون الدينية والحسكرية وكان اغلب هؤلاء الاعوان من الاقريق او الاسيويين المصريين اى المصطفيين بصيغة يونانية فلما جاء فيلوماتور جبدن الامر غير الامر وابتدعت سياسة جديدة كانت لاتراخ فى دور التبريد والاختيار فاسفرت عن نتائج تامة وقد تحسنت بها الحكومة البطلمية شيئا فشيئا بعد ان وجدت الاجدوى من اظهار سياسة السيطرة والتسلط والتحكم واتخاذ هذا المبدأ قاعدة اساسية فى سياسة الحكم الداخلى وقد حث من هذه السياسة المنطوية على شئ كثير من التعمت وقصر النظر وروح من التعاون والمشاركة الاخرية (association) وكان من جراء هذه المزاولة ان اقدمت الحكومة البطلمية على عدة تنازلات فى مجالات شتى من اهمها الشئون الحسكرية والشئون الدينية فانصوى المصريون فى سلك الحسكرية وتعلموا نظام الفيالق وايقنوا دارة وكفاية فى معركة رفع ثم استغنت الحكومة على المعاهد المصرية فى مختلف انحاء البلاد وكثير منها فى قرى الفيوم وبخارى مصر معاهد صغيرة استغنت عن الايواء والبيرة (heira asyla) وهو حتى كان يدخل للمعبد ايواء المسترهبين واللاجئين كما قدمت الحكومة منحاً وامتيازات لبعض الشخصيات البارزة من بين طوائف الشعب المصرى وبذلك كسبت عطفه وتأييده *

اما الاتهام الثانى فيتحلى بالسياسة الخارجية لملوك البطالمة وانكاسات مايجرى فى الشئون الداخلية على توجيه تلك السياسة الخارجية والحد من اتعابها واطماعها * ذلك ان هذا الاتهام المذكور فى تصريح الشئون الداخلية قد صاحبه تفسير جزئى فى الاسلوب الذى اتبعته الحكومة فى الشئون الخارجية ولتفسيه ذلك نعاود الكرة فنقول ان الملوك

البطالة الاولون كانوا يحاولون جهد استطاعتهم في كل من الداخل والخارج تحقيق غايتين أساسيتين اولهما الاستقلال التام (autarchia) ثم الكفاية الاقتصادية (autarkeia) في الناحيتين السياسية والاقتصادية وتأتيهما قوامه متوقف على ما يحققه الامر الاول والمهدف منه تحقيق أكبر قدر مستطاع من السيطرة والسيادة (Hegemonia) في مشترك شئون العالم المتحضر والمشاركة في توجيه السياسة الخارجية وبهذا تتحقق السيطرة والحظمة لمصر وتضمن حرية الارادة والحركة وقد حدث هذا بالفعل واصبحت بلدان العالم في النصف الشرقي من البحر المتوسط تخضع لمصر التي صارت حرة طليقة ذات كفاية اقتصادية وسياسية ، تتحرك دفة امورها بنفسها ولا يتحكم فيها احد وبذلك كفلت لنفسها قدرا لا بأس به من الحظمة والسيطرة واحتفظ الملوك الثلاثة الاولون بمقدار متوازن في هاتين الناحيتين ، فلما جاء بطليموس الرابع الملقب فيلوباتور وحليفه بطليموس ايفانيس ثم بطليموس فيلوميتور حاولوا جهد استطاعتهم الاحتفاظ بالكفاية الاقتصادية والسياسية ولكن الامر الثاني وهو السيطرة قد اعتوره شيء من القصور واخذ هؤلاء الملوك الثلاثة يتدخلون شيئا فشيئا عن هذا الوضع ومتطلباته ، فالسيادة او بالأحرى ال (hegemonia) كانت عبئا ثقيلا كلف البلاد من الجهد فوق طاقتها فلم تصمد تتمسك بهذه النعمة السلطانية ، وعصر فيلوباتور كما نعرفه من ثانيا ماكنه المؤرخ بوليبوس ملي بالقلق والاضطرابات والنشاط العسكري تأهباً للحرب ضد انطيوخوس الثالث وهي التي انتهت بالنصر الموزر لسياسة سوسيبوس وزير العربية للملك فيلوباتور ونجاحه في رد الملك انطيوخوس الثالث وهزيمته في موقعة رفح سنة ٢١٧ ق م . وعقب انتهاء هذه الحرب قام المصريون بتأييد من القوات المحاربة المصرية وهي ال machimoï بثورة جامحة وامت البلاد حرب اهلية كبدت مصر ضحايا كثيرة وعملت كالا من فيلوباتور ووزيرة سوسيبوس يفكر ان في تدبير الامر من اجل مواجهة تلك المصروفات الباهظة في حربيين متعاقبين : حرب خارجية وثورة داخلية . وقد اضطر الملك الى احداث بعض التغييرات في التنظيمات المالية والادارية وكانت له هذه المستحدثات عواقبها وآثارها البعيدة المدى ، فبما شهدناه من ظهور أجهزة جديدة مثل جهاز ديوان الادبولوجوس ومن فرض بعض غرائب بعضها على ايجار الاراضي وغلتها وبعضها

الأخرى مستحدث مثل ضريبة هي أشبه ما تكون بضريبة الرأس (*capitax*) - وهو من
لم تكن معروفة في القرن الثالث وجاءت الميخنة الدالة على ظهورها لأول مرة في العصور
التأخرة من الحكم البطلمي وكان أول من فرضها هو فيلپاتور * ومن المحتمل كذلك أن الدولة
عمدت إلى تشديد الخناق على الناس من أجل تحصيل الأيجارات والضرائب والرفاء بالخدمات
ومطالبة البهائم بالقيام بأعباء شتى والتزامات عديدة ذات طابع استثنائي مما يجرى عادة
في أوقات الاضطراب وفي أعقاب الحروب * وفي أغلب الظن كانت مثل هذه الإجراءات ينبجس
عنها ادخال بعض الاصلاحات في الجهاز البيروقراطي * والثابت أنه في القرن الثاني قبل
الميلاد لوحظ وود بعض التغييرات المهمة في الإدارة المالية : فشدد النكير على الناس
واحكمت الرقابة من جانب الحكومة على الأفراد وحددت العلاقة بين الموظفين للموكلين بحماية
الضرائب وبين المسؤولين ماديا عن تحصيلها وذلك كي لا يفلت أحد من الوفاء بما عليه من
التزامات * وقد يروى لنا القول بأن هذا الاصلاح الضريبي والتغيير في اسلوب الجباية
تم على يد فيلپاتور * ونظرا لأن التشدد في بداية الضرائب والاصرار على توقي المسئولية
المادية على الموظفين والمتزمين والضامنين * جريا بالقضية إلى عمل مصادرات للمالكين بين
حين وآخر فإن تكديس هذه الاملاك المصادرة نتيجة لهذه السياسة المتشددة * استتبع
بالطبع التفكير في انشاء جهاز خاص يضطلع بمش هذه الاعباء والمسئوليات وإذا ما وجدنا
أدلة وبيانات ابتداء من عام ١٧٩ ق م * ربما بعدها على ظهور ادارة جديدة او جهاز
مالى جديد أطلق عليه " ايدولوجوس " (*Idiologos*) مهمته مرتبطة بالاملاك
المصادرة والاملاك التي لأصاحب لها * ليس يحق لنا والحالة هذه أن نتصور أن هذا
الجهاز ربما كان من تاريخ تنظيمه أو ابتداعه من ابراز الأهمية المتزايدة له في عهد
بطليموس فيلپاتور (٢٢١ - ٢٠٣ ق م) على أن هذا كله من قبيل التكهنات وليس
لدينا في الوقت الحاضر أي سند يؤيد هذا الادعاء * ونظرا لأن بعض الشك والريبة لا يزال
يحيط بهذا الموضع الذي تشوبه شوائب ولا يبعد أن يكون سوى احتمالات * نسوقها هنا من
قبيل الاستدلال * فإنه من الأحوط ألا نجزم برأي قاطع * فقد تسفر الأوراق البردية المكتشفة
عن بيئة دافنة تؤيد هذه الفكرة أو تضعها * على أن الثابت الآن والقول المتداول هو

ان هذه الوظيفة ظهرت في عهد فيلوميتور عام ١٦٨ ق.م * على أن أهم اصلاح ينسب الى فيلوميتور وقامت البيئة والادلة المؤيدة لذلك هو ما ادخله على نظرية الحكم وتفسير في اهداف الحكومة ، فانتقل من سياسة التحكم والسيطرة والجهوت على المصريين الى خطط مغاير تماما هو رفعة اللين والمشاركة والتعاون مع طبقات الشعب المصري وذلك بقصد كسب ودهم وكسر حدة كرههم للحكم المقدوني .

وعندما نتحدث عن السياسة الداخلية وما طرأ عليها من تغيير في الاسلوب والاهداف ، ينبغي أن تكون انظارنا مسلطة على روما لان علاقه مصر بروما كانت هي كذلك في تطور وتغيير مستمر وقد اخذت تلك العلاقات تتوطد وتتوشى على مضي الزمان * وكانت روما في الوقت نفسه تتطلع لمستقبل بعيد المدى وتزسم وتخطط لاصلاح الشعب الروماني ووجدت في مصر المناخ الصالح والبرازيل الخصب لتنفذ فيه سمومها وتحقق اغراضها واهدافها ولكن علمى مهمل وبدون تعجل لانحداث فنصمت من الخطط والشباك ماكبث به اغناى ملوك البطالمسة ابتداء من الملك فيلوميتور ومن تبعه من ملوك البطالمسة الاخيرين الذين انحنى عليهم استرابون باللائمة وبعثهم اوفول الصفات ونسب اليهم الضعف والمسكنة واظلم عليهم صفة المشهورين والمنبذين وضرب المش بالملك بطلميوس " اوليتيس " او الزمار والد كليوباترة السابعة * وكان الخلاف الاسرى على اشداه ، فذهب بين الاخ واخيه والزوجة وزوجها والد والد وابنته ، واتخذ صورا رهيبة ، اندشق فيها الجانبان السلاح وكان من ابرز الامثلة على ذلك ما وقع بين الاخوين فيلوميتور و بطلميوس السابع او الثامن الملقب يورتيكس الثاني ثم ما وقع بعد ذلك من خلاف اسرى مسلح بين هذا الاخيز وبين زوجته كليوباترة الثانية مما ادى الى وقوع حرب اهلية ، وانقسمت فيها البلاد على نفسها وبذلك اتاحت القرص الذهبية لروما كيما تتدخل فتصلح ذات البين وتمحن في الوقت نفسه في افلال هؤلاء الملوك الضعاف او المستضعفين * وقد وصف لنا المؤرخ اليوناني بوليبيوس بعض الاحداث التي وقعت وكان محاصرا لبعض منها فوصفها لنا بأسهاب وتفصيل وحكاها بأسلوب رصين ، مشوخيا الحيدة والاتزان ، فكان خير مرجع لنا عن هذه الحقبة * ولدينا وصف آخر جاء على لسان مؤرخ روماني مشهور هو ليفي (Livy)

يوكد نفس هذه المعاني المتضمنة روح الضعف والاستعانة والتدخل الروماني بصورة سافرة في شئون مصر وتأيد هؤلاء الملوك الضعاف من البطالمة وقد سرد لنا بعض الاحداث الاخرى والذقية التي كانت تتبعها روما في ارشال العفراء لنصر لامدة الشروط والتحكم في مصائر الامور وحاشية السفير الروماني " جايسوس بولبيوس لايناس " مشهورة وهو الذي املى شروطه على انطيوخوس الرابع ملك سوريا وارغمة على الرحيل من الاسكندرية والتخلي عن جنى ثمار مصر كان قد حققه في مصر وبذلك خلصت روما مصر من عدوها هذا وصارت الحرس البطلمي المتأرجح ولكن كان هذا لفترة • وعندما سادت الفرصة وقعت مصر فريسة ولقبة سائغة في سيد الرومان بعد حين • طان او قصر • والرومان كانوا منذ اول امر يحرفون بعيدا اهدافهم ويتلمسون افضل السبل لتحقيق هذه الاهداف • وقد وقفوا لمصر بالمرصاد ولم يتورعوا عن استغلال الوقيعة في بعض الاحيان بين الاطراف المتنازعة من الملوك والامراء والاميرات في البيت البطلمي ولم يكفوا عن التدخل في شئون مصر الداخلية والخارجية ونصرة هذا على ذاك ولم يتأخروا عن حماية عرش البلاد من الوقوع فريسة في حوزة الملك السيلقي • انطيوخوس الرابع • عندما هم بالفصل في احتياض البند والحضور الى الاسكندرية لجنى ثمار انتصاراته على الجيش البطلمي فكان تخليص عرش مصر من ايابه على هذا النحو السافر بمثابة رضى مصر تحت السيادة الرومانية • ولو ان هذه الحماية لم تملن رسميا • وهكذا سارت امور الحرس البطلمي في تدهور وتأرجح في مهب الريح • وبعد ان ملوك البطالمة الاخيرين قد استكانوا واصبحت آثاروا ان يسيروا في ركب روما ويصبحوا تحت حمايتهم • وان يفاخروا بما كانت تسبغه عليهم من القاب • وفاء لا تضمني ولا تمن من شئ مثل اللقب الذين اسبغه • لس الشيوخ الروماني على بطليموس اوليتيس وهو الحليف والصديق للشعب الروماني " Socius et Amicus populi Romani " وهذان لقبان حصل عليهما بالرشوة والهدايا لاعتناء الشيوخ ولقادة الرومان وزعمائهم من امثال يوليوس قيصر وبومبي واولوس جابينوس • وهكذا تدش هذا الوضع المشين بصورة تلبت فيها البشاعة على عهد ذلك الملك المستضعف بطليموس اوليتيس (٨٠ ق م - ٥١ ق م) • وعندما ثار عليه الاسكندر بيسون

وطردوه سنة ٥٨ ق.م * لتفريطه في المحافظة على املاك مصر والسماح لروما بالاستيلاء على جزيرة قبرص دون أن يحرك ساكنا وعندئذ سارع الى روما مستنجدا * وجاء وصال في روما واخذ يوزع الرشاوى ويرتكب مختلف المخالفات الى ان تمكن من ان يحظى بمحطى الزعيم بومبي وياقناع اولاوس جاببيوس (aulus gabinius) وهو النوايى الرومانى على سوريا ووعدته لـه بتقديم رشوة ضخمة تـمـثـل عشرة آلاف من الدنانير اذا ما قدم له الحون فى رده الى عرشه بفضل بحافس الجيش الرومانى وقد تحقق له ما اراد وجاء الجيش الرومانى زاحفا من الشام وبقي فى الاسكندرية منذ عام ٥٥ ق.م * لتأييد هذا المصري فكان لبقائه فيها مضرا واضمحج بمثابة جيش احتلال * بل هو احتلال فعلى معنى وبذلك اصبح الطريق مهبطا للحكم الرومانى السافر فى عام ٣ ق.م *

هذا عرس سري لاهم الاحداث وتطوراتها من تخلص لمضراها ومرماها وليس من سرده هذه الاحداث اى مناص لكن من يتصدى لتاريخ مصر فى الحقبة الاخيرة من الحكم البطلمى * والشئ الذى يسترعى الابصار هو ان الاحتلال الرومانى لمصر لم يأت فجاءة ولم يكن ابن ساعته ولم تكن روما متعجلة للاحداث * بل تربعت لمصر وتحت الفرض من اجل تحقيق مآربها فى غير ما جليلة ولاضوضاء * ولم تتسرع اطلاقا فى اقتطاف هذه " الكمثرى " الدانية * بل تركتها حتى نضجت وسقطت تلقائيا كما يسقط الفخ فى عب صاحبه وهو مستلقى على ظهره تحت الشجرة ينتظر فى غير تلهف اقتطاف هذه الثمار فى الميقات والموعد المصلم * ويدل هذا على مدى الاحكام فى وضع الخطط السياسية ومبلغ الاثقان فى رسم روما لها *

تحقيب المؤرخ والجغرافى استرابون

وان خير ما يمكن ان نختم به هذا البحث فى تبيان النوان من الحضارة التى سادت فى مصر على عهد ملوك البطالمة وشرح سيرة اهم ملوكهم سرا من حيث القوة او الضعف - هو ان نقدم هذه المقالة التى ديجها مؤرخ جغرافى لامن هو استرابون الذى كان معاصرا للحقبة الاخيرة من حكم البطالمة * بل وشاهد عيان ان زار مصر فى صدر الحكم الرومانى

في عام ٢٤ ق.م. بدعوة من صديقه الوالي الروماني الثاني على مصر واسمه ايلوس جالوس (aelius gallus) (٢٦ - ٢٤ ق.م) . وقد عاش استرابون في مصر لخمسة سنين وجاب انباء هذا القطر واتيحت له فرص فريدة كيما يتجول ويتقصى وقد وصف انفسا معالم البلاد وآثارها ونظم الحكم فيها . ومن الطريف انه عرج على تاريخ الاسرة البطلمية وعقب على احوان ملوكها من الاقتضاب الشديد . ولكن احكامه وآراءه اتسمت بالاعتدال والتعقل فكان كالمبصر والحليم ببواطن الامور ولذلك لا يجب ان نخفل ذكر بعض هذه الآراء وهو عندما سرد لنا قصة مصر البطلمية وما احاط بها من شروف قييين الفرو الروماني واقاض في ناحيتين هما التيفية التي كانت تدار بها شئون البلاد في عهد ملوكها الاخيرين مع التنويه بصفة خاصة بتصرفات كن. من الملك بطليموس يوركتيس الثاني الملقب " فيسكون " من السكندريين الذين ناصبوه العداء فأغلظ لهم القول واساء معاملتهم ثم انحنى كذلك باللائمة على الملك المفتون بطليموس اوليتيس الذي ساءت صحيفته وتردى في سلوكه وتعرض لتصرفاته مع السكندريين اما الامر الثاني فهو نظام الحكم الذي وضعه الرومان لمصر والضمانات التي اتفقت عليها لكي يصونوا البلاد . من التجارب للمهزات التي واجهتها في اواخر حكم البطالمة .

ولما كان استرابون في جملته ممن يؤمن في روايته ويمتد بما ذكره وما دبحه كصواب منه لحالة البلاد وحتى اننا كثيرا ما نجد في الكتب والمراجع عبارات متبسة منه من قبيل التدليل على اوضاع معينة في سياسة الحكم والاختصاصات والتوجيهات في هذا السبيل فقد اثرتنا ان نسوق هنا ترجمة لبعض الفقرات والفصول من كتابه السابع عشر ، ايماننا بان قوس استرابون لا بد ان يؤخذ باخذ الجود ويكون له الاعتبار قبل كل شيء وهذا من مقتضيات من الكتاب السابع عشر (١) ، ١١ (٢٩٦) " ذلك ان بطليموس يسيون لاجوس خلف الاسكندر ثم جاء من بعده فيلادلفوس وخلفه ابنه يوركتيس (الاول) ثم فيلوطاتور بن اشوكليا ثم جاء من بعده ابيفانيوس وخلفه فيلوميتور وهكذا كان الابن بخلف دائما ابدا حتى جاء فيلوميتور فخلفه اخوه يوركتيس الثاني الذي كان يلقب كذلك

فيمسكون ثم جاء من بعده بطليموس لاثوروس (١) وفي آخر المطاف جاء بطليموس اوليتيس (الزمار) المماصر لآيانا وهو والد كليوباترة . ومع هؤلاء الملوك في البلاد الثلاثة الاولون ، قد افسدتهم حياة الترف والدعة التي كانوا يحيثون في كنفها ، فأداروا شؤون الحكم في البلاد على نحو بالغ من السوء . على ان أسوأ هؤلاء جميعا هم اولئك الملوك الذين يرقم لهم بالرابع والسابع ثم الاخير وهو الزمار . وفضلا عن ان هذا الملك الاخير كان فاسقا ومفتونا ، انصرف الى الملذات والشبهوات ، فانه كان يهوى مصاحبة البهوات بعزمه وكان يفاخر بما يبدية من مهارة في هذا الفن ، الى حد انه لم يكن متردد لحظة في اقامة مباريات ومسابقات من هذا النوع في القصر الملكي . وفي هذه الحلقات والمباريات كان يجول ويصول ويحزق قصب السبق مع باقي المتنافسين . وانتهى به المطاف بأن نفاه السكندريون (عام ٥٨ ق م) . ولما كان له من البنات ثلثة ، كبراهن هي الابنة الشرعية (برنيقة) فقد اعلنها السكندريون ملكة عليهم . اما ابناه الذكور فكانا لايزالان في سن الطفولة واقتضى هذا اقتضاؤه من مشترك الحياة السياسية في ذلك الحين . ولما استقر بها الحكم وتربعت على عرش البلاد ، بحثوا الى سوريا يبحثون لها عن زوجه ووقع الاختيار على شخص يدعى النسخاني (Cybiosactes) وكان يدعى نسبه الى ملوك الشام ولكن الملكة بعد بضعة ايام تخلعت منه ودميت عنه اذ لم تطيقه لفظاظته وغلظته ثم حل محله زوجه آخر يسمى ارگيلاوس تسلس الى مصر دون علم بوابينوس اذ احضره بعض الحلماء الى الملكة ونودي به ملكا على مصر (حكم مدة ستة اشهر فقط) وانتهى امره بذبحه بواسطة بابينوس . وفي الوقت نفسه كان بومبي العظيم (أ) اي بطليموس الثامن وهذا اسقط استرابون كان من بطليموس التاسع الملقب بالاسكندر الاول واسقط كذلك اخاه بطليموس العاشر الملقب بالاسكندر الثاني ولعل السبب في افعال ذكرهما ان هذه القائمة كانت تضم اسماء الملوك الشرعيين وهما في اغلب الظن ليسا كذلك فقد استقبح اوليتيس الذي كان قد وفد الى روما (فأكرم وفادته) وقدمه الى السناتوحيث استقبلته كتهنئتين هما اللتين والحليف للشعب الروماني واستباح بومبي ان يضمن له التأييد لا في

رده الى عرشه المنسوب فحسب ، وانما كذلك في الحكم بإعدام اغلب السفراء الوافدين من مصر والبالغ عددهم مائة وكانوا قد أوفدوا في بعثة الى روما لمناهضة الملك المخلوع وتفنيد حججه . وكان من بين هؤلاء " ديون " الفيلسوف الاكاديمي ورئيس هذه البعثة . وعلى ذلك اعيد بطليموس الى عرشه . (مؤيدا بجيش روماني) بواسطة جابنيوس . قتل بطليموس كلا من من اركيادوس وابنته . ولكن لم تنقضي فترة طويلة في حكمه حتى وافاه اجله فمات اثر مرض انتابه . تاركا من بعده ابنتين وبنيتين كبراهن تسمى كليوباترة . وعندئذ اعلن الاسكندر يون كذا من الابن الاكبر وكليوباترة على عرش البلاد . ولكن الرفقاء والخلان فسي صاحبة الابن الاكبر اوقعوا الفتنة واللبوا الزرق الصغير على كليوباترة وسدوا الى نفسيهما فأقلمت من الاسكندرية مصطحبة معها اختها الصغرى ونجمة شطر سوريا . وقد صادف في ذلك الحين ان (أتت الرياح بمالاتشتمى السفن) اذ جاء بومبي العظيم قارا من فارساليا وعند رسوه في ميناء القرما عند جبل كاسيوس ، وقعت خيانة كبرى ، فذبح بومبي العظيم بواسطة رجال خاصية الملك (وبشخص منه) ولما جاء يوليوس قيصر ، امر بقتل الشاب واستدعى كليوباترة من منفادها ونصبتها ملكة على عرش البلاد ثم عين الاخ الباقي زوجها لها وشريكا معها في الملك على الرغم من انه كان صغيرا جدا . وبعد مقتل يوليوس قيصر في مارس سنة ٤٤ ق م . وبعد معركة فيليبيا عام ٤٢ ق م . التي اندحرف فيها الثلاثة يوليوس قيصر من اليه مهورين عبر انطونيوس الى آسيا وسعدت الى كليوباترة يستدعيها كيما يسائلها عن تهرناتها (وتقاومها في تقدير الحصون وقد قتلة يوليوس قيصر) ولكنه كرمها واحتفى بها احتفاء كبيرا ثم اتخذ منها زوجة وأنتسب منها ذكورا واناثا ثم خاض غمار حرب في موقعة اكتيوم سنة ٣١ ق م . بصحبته ولكنها أثار الفرار في اعقاب الملكة عندما خرجت بأسطولها من يدي اميراشيا ميمية شطر مصر . وبعد ذلك اتفق اغسطس قيصر اثرها وقضى عليها من قبله . هذا كان خاتمة لحكم مصر التي كانت شئونها موضع عيش فئة من المتولين (١) هذا استرابون اسقط حرب الاسكندرية بين يوليوس قيصر وشعب الاسكندرية واشغال الثورة بتحرير من هذا الشاب الذي تار اكرامته وخاض الحرب ثم مات في خضمها .

والمخمرين " . ومضى استرايون فى الفصل الثانى عشر مستمرا كالمه ببد " عهد جديد " هو
وقع مصر فى حوزة الرومان ومفصلا لنا اركان الحكم الرومانى ووجهة نظر الامبراطور الاول فى
وضع البلاد ومنها " فى حكمها " . وقد عيّن استرايون على اختصاصات بعض كبار الموظفين
الذين نصبهم اكتافيرس " وعاد يقول " لما كانت الحكومة البطلمية قد تنكبت سواه السبيل
ولم تمنح الشعب السلم فان مستقبل مدينة الاسكندرية ورفاهيتها كانت فى تدهور وانها
بسبب حالة من الفوضى كانت قد ضربت اطنابها فى كل مكان . وعلى اى حال فالمؤرخ
" بوليبيوس " الذى كان قد زار المدينة " ساءت حالتها المتفشية فى ارجائها فقال ان
طبقات ثلاثة اصبحت هى التى تقيم فى المدينة اولها الحضر المصرى من عامة الشعب
وهؤلاء شديدا والافصان وسرعان ما يملكهم الغضب وليس لهم اى ميل او استعداد لتقبل
الحياة المدنية وثانيتها الطبقة المأجورة او المرتزقة وهؤلاء فى قلوبهم قسوة واعدادهم
كبيرة ولا يمكن ان تسلس لهم قيادة ، ذاك انهم بعدكم عاداتهم القديمة كانوا يحتفظون بقوات
اجنبية مسلحة وهذه القوات درت واهلك لى تحكم بدلا من ان تحكم ، نظرا لضعف الملوك
وميلهم للاستكانة وماعرفوا به من تفاهة . اما الفئة الثالثة فهى تتمثل فى عنصر مؤلف من
الاسكندرانيين وهؤلاء كذلك لم يكن من شيمتهم الرغبة فى الاخذ بأسباب الحياة المدنية
ولكنهم على اى حال كانوا خيرا من غيرهم لانهم من كونهم امشاجا مخلطة ، كانوا يحكم اصل
نشأتهم يمتون لليونان بأوشن الصلت ويحببهم فى الصميم المحافظة على العادات والتقاليد
المصرية لدى عامة اليونان . ولكن حالتهم مالبثت ان تدهورت بعد ان انقضت عليهم الملك
بطلميس يورجيتيس " فيسكون " وشتت شملهم . وكان فى عصره ان وفد لزيارة الاسكندرية .

الكاتب اليونانى المشهور " بوليبيوس " وسجل انطباعاته . وعندما تحزمت المدينة
وجابهت هذا الملك يورجيتيس الثانى وكنته بالشورى بدلا من فاعل الخير وعصت اوامره ،
صوب عليهم جنده الذين قضاوا على كثيرين منهم ، تلك كانت جان مدينة الاسكندرية

وهذه هي الاوضاع السائدة فيها وهي على حد قول يوليوس بطريق عليها قول الشاعر
الخالد هو يوليوس في الكتاب الرابع من اليازته (السطر ٤٨٣) حيث قال ان الذهاب
الى مصر طريق وعر وطريق محفوف بأشد المخاطر .

مظاهر القومية المصرية علم عهد البطالمة

ان هذا الموضوع طريف للغاية ، وقد يشوق الدارس المصري ان يعرض له بشيء
كثير من التفصيل وهو يتطلب من المؤرخ استعراض الكثير من الاحداث واستنباط الكثير
من النتائج من ثنايا تلك الاحداث وما كان يجرى فيها من تصرفات الملوك البطالمة
المتعاقبين ، ومن قبلهم الاسكندر الاكبر ، مؤسس تلك الحضارة الهيلينية التي
عمت أرجاء الشرق وسربت الى مصر بخطى وثيدة وثابتة ، فأثرت منها مصر اكلها في كل
حين واتسفت بهير الثمار من منافعها الاصلية في بلاد اليونان وخوض البحر المتوسط
رأيا بصفة مباشرة او على يد اولئك الوافدين من تلك الاقطار ، ثم ما لبثت مصر ان اصبحت
هي نفسها قبلة الانظار في منتصف القرن الثالث قبل الميلاد .

والامر يستدعي منا ان نذكر بعض الاحداث التاريخية ، فنقول ان غزوة الاسكندر
الاكبر لمصر في عام ٣٣٢ ق م . كانت ضمن حملته الكبرى على دولة الفرس ، انتقاما
للحروب الشهيرة التي كان الفرس قد شنوها في صدر القرن الخامس قبل الميلاد على
المدن اليونانية في شبه جزيرة اليونان ونكلوا فيها بالمدائن واشعلوا النيران في أثينا ،
وسرعان ما اكملت مساعي الاسكندر بالنجاح والتوفيق على عدوه الفارسي دارا الثالث
وتقوضت دولة الفرس وتمزقت عقب موت ملكها ، دارا الثالث هذا ودخلت مصر لأول مرة في
تاريخها المعروف ، في زمام حضارة اوربية بعد استئناسها لاسكندر وترحيبها بجيوشه
باعتباره المخلص والمنقذ لها من بطش الفرس وظلمهم وبذلك انضوت مصر في منطقة
التفوق النرسي والحكم الاوربي . والفزاة من مختلف الشعوب كانوا قد تسللوا من قبل
الى وادي النيل فراء في الاجيال السالفة من الشرق والغرب والجنوب وبعض هؤلاء
الفزاة استقروا في مصر لفترات طويلة ، ولكن البلاد كانت دائما في حرز مكين مسن

الغزو من ناحية الشمال ، بفضل ذلك الحاجز المنيع الذي هيأته وأوجدته تلك
المستنقعات الكثيرة المنتشرة في شمال الدلتا ، بل أن نهر النيل نفسه كان بمثابة
الحائط الواقى من الغزو الخارجى من ناحية الشمال ، فسان مصر ضد "بردريكاس"
عندما هدد بطليموس بن لاغوس فى فترة ولايته على مصر وأراد تأديبه ولكن حملته
بات بالفشل ومات برديكاس نفسه فى هذه الحملة التأديبية الفاشلة . فالنيل إذا
كان فى كثير من الأحيان خير واقى من غزوات الأعداء وشرهم . ولما أتاحت الفرصة
السانحة لليونان والمقدونيين على السواء لغزو غرب آسيا وسقطت آسيا الصغرى
والشام فى أيديهم ، أصبح الأمر يسيرا عليهم فتغلبنوا على مصر وسيطروا عليها
ووقعت البلاد ، كما قلنا ، فى قبضة الاسكندر فى يسر وسهولة . ولم يكن اليونانيون
شعبا بجهله المصريون تماما قبل ذلك ، بل كانوا على معرفة وثيقة بهم فاختلطوا
بهم وعركوهم أيام الفرعون ابسماتيك والاسرة الصاوية (السادسة بعد العشرين) ،
وسمحوا للايونيين والميليطيين بالذات (وهم سكان مدينة ميليطوس (Miletus)
فى آسيا الصغرى) بالإقامة والاستقرار فى مدينة أسسوها وكانت خاصة بهم وتلك
هى نفراطيس (Naucratis) مركز ايتاى البارود فى غربى الدلتا وقد اقام
اليونانيون فى كنف هذه المدينة وسمح لهم بإقامة جميع الخصائص والمقومات اللازمة
للمتعة بحياة يونانية خالصة ومباشرة نظم الحكم المألوفة من مجلس البولى (الشيوخ)
ومجلس يضم الأحرار (اكليسيا) ومعابد للالهة اليونانية ومؤسسات ثقافية وحضارية
ما كان اليونانيون يألّفونه ويحرصون على الاحتفاظ به أيّما ذهبا . ثم فضلا عن هذا
كله كانوا يباشرون تجارتهم بحرية تامة - ثم كل هذا على سبيل الترضية والتشجيع
لهم على السكنى فى مصر والانضواء فى خدمة ملوكها كجنود مرتزقة ، فكانوا بذلك نواة
صالحة لنشر الثقافة اليونانية فى مصر منذ ابكر العصور . وهكذا كانت التجارة متبادلة
بين مصر والبلاد اليونانية فى فترات متباعدة طوال القرون التى سيطرت فيها كريت على
ساحل الشام وفلسطين وهناك أدلة كثيرة على قيام مثل هذا الاتصال بين كريت ومصر

ولما انتقلت مراكز السيطرة اليونانية الى ميسينى او ميكناى (Mycenae) الواقعة فى شبه جزيرة المورة (الباليونيز) ثبتت بالادلة المستنبطة من الكشف الاثرية ان المدن فى بلاد اليونان احتفظت بسبل الاتصال والتبادل التجارى من مصر . ولما ظهرت هيلانس الجديدة (Hellas) واخذت مدائن اليونان مثل اثينا وكورنثة وارغوس وطيبة فى التوسع وحرصت على ارساها لبنائها للخارج لاقامة مستعمرات ومستقرات مدنية ، حافظت على بقاء الصلة بينها وبين المدائن الام . وسارعت المدن التجارية مثل ميليطوس وغيرها فى آسيا الصغرى الى المشاركة فى هذا المصير ، فاقامت مراكز فى مصر ، كانت بمثابة مستودعات واختارت من مدينة نقراتيس قاعدة فى غرب الدلتا . على ان الاثر الذى كان لهؤلاء التجار اليونان على مصر ، سوا من الناحية الادبية او المادية ، لا يمكن الاقتداد به ولا مجال لذكره لتفاهته . ذلك ان هؤلاء التجار كانوا قد وفدوا الى مصر لمجرد التبادل التجارى ومباشرة الاعمال ، امالا فى تحقيق مكاسب وتحسين احوالهم المادية . ولحلهم كانوا فى احسن الاحوال يتجوبون ارجاء البلاد ويوزرون مناطقها الاثرية بوصفهم سائحين . ويصدق هذا القول على اولئك الجنود من المرتزقة اليونان الذين قدموا الى مصر لتأدية خدمات عسكرية بوصفهم ماجورين ، وجلوسيين خاصة لهذا الغرض واتصروا فى خدمة الفرعون اسمطيك ثم اماريس وغيرهما من فرعون مصر فى العصر النব্যى .

وان بقايا تنف ادبية او تاريخية دالة على ما سماه الكتاب اليونان بحكمة المصريين ووجود اشارات عابرة الى ذلك المضى فى ثنايا المصنفات التى دبرها الكتاب اليونان فيما قبل عصر الاسكندر ، لم يبق شذرات لا تكشف عن اى معرفة وثيقة بكنه الحياة المصرية ولا بلوان من الادب المصرى الخالص ، بل ان كتابا ومؤرخا مشهورا مثل ديمودوت وقد جاب المدن المصرية فى منتصف القرن الخامس قبل الميلاد وتقصى احوال البلاد واختلط باهلها وسأل كهناتها ، لم يتعمق فى الكتاب

الثاني من موهبته التاريخية وهو الجزء الذي خصصه لوصف مصر وأحوالها وعادات
 شعبها وآثارها ولم يزد فيما كتبه عن ذكر بعض المظاهر الخارجية والحالة الاجتماعية
 والدينية في شيء من الاطناب ولذا جاء وصفه بعيدا عن أي تعمق تتسم بالسطحية
 وأصبح لا يمكن التحويل عليه ولا يمدوا ان يكون من قبيل الكلام العابر الذي يروق
 للمصحف المتبول ان يسطره * وزاد الطين بلة انه كان يحكى ما يذكره له الكهنسة
 دون أي تمحيص فأوقعه هذا في " منطبات " وعز عليه نقدا ففنى بالبساطة وعدم
 تحري الدقة في الرواية وقد حرص فيما ذكره عن المصريين على ان يصمم بتهممة
 النفور من الاجانب والفرقاء (Xenophobia) وقال ان المصريين
 يخشون الاختلاط بالاجانب ويحرمون على ان يناءوا بجانبهم حتى يكون هناك بينهم
 وبين الاجانب حجب ----- ابوهذه تهمة لصفت
 بالمصريين على مدى سنين طويلة *

وفي الوقت نفسه لا نجد من الناحية المصرية أي اثر دال على ان هم المصريين
 المصريون شفقوا بالتخلف في حياة جيرانهم من اليونانيين او حتى عرفوا شيئا من
 قبيل حب الاستطلاع عن الافكار اليونانية او اظهروا بعض الاكتراث بالموقف على لون
 من ألوانها او انهم نهلوا في وقت ما من عيون الآداب اليونانية والفكر اليوناني
 والفلسفة ابتداء من طاليس او سقراط وافلاطون وارسطاطليس او اقتبسوا شيئا من
 الاشعار التي جعلت بها قرائع الشعراء اليونان ابتداء من شعراء الملاحم هوميروس
 والتراجيدين ايسخيلوس وسوفوكليس ويريبيديس والكوميديين من افيانيس وراسطافانتس
 وميناندر وكتاب القرن الخامس قبل الميلاد وهو القرن الذي كان يمثل العصر الذهبي
 في تاريخ الامة اليونانية جمعاء * والامر الغريب ان المصريين نالوا بجانبهم الى حد
 ما عن مناهل الحضارة اليونانية هذه واعتزازا منهم بحضارتهم المصرية العريقة
 بل بلقا بالاليونانيين واهتمت عليهم الطبعات من صفاء المنهجين ودقة الحس
 بالقدرة على الابتكار وحسن التنظيم والتبويب * ولعل السرفى في وصفهم بالخرف
 في وصفهم بالخرف

من الاجانب حسبا غير عنه هيروودوت فكان لهذا الشهور اثره في عقلية المصريين
وجعلهم يحبرون الحوس بمناى عن الاجانب ، مقوسين بعض الخيفة ، وسواء اكلن
المصريون على حق في تصرفهم هذا ام لا ، فان هذه الظاهرة كانت بادية للعيان
في تصرفاتهم ازاء اليونانيين الذين عايشوهم وسكنوا في بيوتاتهم وعملوا في اصانع
والحقول معهم جنبها الى جنب .

وعلى ذلك فان قيام مملكة مقدونية في مصر في اعتاب دولة الاسكندر وتقسيمها
بين نفر من قواده واركان حربه ثم استئثار بطليموس بن لاچوس بوادى النيل بعد
عام ٣٠٥ - ٣٠٤ ق م ، واعلانه الاستقلال بالمملكة المصرية وتأسيسه حكومة ملكية
بيروقراطية على هذا النحو الحاجل والسافر - كن هذا قد اثار مجموعة من المشاكل
لها جدتها وطرافتها في الوقت نفسه ، وفي اغلب الظن لم يتيسر لاي من الاسر
الاجنبية التي حكمت مصر من قبل ، ان تكون على هذا النحو من الاختلاف التام في
افقها وعقليتها ، وعلى هذا البعد الواسع المدى عن قلوب المصريين الصميمين مثلا
كان عليه الحال على عهد البطالمة . ومن ذلك فإذا كان الحكم الاجنبى البطلمى
يرمى الا يتشعر على مجرد كونه احتلالا عسكريا بحتا ، فان الضرورة كانت تقضى
بان يتحقق نوع من الاختلاط والمزج بين اليونانيين والمصريين في شتى النواحي
وبالاخص في الناحية الدينية . وكان لا بد ان يحدث شئ من التماثل والتطابق
او التوفيق بين شتى المذاهب والمعتقد والطقوس الدينية ، ولم يجد اليونانيون اى
ضير في هذا ، مع تسليمهم بان اليد المصرية كانت هي العليا في الشؤون الدينية
وان المصريين كان كعجمهم راسخا في هذا المجال . وقد اصيب اليونانيون بشسبي
من الرعب والخوف والوجل ازاء ما يجرى في المعابد المصرية من طقوس ومراسم دينية
وما يقم به الكهنة المصريون من مختلف المبادات في شتى انحاء مصر وما حرصوا عليه
من مظاهر العظمة والجلال . ووقف اليونانيون منهزونين ومبهوتين ازاء مخيل الكرك
بطلية وشتى المعابد الاخرى بمفوس والفيوم وبوسرة وفيلا ، واسوان وادفوا ، وحيشم

ذهبوا في أرجاء الوجهين القبلي واليخري وعدوا مصابد مماثلة ذات عظمة وجلال ،
تتضاءل امامها معابد اليونان في بلادهم وفي شتى جزر بحر الارخبيل . ثم ان
سياسة الاسكندر الاكبر كانت تنطوي في مجموعها على قيام امبراطورية عمادها
الدين والاختلاط والتوفيق بين الشعوب دون تفرقة بين اليوناني وبين الافريقي او
الاسيوي فالجميع سواء ، متآلفون في النهوض بحضارة عالمية . وفي دعوة الاسكندر
هذه ، كان مقدما على عصره وكان سباقا الى العمل الجاد من اجل تحقيق وحدة
البشر وهي فكرة ربما كان الموحى بها استاذة ومعلمه الكبير الفيلسوف ارسطاطاليس .
وكان هدف الاسكندر الاسمي ان يتحقق مثل هذا الدين بين الشعوب في كل ولاية
من ولايات هذه الامبراطورية . ومعنى آخر كان ينبغي ان " يهران " الشرق الادنى
برمته ويصنفه بالصيغة الهيلينية ، المشوبة بالطابع الشرقي وان تسود مصر حضارة
هيلينية ، فاللهي مصرية صميمه ولاهي يونانية خالصة وانما هي مزيج منهما .
مما ، بحيث يكون التركيب فيها منسجما متسقا ومتحدا بحضرة في بعض . على ان
وفاة الاسكندر الاكبر في سن مبكرة ، اذ وافته المنية وهو لا يزال في مقتبل العمر
لم يسمح للشباب الا بقليل ، جعله يترك برنامج الذي عمل جاهدا على
تحقيقه ، في صورة " كروكية " ، لم يكتمل اطارها ولم تنتج معالمها ولا تعدوان
تكون سوى خط بياني ، اهتمت ببعض اجزائه ، ولكنه على اي حال كان السبيل
المباشر في ان مصر انفتحت على العالم الاوربي وسارت في ركب حضارة اوربية ،
مخوور ارتكازها في مقدونيا وبلاد اليونان وجزر بحر الارخبيل .

وقد قيل في وقت ما انه كان من حسن حظ مصر ، عند تقسيم الولايات فسن
هذه الامبراطورية بين قواد الاسكندر واركان حربه ، ان وقعت من نصيب رجل
حصيف من هؤلاء القواد ، كان قد جاوز الاربعين من عمره وعركته الايام وعرف من
اين توءكل الكف والكيفية التي يتمكن بها من ان يصيد بحجر واحد عدة عصافير
على الشجرة . فضلا عن ذلك فانه كان يؤمن بان عصفورا في اليد خير من

عشرة على المشجرة - ذلك هو بطليموس بن لاوس المقدوني ، الذي اشتهر بأنه
من خيرة قواد الاسكندر واقربهم واحبهم الى نفسه واكثرهم دهاءا وحكمة ، وبالإضافة
الى هذا كله فان الظروف كانت قد اتاحت له ان يكون في صحبة الاسكندر وسرفته
عندما غزا مصر ثم انه لازمة طوال الفترة التي قضى فيها الاسكندر في مصر وصاحبته
في رحلته الشاقة الى واحدة سيوه من اجل زيارة معبد آمون فيها ثم حضر تخطيط
مدينة الاسكندرية واختيار هذا الموقع الرملي على الشاطئ الشمالي الغربي
بالقرب من قرية تسمى راقوده يعيش فيها الميادون * وفي هذا المقام القصير
الذي لم يزد الا قليلا على المدة التي يقضيها السائح الجادى فى مصر وهو
بضعة اشهر ، استطاع بطليموس وهو فى صحبة الاسكندر ان يتالح بحكم الظروف
وملازمته لاسكندر فى جميع خطواته وتحركاته ، وعلى جميع الخطط والمشروعات التي
كان الاسكندر ينوى تطبيقها وتنفيذها فى مصر ، فأفاد من ذلك وتعماد الشئ الكثير
وهو كما قلنا ، يعيش الرجل الحصيف والحريص بسلحه والجنلهم ببواطن الامور * وفى
اغلب الظن كان البرنامج الذى اتخذه بطليموس بن لاوس لنفسه وعمل فيها بعد
على تطبيقه هو بحذاقيره صورة من تلك الافكار التي كانت تداعب الاسكندر وتجول
بخطره بشأن مصر ، فهناك اوجه شبه كبيرة بين هذه الخطة التي طبقها
بطليموس وبين تلك التي كانت لدى سبارقوس فى سوريا وهو احد النظراء لبطليموس
ومن رفاق الاسكندر وقواده * وهذا التطبيق فى حد ذاته يعتبر اكبر دليل على
ان المصدر الذى استقى منه الطرفان البصرى والسورى ، واحد وان كلا النظامين
كان مشتقا من النموذج واحد .

والخطة الاساسية التي انتهجها بطليموس الاول وتنام عليها برنامجه كانت
تنطوى على ضرورة تسرب تلك العناصر الاجنبية من يونان ومقدونيين ومكافرسين
من الشعوب الانسيوية ومن سكان جزر بحر الارشيل وتغلفلها فى جميع ارجاء مصر
على ان يكون هذا التسرب بطريقة انسيابية وبراغماتية فيها ان تكون سلمية وطبيعية

(ديمى السبخان فى شمال جزيرة فاروس) وغيرها من مستوطنات اليونانيين
ومؤسساتهم العمرانية . وهكذا أثر اليونانيون اقامة فى تخوم الفيوم بحمد دين
عن المناطق المكتظة بالسكان وعن معازل الوطنية المصرية وأهمها طيبة .

والمركزان الرئيسيان للحياة اليونانية المصرية وهما اللذان قدر لهما ان
يكونا بوابتي لعملية التمهيد والتعميد والتخضير فى مصر ، هما الاسكندرية على
الشاطئ الشمالى الغربى وبطلمية فى اعماق الصعيد فى محافظة جرجسا .
وكلاهما مؤسسات حضارية تحكم نشأتها وطبقا للفرض الانبساطى من تأسيس
كل منهما . وقد تم تنظيم الحياة فى كل منهما على النمط اليونانى المسمى
باعتبارهما مدينتين متميزتين بالحكم الذاتى . ولين فى احدى هذه الحالات
الثالث ما كان يستوجب اخراج احد من العناصر الوطنية من مكانه او السطو على
أرضه واغتصابها منه اوطارده السكان الاصليين بدرجته تهتدف الذكر ، فالجنود
المستوطنون فى الفيوم حلوا فى اراضى لم استصاحبها فى اغلب الاحوال على
ايدى هذه العناصر الاجنبية وكان بعضها إما من المناطق الصحراوية المتاخمة
او مستنقعات جففت ومهدت بفضل المقول والاساليب المتطورة على ايدى عناصر
خبيثة من مهندسين ومقاولين يونان . اما الاسكندرية فكانت نشأتها واختيار رقعتها
موفقة للخاتمة فهى عبارة عن سلسلة من الكثبان الرملية الممتدة على شاطئ البحر
المتوسط الى الغرب من الفرع الكانوبى فى دلتا نهر النيل . وكان يسكن ههنا
البقعة من قبل جماعات قليلة متناثرة من الصيادين الذين اقاموا عليها اكواعهم
فى راقودة . كن ذلك لم يكن هناك ضمير على احد او اقتنات على اراضى الفسيفس
عندما وقع اختيار الاسكندر بذكائه الفذ وبعد نظره ، على ذلك المكان . وقيل
انه كان متأثرا بما شاهدته عند حصاره لمدينة صور وهو فى طريقه الى مصر وما وجد
فى جزيرة فاروس تجاه الشاطئ السكندري من تشابه اوحى اليه بان يربط هذه
الجزيرة الصغيرة الرايضة فى عرض البحر بالشاطئ بواسطة جسر طويل أقامه لهذا

الفرس وعرف باسم الهرتاشاني أو السبع الفراسخ من حيث الطول وبذلك كانت
هناك ميناءان شرقيّة وهى المستعملة وغربيّة تشكّل فيها رياح البحر وتضاهى
السفن ولكن الفئار المقام فوق جزيرة فاروس كان خير مرشد يهتدى السفن لمرسئ
فى هذه الميناء * وقد قيل فى صدد اختيار الموقع الذى أسست فيه المدينة
أن أهل نقراطيس من اليونانيين ادلوا الى الاسكندرية بالنصح والارشاد بصدد
اختيار هذا الموقع الفذ وما يستحق به من اهمية نظرا لبعده عن مصب النيل فى
الفرع الغربى وهو الكانوبى وعدم تأثره بما تجلبه مياه الفيضان هناك * اما عن
مدينة بطلمية فقد أسسها بطلميوس الاول وشاء القدر ان تكون المدينة الوحيدة
التى أسسها ملوك البطالمة واقتصروا على ذلك ولم يسائر الركب فى السياسة
التى انتهجها الملوك السلوقيون وكانوا سباقين فى انشاء المدن ولم يتقاعسوا عن
ذلك مثلما فعل البطالمة الذين خشوا * اذا ما توسعوا فى انشاء المدن * ان
يقطعوا اوصال البلاد ويفتقروا من وحدتها والرابطة التى اوجدتها نهر النيل *
ولعلهم ارادوا بتأسيس مدينة واحدة أن يثبثوا للملوك أنهم يستحقون الجدارة
بأن يكونوا خلفاء الاسكندر وأنهم لم يتأخروا عن الركب الحضارى * بل ساروا فى
هذا المضمار اسوة بملك سوريا وغيرهم من خلفاء الاسكندر الذين ساروا فى هذا
الشوط الى مدى بعيد فتوسعوا فى تأسيس المدن * وكان تأسيس بطلمية على
موقع به قرية مصرية تسمى " ايسوى " (Psol) وهى قرية ليست بذات اهمية
ولم تترك لنا سوى اسمها القديم ولم نعرف عنها شيئا كثيرا وقامت محل بطلمية
فى العصر الحديث مدينة المنشاة وهى مركز فى محافظة بخرجا مخلدة لذكرى بطلمية
مؤسسة بطلميوس الاول وحاملة اسمه المجيد ويقال انه قصد بهذه المدينة ان
تكون اداة تخضير وتمدين فى الصعيد وان تراقب الاحوال الجارية فى طيبة * معقل
الوطنية الوطنية حتى تتعادل الموازين والاضاح وتكبح جماح الفلاة من المظالمين
للحكم الاجنبى اذا ما ثارت ثائرتهم *

ومن ثانيا هذه المراكز ، انبثق نور الثقافة والحضارة اليونانية في طابعها الهيلينستى وتسربت الى شتى ارجاء مصر حتى وصلت الى الراحات والاقطار النائية والمقطرقة من مصر ، بما في ذلك الريف والحضر على السواء . ولكن بطليموس الاول كان حصيفا وحريصا للغاية فأثر الحذر الشديد في اختيار الطرق التي يمكنه ان يسلكها ازاء تسرب تلك الافكار والعبادات اليونانية والتظم الحكومية المرفوعة عند اليونان وقد شاهدناه وهو عازف عن المبالاة والتوسع في انشاء المدن ، مكتفيا بالنصيب اليسير واتباع القسطاس ومقتضرا على تأسيس مدينة واحدة هي بطلمية . ويمكن اعتبار موقف بطليموس الاول من العبادات المصرية وتسامحه ازاءها دليلا على السياسة التي انتهجها نحو العناصر القومية ودعاة الفكر المصرى الصميم ، فهو لم يتدخل في شئون العبادة المصرية ، ولو فعل شيئا من ذلك ، لكان متناقضا مع نفسه وما جرى عليه البصر اليونانى ، فكان الاهالى احرارا في مباشرة العبادات التي سار عليها اجدادهم واستمروا بالفعل يعبدون آلهتهم التقليدية في معابدهم القديمة . وان في مصر ، على حد قول الصائم البريطانى الراحل سير " هارولد ادريس بل " ملفمة وثنية حقة ، تعددت فيها الالهة المصرية والالهة اليونانية الى درجة يحار الانسان في فهم ، مدلولاتها وسرتمدها وقد جرت عدة محاولات للمطابقة والمقابلة بين بعض هذه الالهة المصرية ونظرائها عند اليونانيين مثال ذلك الاله احيوتب اله الشفاء يقابل عند اليونانيين الاله اسكليبيوس . على ان بعض هذه المحاولات كانت غير منظمة وفيها شئ كثير من الافتعال وسارت فيها الامور على غير هدى . اما الملك البطلمى فقد اتخذ لنفسه المركز التقليدى المخول له باعتباره فرعون البلاد فهو اله يعبد وهو فضلا عن ذلك يعتبر المالك لكل شئ ، ولا راد لكلمته وعلى ان حال فالعبادات السائدة في مصر كان مظهرها يساعد على ابراز صورة فيها شئ من التوافق بين المصالح المشتركة .

على ان المفتاح الذي ينسر لنا تفهم الخطة البطلمية ونجدده في مسألة
هذا الملك البطلمي الاول الرامية الى ابتداء عبادة جديدة ، تجمع بين الأفكار
المصرية والأفكار اليونانية في مجال ديني واحد ، ألا وهو عبادة الاله المبتكر
" سيرابيس (Sarapis) " . وقد حبلك حول نشأة هذه العبادة الجديدة
قصص كثير وفست مظاهرها وطقوسها المتفشية والمنتشرة بين طوائف عديدة
بأساليب وطرائق كثيرة وشابتها احلام ذكرها لنا الكاهن المصري مانيثون السمنودي
ورددها من بعده كثير من الكتاب اليونان والرومان من امثال المؤرخ الروماني
تاكيتوس (Tacitus) واصبح هذا الاله والالهة الاخرى المشتركة معه
في محرابه (Theoi Synnaoi) محور اهتمام الناس والحكومة اليونانية
على السواء وانتشرت المعابد المكرسة له في كل مكان حتى وصلت الى اعماق
القرى المصرية . وتجمع الناس بين يونان ومصريين حول هذه العبادة التي اتخذت
منذ نشأتها طابعا رسميا واولتها الحكومة كل تشجيع . وفي اتخاذ هذه الديانة
الجديدة عبادة رسمية ما يوحى بخطة انتوשהا الحكومة وهي العمل على اطمئنان
جميع الالهة الاخرى ذات الالهية الضئيلة ، بقدر المستطاع ووضع الكثير منها على
الرف ، ان امكن . وعلى ذلك يمكن القول ان السياسة التي كانت الحكومة البطلمية
تهدف الى تحقيقها ، هي السعى الى ضم الشمل والحمل على التوحيد بين العناصر
الساکنة في مصر وبين الاجانب الوافدين والجمع بينهم في صعيد واحد وهذا هدف
قومي بالطبع وفكرة صائبة ، ومن شأنها ان تسلس قيادة الحكوميين متى اشتركوا في
عبادة الاله واحد ، ابتدعته لهم الحكومة البطلمية ، وانه لحدث خطير حقا في تاريخ
نشأة المعابد والديانات ، ان يزعم الملك البطلمي الاول على تكليف هيئة مشتركة
من العلماء ، يمثل فيها المنصران ، المصري في شخص مانيثون واليوناني في
شخص تيموثيوس اليومولبيدي وهو فقيه ومصلح في الديانة . وقد قامت تلك الهيئة
بصياغة الطقوس اللازمة لهذه العبادة وبالطبع كان للمنصر اليوناني الغلبة واليد

الحلليا ، وكان مانيتون متجاوبا ومستسلما لأقصى حد * وهكذا وضعت مراسم هذه العبادة التي أنشأها بطليموس الاول واتجهت عناصرها من ديانات عديدة سائدة في امم مختلفة وذلك استجابة لمطالب الساعة حسبما تراءى لهذه اللجنة وطبقا لمقتضى المفاهيم التي وضعت لتسير عليها اللجنة وتنتهج على منوالها * فكان الاله سيرايمس مثالا لشخص الاله اوزيريس واخته وزوجته ايزيس وابنتهم سيرايمس " حورس " او كما يسميه اليونانيون هارپوقراتيس (Harpocrates) فكان ذلك عبارة عن ثالث رموز في نظر اليونانيين والمصريين على السواء وكان هذا الثالث بمثابة حلقة اتصال ورياط ديني وثيق بين الشعبين : المصري واليوناني . فقد آلفت القلوب واتحدت الاهداف وهذا وضع له قيمته في حد ذاته بالنسبة للحاكم والمحكوم ولا ينبغي ان تغفل ذكر هذا الاثر في تقديرنا وتقييمنا لنشأة القومية المصرية * وفي الوقت نفسه قد أتاح هذا الاجراء فرصة سانحة للدولة كيما تتحكم في شئون تلك العبادة المصرية دون حاجة لأي تدخل او عبث بالوضع القائمة ، فالعبادات القديمة كان امرها هينا ، اذ امكن وضعها في يرس وسهولة تحت اشراف موظفين حكوميين ثم تركت بمحد ذلك تلك المؤسسات الدينية القديمة وشأنها ، فعلى اهل ان تتضاءل وتنكمش شيئا فشيئا وينتهي بها المطاف الى ان تذبل امل تلك العبادة الجديدة ذات الرونق الباهر او على اقل تقدير يجرى امتصاصها وتغلب عليها في داخل عبادة سيرايمس عن طريق التوافق والتطابق وهو امر كان يكتفى له في كتب التاريخ البطلمي بحطية المطابقة بين المعتقدات (syncretism) * ومهما كانت الاساليب المختارة من اجل ستر العبادة الرسمية الجديدة وتخليق عبادة سيرايمس للمراسم والطقوس المقتبسة من مصر مصرية ، فان الروح اليونانية كانت هي الغالبة والبارزة * وتمثلت هذه الضيفسة في الفكرة الاصلية التي كانت السبب في ابتداع الاله سيرايمس بقصد واضح لاليس فيه وهو جلب كل اولئك الذين عبدوا هذا الاله الى الدائرة اليونانية وضمان ولائهم

للملك البطلمي بالانقياء في عبادة مشتركة كهذه ، فكأنما الفوضى الحقيقية من وراء هذه العبادة هو سياسي .

وهناك اساليب اخرى غير مباشرة شبيهة من ذلك الاجراء الذي اتبع في ابتداء عبادة سيرابيس . وقد روى اتخاذها وسيلة او اداة من اجل "تهلين" المصريين وطبعمهم بالطابع اليوناني وهذه الاساليب تناولت المظهر والجوهر على السواء وكان لابد ان تؤتى ثمارها في كل حين ، بل وفي شتى المجالات ، فليس من المعقول ان يقف المصريون مكتوفي الايدي امام حضارة هيلينية متفتحة لتقبل العناصر الشرقية والاسيوية ولاحتضان الصالح منها ، على ان يكسى هذا كله بطلي بقشرة رقيقة او سمكة من غشاء "هيليني" . وبعض هذه الاساليب يمكننا التقيب عنها في اماكن اخرى ، ففي مجال اللغة ، كانت اللغة اليونانية هي اللغة الرسمية واستمر هذا الوضع مرعيا طوال المصريين البطلميين والرومانيين الى نحو الف سنة . وعلى ذلك كان على المصريين ان يجاروا هذا الوضع ويتقبلوه صاغرين ويتأقلموا معه . ونحن نعرف ان الامية كانت متفشية في مصر وان عدد الاميين (hoi agrammatoi) كان يمثل المصير الغالب في السكان وان الكتبة الصوميين ورجال الدين هم الحفظة على هذا التراث الفكري واللغوي . ومن انه لا يوجد من الدلائل ما يثير الى وجود اي اثر لروح الاكراه في استعمال اللغة اليونانية واستخدامها في المكاتب والشكاوى ، اذ بقيت اللغة المصرية القديمة والخط الديموطيقي مرعيين في شئون الديانة المصرية والادب المصري والمعاملات وعقود الزواجر بين المصريين ثم في النقوش والماراسم الدينية ، فانه كان من الطبيعي ان الشبان المصريين الراغبين في شق طريقهم في سلك التوظيف والترقي بقصد التعاون مع الحكومة اليونانية ، تمهين عليهم تعلم اللغة اليونانية ، والاخذ بنصيب من الثقافة اليونانية المجلوبة عثمسيا مع روح العصر وتجاوبا مع سادة البلاد الجدد . ومن اجل تحقيق هذه الاهداف انشئت المدارس لتعليمهم .

وقد جلبت هذه المدارس اليونانية في ركابها انوانا من المؤسسات والنوادي وحلبات
المصارعة والندوات الثقافية والرياضية وهي المعروفة باسم (gymnasia)
ثم الحمامات * يوم كل هذه المنتديات جماعة من الشبيبة او الفتيان (ephebi)
ويتخرجون منها بعد فترة قصيرة شبانا صالحين ومواطنين مستكملين المواطنة وكان
هذا مقصودا بالطبع على العناصر اليونانية وحرم على المصريين الانضمام في هذه
المؤسسات الثقافية وكل من تسلس اليها * كان يقص عنهما ويحارب غالاب المصري
الذي يعمد الى تشجيع اسم ابنه في سلك الشبيبة بطريق التدليس كان يعاقب
بمصادرة ربح اماه وذلك بحسب ما جاء في البند الرابع بعد الاربعين من مقننة
الاديبولوجوس وفي الدستور المبرمج في اواخر الحكم البطلمي وفي العصر الروماني *
وقد انتشرت الدمنازيات في عصر البطلمية حتى وصلت الى اعماق الريف والى القرى
النائية * ولم يمض وقت طويل حتى ظهرت هذه المؤسسة في وسط المدينة المصرية
الحديثة وهي تليبة معقل الوطنية المصرية ومركز عبادة الاله آمون * اما متحف
الاسكندرية واكاديميتها الثقافية الا * وهي الموسيم (Museum) حيث
كان التاسع الالهى (Musae) الراعى لربات الفنون التسع ثم المكتبة
اليونانية المشهورة فكانت هذه معالم ذائعة السمعة ومفخرة لعصر البطلمية وفيها
عكف نخبة من العلماء اليونان الذين جاءوا من بلاد اليونان والجزر واسيا الصغرى
ينعمون بضيافة الملك البطلمي الذي اغدق عليهم من عطفه وتشجيعه الشيء الكثير
فمكفروا على اعداد الموزجات والملخصات من كتب الحكم والمعرفة من مصرية ويونانية
وتم لهم احرار مصنفات بوبوها في ثوب يوناني قشيب لصالح العالم اجمع وبذلك اشرى
الفكر العالمى واتبع لدينا تراث ادبى وفكرى هائل يصرف بالادب الاسكندري بحسب
تنقيح اعمار المفكرين والكتاب والشعراء اليونانيين الاولين * ثم ان سبل التجارة
المصرية كانت قد اخذت تتأثر كذلك وتنسجم فيها المصاملات مع التقاليد والمصرف
اليوناني وذلك باستخدام العملة المسكوكة كوسيلة ميسرة في التبادل التجارى وعرفت

قواعد البيع والرهن والائتمان والهبة واليومان حدثوا في كل هذه الأنواع من

المعاملات .

بانت امارات المعالم الرئيسية التي جرى تخطيطها لبرنامج " الشهران "

والتحضر في مصر قبل موت بطليموس الاول (سوتر) في عام ٢٨٣ قبل الميلاد

(او في ٢٨٢ ق م) وان كان ابنه بطليموس الثاني الذي تيج فرعونا على

البلاد في يوم ٢٦ يونية من عام ٢٨٤ ق م . قد نهض بمصر وهم بانباقة الكثير من

المشروعات الاصلاحية في شتى الميادين وادخل على برنامج التمييز الكثير من

التحسينات والتصويبات وسار على هذا المنوال بروح حماسية فكان كالمخمس .

لا يابه بالصعوبات ولا بضخامة المشروعات التي عقد المزم على تنفيذها . واستجاب

البلاد الى التنظيمات التي ادخلها وتقبلت التشريعات الكثيرة التي وضعها .

واغلبها متمم بالطابع الاقتصادي والمالي والاداري . وقد حاك لمصر حكومة

بيروقراطية منسقة احسن تنسيق حتى اصبحت هذه الحكومة المركزية مضرب الامثال

في العالم الهيلينستي . على انه بعد ذلك بقليل ظهرت بوادر البيقظة او الضحوة

من جانب الشعب المصري وبانت امارات حركات دالة على رد الفضل . وظهر ذلك

بشكل جلي في التسليم والاستجابة للميون الشعبية وللشاعر المصرية في اكثر من

اتجاه . فمثلا في موضوع العملة ، كان بطليموس قد اقام نظام عماله طبقا للطريقة

اليونانية المألوفة وذلك على قاعدة الفضة ، من اعتبار معدن الذهب محورا بالنسبة

للنفقات ذات القيمة الحالية والنحاس كأداة لعملة مساعدة . ولكن التجار المصريين

كانوا قد ألفوا حساب اثمان الاشياء عند تصريف بضائعهم بالنحاس ، فكان امرا

طبيعيا ان يعترضوا على ادخال معدن غريب عليهم كوسيلة للتعامل . وعلى ذلك

منذ عام ٢٧٠ ق م روى في عهد بطليموس فيلادلفوس ، اعادة تنظيم الاسلوب المتبع

واصبح المعنصر الاساسي في العملة يتألف من النحاس وذلك ارضا للمصريين واستجابة

لمطالبهم ولم يمدد النحاس يعتبر عملات صغيرة كما كان مألوف في التداول عند المدن

اليونانية ، بل أصبح قطعاً كبيرة ضخمة ، محيارها فيما يبدو على صورة سبيكة .
ويقول العالم الروسى رستوفتزف فى كتابه عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية فى
العالم الهيلينستى طبعة ١٩٤١ ص ٤٠٠ ثم ١٤١٦ " انه فى النصف الثانى
من عصر فيلادلفوس كانت العملات النحاسية الضخمة وقد رسمت على وجوهها رؤوس
الالهة المصرية ، تسك فى مصر وهى لم تعد تتداول كعملات رمزية وإنما أصبحت
قطعاً من العملة المعتادة يقبلها الناس حسب قيمتها المعدنية الحقيقية " .
وكانت هذه المرحلة أولى الخطوات فى عملية كان من شأنها ان تؤدى خلال بض
سنوات اخرى الى الاعتراف بالنحاس كمحيار للعملة المستعملة فى داخل البلاد
والمعترف بها فى دار " السكة " بالاسكندرية ، وذلك فى وقت أصبح فيه استعمال
الفضة يأتى فى المقام الثانى . وانه لمن الجدير بالذكر ان ننوه بأن وجه العملة
فى هذه القطع النحاسية الكبيرة الحجم ، كان مرسوماً عليه رأس اله له من الخصائص
ما يشبه الى حد كبير الهيا المحلية هو اقرب ما يكون الى آمون ، الاله المصرى المتعدد ،
بينما انواع العملة التى كانت مستعملة من قبل كانت تحمل صورة رأس الاسكندر
" ذى القرنين " ويطلمبوس او الاله اليونانى الكبير رب الالهة ، على جيبسل
اوليمبوس وهيركليس (Zeus) .

ومن الأدلة على يقظة العناصر الوطنية والشعور القومى ما وجدته فى تلسك
الاعداد الضخمة من اناس ملقبين باسماء مصرية صريحة وقد جاء ذكرهم على انهم
يشغلون مراكز رسمية ومناصب مهمة فى خلال القرن الثالث وفى الحقبة الاخيرة منه
بالذات (اى قبيل معركة رفح فى عام ٢١٧ ق م . ثم ما بعدها) . وقد يرد على
ذلك بالقول بأن هذا انما يدل فقط على ان المصريين اخذوا يستغلون تعليمهم
اليونانى وذلك بالانضواء فى سلك الخدمة الحكومية عن طريق التوظيف او شغل المناصب
الاخرى ذات الاهمية والجاه والنفوذ . ولكن هناك مقياس آخر نستدل منه على مبلغ
ما جلبوه معهم من افكار مصرية صريحة وما أدخلوه فى عقولهم من روح قومية واعتداد

بالشخصية المصرية * ولعلنا نستطيع تبين هذا بشكل جلي من عمل مقارنة بين نقشين عظيمين مشهورين في تاريخ البطالمة * دبحت كلا منهما هيئة دينية من الكهنيسة المصرية خلال فترة تتراوح بين اثن من خمسين عاما تفصل احدهما عن الآخر والنقش الاول بين تاريخه الى عام ٢٣٧ ق م في حكم الملك بطليموس الثالث الملقب يورجيتيس الاول وهذا النقش معروف باسم قرار كانوبوس وقد صدر في هذه الضاحية ومحلها الآن " ابو قير " يظهر الاسكندرية * والتصفح لهذا النقش الذي خزن به الكهنة المصريين بعد اجتماعهم على شكل مؤتمر عام او مجمع ديني * يجد ان هذا القرار روي في صياغته ان يجي " على نسق متفق مع اى قرار يوناني من حيث المنهج والاسلوب والديباجة وان الاصل فيه هو النص اليوناني وهذا الاصل ترجم النص الهيرغليفى وكتب كذلك بالخط الديموطيقى وعلى ذلك يمكن ان نقول ان الراجح اليونانية هي الفدالية والحاد بالمثل في نقش مسطر على حجر مماثل من عهد بطليموس الثانى ويعرف هذا النقش بحجر منديس تخليدا لذكرى زيارة هذا الملك الى منديس في شرقى الدلتا وكان كذلك مصافا باللغة اليونانية والالفبسة الهيرغليفية والخط الديموطيقى وهو من باب اولى باعتباره اقدم من حجر كانوبوس * كان الاصل فيه اللغة اليونانية * ولكن هذا الحال تبدل في الحجر الذى سطر في عهد بطليموس الخامس يعرف بحجر رشيد وقد صدر في عام ١٩٦ ق م * وفيه تجلت حالة من الردة او العودة الى الصيغ المصرية القديمة واتبع الاسلوب المصرى فهو اذا * نقش اكثر مصرية من النقش الاول * ومع انه في بعض هذه الحالات ورد نص باللغة اليونانية ولكن شان بين هذا وذاك فبينما في نقش كانوبوس كانت اللغة اليونانية هي الاصل وعنها نقلت المصيدة المصرية اذا بنا في حالة حجر رشيد جاءت المصيدة المصرية هي الاصل اما المصيدة اليونانية فما هي الا ترجمة عن الاصل المصرى * واى فقيه له دراية بقواعد اللغة واهتمام بالنواحي الفيلولوجية وعلم اشتقاق الكلمات واساليب صياغتها * يستطيع التعرف على كنه ذلك وتمحيص هذه الفكرة بمعى دراسات مقارنة ذات طابع لغوى بحث *

وهناك حدث آخر مهم ، نوهت عنه جميع الكتب التي عرفت التاريخ الاسرة
البتلمية ، لما له من اهمية بالغة في التدليل على ظهور روح القومية المصرية بمصر
سافرة وشكل بارز . ذلك انه عندما تعرض بطليموس الرابع (الفيلسوف)
لخزوة من الشلم شتمها عليه انطيوخوس الثالث في الفترة ما بين عامي ٢١٩ و ١٨٥ ق م
٢١٧ ق م . كان الملك البتلمي يماطل في المفاوضة حتى اعد القادة بموجبه من
وزيره اليوناني المسمى " بوليبيوس " فكون فرقة مصرية صدمية ذريتها على نظام الفيلق
اليوناني وكانت تضم عناصر مصرية خالصة فلما خاضت المعركة اثبتت جدارتهما وابلت
بلاءا حسنا في معركة رفع في يوم مشهود في تاريخ الامة المصرية هو الثاني والعشرين
من شهر يونية عام ٢١٧ ق م . وفيه تم النصر للقوات المصرية على جيش انطيوخوس
الثالث وكان للمصريين دور هام في هزيمة السوريين وردهم على اعقابهم . وقد وصف
لنا المؤرخ اليوناني " بوليبيوس " الاحداث التي جرت وفصل لنا الاستراتيجية التي
اتبعتها الفرقتان المتقاتلتان ودور الفيلق المصري في كسب هذا النصر الموزر . وعقب
هذا النصر ، شمر المصريون بكرامتهم واصبحوا يعتدون بشخصيتهم بعد ان بين
انهم اصحاب فضل في توطيد العرش البتلمي بعد ان كان هذا العرش قد اهتز
تحت اقدام الملك بطليموس الرابع وهكذا كانت نتائج معركة رفع بحيدة المدى بالنسبة
للمصريين وقد قامت ثورات مصرية واضطرابات في شتى انحاء البلاد عقب هذا النصر
واخذ المصريون يتالبنون بشن غالى لهذا النصر وكانوا قد عقدوا المزم على استرداد
كرامتهم المهددة وكسب الحقوق المهدومة . ولذلك اعتبرت معركة رفع نقطة تحول هلم
ومنحطف خطير في تاريخ الدولة البتلمية . وقد تلى هذا سلسلة من الترضيات
والتسويات المنطوية على تمطف وتسامح (philonthropa) قوامها الاخذ
بيد المصريين ورد بعض الحقوق المهم . ولعل المرسوم الذي انتهت به الحرب الاهلية
التي نشبت بين بطليموس الثامن (بورتيس الثاني) وبين زوجته الاولى كليوباترة الثانية
سنة ١١٨ ق م ، جاء شاملا لعدة نقاط وفيه تسوية لكثير من الاوضاع وارضا لجمهور
الاطراف من قبيل تهديئة الخواطر .

أما عصر كليوباترة السابعة (٥١ - ٣٠ ق.م) ففيه أكثر من مؤثر يرد على الأخذ بيد المصريين وفيه ما يدل على أن هذه الملكة كانت تحظى بالتأييد من جانب العناصر المصرية وأن هذه الملكة كانت في نظر الشعب المصري تعتبر بطلاً وأنه كان مستعداً للقبض في تأييدها إلى أبعد شوط باعتبارها ملكة مصرية ، يكن لها الحب والتقدير . ولكن الظروف الخارجية لم تكن مواتية وخارت قوى زوجها الروماني ماركوس انطونيوس في معركة شننها في مرسى مطروح ضد القائد كورنيليوس جبالاوس الذي كان يحمل لحساب اكتافيوس ثم هزم انطونيوس مرة أخرى في نيقوبولس بظاهر الاسكندرية أمام قوات اكتافيوس في عام ٣٠ ق.م وبذلك اسدل الستار على ملك البطالمة بعد اغسطس عام ٣٠ ق.م وانتحار كل من انطونيوس وكليوباترة . وبدأ عصر جديد هو الحكم الروماني في مصر وقد جاء هذا الحكم ديمترياديا وعلى مهينل وتغيرت فيه جميع الأوضاع والأهداف بطريقة جوهرية ، فالسياسة البطلمية التوسعية ألقي بها في مهبط الريح ، بل وضرب بها عرض الحائط ولم يصب هناك مجال على الإطلاق لأي تدخل من جانب مصر في مشترك السياسة الأوروبية ولا في دائرة الحضارة الأوروبية وأصبح محكوماً على مصر أن تنأى بجانبها ، بعيدة عن هذه الدائرة المتميزة . وكان المقصد الوحيد الذي كان اكتافيوس يهدف إلى تحقيقه والذي عمل خلفاؤه من بعده على النهج على مثاله ، هو الحصول على استغلال موارد البلاد باثتبار أن مصر مصدر إيراد ضخم وتمثل خيراتها مادة دسمة أو بالأحرى على حد قولهم اعتبار مصر كالبقرة الحلوب التي لا ينبغي أن يجف لبنها أبداً لصالح روما .

ثبت بأهم الأحداث والتواريخ في مصر البطلمية

وفي مجازاتها

نظرا لتداخل الأحداث وارتباط ما كان يجري في مصر البطلمية بها كان يقع في البلدان المجاورة التي تخلفت عن امبراطورية الاسكندر بعد تقسيمها بين نفر من القواد ونظرا للصعوبات التي تواجه الباحث في هذا القية فقد آثرنا أن نشفي هذا البحث بقوائم بها أهم الأحداث على الصعيد المصري وفي العالم المحيط بمصر في تلك الحقبة مع نبذ مقتضية لربط الأحداث وعمل تصور شامل .
٣٢٣ ١٣٠ يونية ق.م . مات الاسكندر الاكبر .

برديكاس هو الخليفة على هذه الامبراطورية والممثل الرسمي عن فيليب الثالث الملقب اريدايوس (٣٢٣ ق.م - ٣١٧/٣١٦ ق.م) ومن الابن المولود وهو الاسكندر الرابع بعد وفاة الاسكندر (٣٢٣ - ٣١٠/٣٠٩ ق.م .)

بطليموس يدمج الوالي على مصر ويحمل لقب ساتراپ اي مرزبان وله سياسة معلومة ومرسومة اتبناها طوال فترة ولايته وعرفت هذه بالسياسة الساتراپيية (Satrapenpolitik) .

في هذه الفترة تخلص من كليومينيس (Cleomenes) من أهل إسقاطيس وكان الاسكندر قد عينه ليصرف على مالية البلاد المصرية ولكنه استغل نفوذه واخذ يتاجر في الفئات وفي اقوات الناس فحكم عليه بطليموس بالاعدام . مقتل بريداس في اثينا . هربوه على مصر لتأديب بطليموس الذي كان قد خرج عليه وهما امره .

انتخابات تريمين بدلا من برديكاس نائبا عن هذا الملك المريض

٣٢٠ - ٣١٨ ق م بطليموس يفتزو سوريا الداخلية (سهل البقاع - لبنان)

٣١٩ ق م تعيين بوليبيرخون نائبا وممثلا عن هذا الملك بعد موت

انتيوخوس ٣١٩ ق م بطليموس ، انتيجونوس ، كساندر ،

ليسيماخوس وآخرون يحصون ادر بوليبيرخون ويشقون

عصا الطاعة عليه باعتباره وصيا .

٣١٢ ق م ام الاسكندرية اوليمبياس تدبر مقتل فيليب اريد ايوس

الاسكندر الرابع يعتبر ملك العالم الا واحد وبالتالي

ملك مضر .

٣١٠ ق م مقتل الاسكندر الرابع واغتياله بواحدة كاسندر احد

خلفاء الاسكندر

بطليموس يفتزو قبرص

٣١٥ - ٣١١ ق م نشوب حرب شعواء يشترك فيها نفر من خلفاء الاسكندر

من بينهم بطليموس .

بطليموس يفتح ثوبة ونشبت في برقة

٣١٠ - ٣٠٩ ق م الاسكندر الرابع واهله الفارسية " روكسانا " يقتلان

ويتواريان بناء على اوامر صادرة من كاسندر

٣١٠ - ٣٠٨ ق م بطليموس الاول يحاول عبثا احياء حلف كورنثة واعادة

هذا الحلف الى سيرته الاولى .

موت اوفيلاس حاكم برقة

٣٠٨ ق م مولد بطليموس الثاني في جزيرة قوص بسجودة برقة الى

بطليموس

٣٠٧ ق م ديمتريوس المخلص يفتزواثينا وعندئذ يفر حاكمها ديمتريوس

الملقب بالفاليري (نسبة الى مرفا فاليريوس احد مرافقي

اثينا) ويلجأ الى بطليموس الاول وهذا الفاركان

- فيلسوفاً ومشرعاً ، وبأن اثره في كثير من القوانين
والتشريعات التي صدرت في مصر آنذاك واصبح
سم ديمتريوس القاليري ملحوظا في السياسة
البلطمية في هذا العهد الاول وكان يحظى
بصطف كبير من قبل الملك بطالميرس الاول .
- ٣٠٦ ق م
تحريم الاسطول المصري بواسطة ديمتريوس المحاصر
في مرفأ سالاميس بجزيرة قبرص . اعلن كل من
انتيجونس الاثينوي وديمتريوس نفسه ملكا .
- ٣٠٤ ق م
بدالميرس الاول يعلن نفسه ملكا اقتداءا بما فعله
كل من سلوقوس وليسيماخوس وكاسندر في بلادهم
تأسس مدينة انداكية على نهر العاصي (اورنتيس)
في الشام
- ٣٠٠ — ٢٩٨ ق م
يتزوج ليسيدامخوس من ارسينوى ابنة بدالميرس الاول
يقوم ماجا س ، الاخ غير الشقيق لبطالميرس باسترداد
برقة لحساب بدالميرس .
- ٢٩٧ ق م
فرار ديمتريوس القاليري الى بلاد بطالميرس الاول
استيلاء بدالميرس على قبرص
- ٢٩٦ ق م
موت الكارثي الساخر ميناندر في اثينا وكانت سمعته
ورواياته المسرحية محبة في مصر وعرفت منها مسرحية
- ٢٩٢ ق م
" اللفظ " المناوي على نفسه (Dysklos)
والمرأة المحترقة (Empiupramena) والحليقة
(Epikēiromene) وغيرها .

٢٨٧ ق م

ابتدأ عبادة الاله سيرابيس في مصر - وكان لهذه
العبادة شأن عظيم في تدعيم سياسة الحكم في مصر
البلدية وكان لها أهمية في توثيق الروابط وجمع
شمل اليونان والمصريين في صعيد واحد فهم
يتعبدون لاله واحد هو الذي انشأه بطالموس الاول
وسمى له معابد كثيرة في جميع ارجاء مصر ويرجع اصله
الى Osiris + apis ومعابده هي السرابيومات
(Serepeun-Serapea) في الاسكندرية وفي
حواسر الاقاليم بجميع انحاء مصر وفي قراها ، تحسست
بالعشرات وانتشرت عبادته في الخارج في البلدان
التابعة لمصر .

٢٨٦ ق م

٢٨٥ ق م

بطالموس الاول يحتل مدينة صور ومدينة صيدا
بطالموس الثاني يصبح شريكا مع ابيه في الملك فسي
الفترة ما بين مارس وابريل من هذا العام ثم يتقاعد
بطالموس الاول ويحتل نهائيا لصالح ابنه بطالموس
الصاعقة - كيراوتوس (Ceraunus) وهو
اخ غير شقيق لبطالموس الثاني وكان الابن الاكسبر
لبطالموس الاول ينسحب ويذهب الى بلاد ليسيماخوس
في تراقيا .

عقد معاهدة بين بطالموس الثاني واهل ملوك الهند
وقيام ليسيماخوس بفنزور بايونيا (رومانيا حاليا)

وماكستيان على تساليا في بلاد اليونان

٢٨٤ ق م

تتويج بطلميوس الثاني فرعوناً على مصر في يوم ٢٦ من

شهر يونية

٢٨٣ ق م

موت بطلميوس الاول

يقوم بطلميوس الثاني بتنظيم عبادة الملك الحاكم
ruler-cult على النمط البطلمي والنسق

الفرعوني

يودع بطلميوس الثاني الفيلسوف ديمتريوس الفاليري

السجن وقيل إنه هو الذي امر باعدامه

٢٨٠ ق م

نشأة الاعياد البطلمية وهي عيد يسس (Ptolemaia)

او (Pentaeteros) ويحتفى به كل خمس سنوات

ولهذه الاعياد والهرجانات ما بعدها مما كانت

تشهده مدينة الاسكندرية بين حين وآخر . انصام

بناءً فنار فاروس على جزيرة فاروس قرابة هذا العام

فكان احد عجائب الدنيا وبسر الماشية البحرية بإرشاد

السفن والملاحين عند الرسو في ميناء الاسكندرية

وهما الشرقية والغربية (Eunostus)

٢٨٠ - ٢٧٩ ق م

تشعب حرب بين بطلميوس الثاني وانطيوخوس الاول بعد

مد أو تطهير القناة الواقعة بين النيل قرب السويس

من هيرونيوليس (Heronpolis) والبحر الاحمر

(بحر القلزم) (Erythrian) وهذه القناة

ترجع الى عهد الفراعنة وكانت قد سدت فقام بطلميوس

الثاني بتطهيرها .

٢٧٩ ق م

عودة ارسينوى اربعة ليصياخوس ملك تراقيا الى موطنها
فى مصر لدى اخيها الذى يتزوجها بعد ذلك بقليل
(٢٧٨ - ٢٧٤ ق م) اسوة بزواج الاله اوزيريس
من اخته ايزيس فكان هذا التصرف من جانب بطالمىوس
الثانى لفئة كريهة لم تنسب على فائدة المصريين واعتبرت
اشارة من الملك بعزمه على التقرب من عقائد المصريين
وكانت حركة سياسية بامية ، قصد بها فى اغلب الظن
توثيق الصلات بين الاسرة المالكة وبين المصريين •
تلقى بطالمىوس الثانى زوجته الاولى وكان اسمها كذلك
ارسينوى وهى ابنة الملك ليسياخوس ملك تراقيا ثم
نفادها الى قفط ، وقد رواجه على ارسينوى الثانية ففى
الفترة ما بين ٢٧٨ - ٢٧٤ ق م

٢٧٤ - ٢٧١ ق م

تنشب الحرب السورية الاولى بين بطالمىوس الثانى
وانطيوخوس الاول ، يبعث بطالمىوس الثانى بقواته ،
يقودها قواد من قبله اما هو فقد آثر ان يقبع فى مصر
يدبر شئون حكومته البيروقراطية ويتصرف على ماجريات
الامور فيها •

٢٧٤ ق م

ماجاس حاكم برقة وهو اخ غير شقيق لبطالمىوس ، يتحالف
مع عدو مصر ، اندريوخوس الاول ، من قبيل الكيد لمصر •
بطالمىوس الثانى يحتل بضع نقاط على السواحل الغربية
لآسيا الصغرى ويتخذ منها مواطى ، اقدام للتوسع فى
الداخل •

٢٧٢ ق م

أيضاً بعثة مصرية من قبل بطليموس الثاني الى روما
لاعلان الصداقة (Amicitia) المستى
ترتبط مصر بروما . وكانت هذه حركة بارعة تتم عن بعد
النظر في السياسة المصرية التي اثرت اتخاذ موقف
محايد وانطوت على عدم تقديم العون والمساعدة لمجارة
افريقية تقع في الغرب من مصر هي قرطاجة (تونس
حاليا) وهي في حالة حرب مع دولة فتية هي روما
وتعرف هذه بالحرب البرامية الاولى (٢٦٤ - ٢٤٢ ق م)
وانتهت بهزيمة قرطاجة ويعتبر اتخاذ بطليموس الثاني
لهذا الموقف المحايد في مترك سياسة عالمية كهذه
عملاً سياسياً بارعاً .

٢٦١ ق م

اتمام الصلح بين بطليموس الثاني وانتيجونس جوماهاس
موت انطيوخوس الاول في الاول او الثاني من شهر
يوني من هذا العام وخلفه ابنه انطيوخوس الثاني
المعني بالاله (Theos)

٢٦٠ - ٢٥٣ ق م

نشوب الحرب السورية الثانية ووقوف مصر ضد كل من
مقدونيا وسوريا في عهد ملكها انطيوخوس الثاني .

٢٥٣ ق م

اتمام الصلح بين بطليموس الثاني وانطيوخوس الثاني
على ان تصبح افسوس وميليطه بأسيا الصغرى مدنتين
ماويتين .

٢٥٢ ق م

برنيقة ابنة بطليموس الثاني تتزوج كن انطيوخوس الثاني
بعد ان يطلق زوجته الاولى لاوديكي (Ladike)
ويذهب الملك بطليموس الثاني لوداع ابنته حتى الحدود
الشرقية لمصر ثم تصحبها بعثة شرف يرأسها ابولونيوس
وزير مالية بطليموس الثاني حتى تصل الى سوريا
وتزف الى ملكها هناك .

٢٤٦ ق م

موت بطالمیوس الثاني في شهر يناير وموت أنطيوخوس
الثاني في الربيع من نفس العام في افسس • سلوقوس الثاني
يخلف أنطيوخوس الثاني ويوافق على ان تقوم امه
" لاوديكى " بتقن غريمتهما برنيقة • بطالمیوس الثالث

يخلف بطالمیوس الثاني ويسارح لنجدة اخته دون
جدوى ويعلن الحرب على سلوقوس الثاني ويتقدم
الى مملكة بابل ويحرز انتصارات باهرة ويثبت اقدامه
في بعض المداخن الواقعة على ساحل تراقيا وفسي
سلوقيا في البيرة بفلسطين وفي اجزاء كبيرة من الاقاليم
الممتدة على ساحل آسيا الصغرى • وقبل اتمام هذا
البرنامج الصغير عقد زواجه على برنيقة من برقة وكانت
هدية زواجها ضم برقة الى مصر • كاليماخوس " يدبج قصيدته
عنوانها خصله شعر برنيقة (Lock of Berenice)
وكانت هذه الملكة قد قصت هذه الخصله من شعرها
وقد تمتم بها

غريانا لاله ايزيس بمعبدها بابى قيس متوسلة اليها

بان تعيد لها زوجها سالما من حروبه في آسيا •

مدة حكم بطالمیوس الثالث الملقب بفاعل الخير " يورحتيس "

٢٤٦ - ٢٢١ ق م

الاول

الحرب السورية الثالثة تمتد اربع سنوات بين بطالمیوس

٢٤٦ - ٢٤١ ق م

الثالث وسلوقوس الثاني

في اثناء هذه الحرب يضطر بطالمیوس الثالث الى العودة

٢٤٥ ق م

الى مصر بسبب اشتعال ثورة وقيام حركة عصيانية لم تدم

طويلا ان اسرى باخمارها •

٢٤١ ق م

اتمام الصلح بين سلوقس الثاني وبطلميوس الثالث
وانتهاء الحرب السورية الثالثة

٢٣٧ ق م

الكنهنة المصريون يلتئم جمعهم بدعوة من الملك في
مجمع (Synodos) يعقد بأبي قير
(Canopus) ويصدرون قرارا مشهورا عرف
بالاسم الاتي قرار كانوبوس (Canopus Decree)
اشادوا فيه بالملك بطلميوس يورجيتس الاول ومما
اسداه للبلاد من خير وما قدمه من خدمات ومسكن
عفو عن المسجونين وتنازل عن المتأخرات من الضرائب
واصلحوا التقويم المصري وصدروا القرار باللغة
الهيرغليفية والخط الديموطيقي ثم باللغة اليونانية
ونقش على حجر بهذه الخطوط الثلاثة .

٢٢١ ق م

وفاة بطلميوس الثالث بين الخامس والسادس عشر من
شهر فبراير من ذلك العام

٢٢١ ق م

تولية بطلميوس الرابع الملقب فيلوتاور (في ٢١ فبراير
تقريبا)

٢٢١ - ٢١٧ ق م

نشوب الحرب السورية الرابعة بين انطايوخوس الثالث
وبطلميوس الرابع .
المؤرخ اليوناني المشهور بوليبيوس يعرض لبعض الأحداث
التي وقعت في عهد هذا الملك ويشير الى سياسته
الداخلية وارتماؤه في احضان ثالوث مؤلف من ام عاهرة
وينتمها اجاثولكيا التي كانت محظية الملك واخوها اجاثوكليس
الذي كان احد وزراء الملك سوسيبوس (Sosibius)

وزير الحربية في عهد هذا الملك هو صاحب الفضل
الكبير في النصر الذي كسبته مصر في معركة مشهورة
وقعت على الحدود الشرقية في ربح ٢١٧ ق م في

يوم ٢٢ يونية *

تأليف فيلق مصري من المحاربين المصريين الذين
كانهم هيرودوت باسم (الماخيدوي " اي المحاربين
ورما هم بصفات فيها الازدراء والاحتقار لشأنهم
ولكنهم لما تم تدريسهم على نظام الفيلق ابلوا بلاءا
حسنًا وكسبوا النصر وثبتوا اقدام العرش البدالي *
مولد بدالمويس الخامس في عهد قليل شريك في

٢١٠

الملك مع ابيه

انفصال الاقليم الطيبي (Thebais) عن مصر
بعد ان استقل به ملكان من بلاد النوبة *

٢٠٦ - ١٨٦ ق م

موت بدالمويس الرابع (٢٨ نوفمبر او في عام ٢٠٤ ق م)
اخفاء خبر هذا الحادث لاليم لفترة من الزمان حتى
تم تليفق وصية مزورة ، افترعها الثالث الماكسر
(ارجاثوكليس واخته وامهما) *

٢٠٥ ق م

٢٠٥ او ٢٠٤ حتى ١٨٠ ق م عهد الملك بدالمويس الخامس الملقب ابيفانيس
" الظاهر "

عقد معاهدة سرية بين فيليب الخامس واندرايوخوس
الثالث

٢٠٣ ق م

الثالث ضد بدالمويس الخامس والملوك

الثالث من الشباب اليافع *

٢٠١ - ١٩٤ ق م

الحرب السورية الخامسة بين انطيوخوس الثالث

وبطليموس الخامس

١٩٧ ق م

تشجيع بطليموس الخامس فرعوناً على مصر واتهام هذا
التشجيع في مفسرين وليس في الاسكت رية وهذا الاجراء
له معناه ويعتبر لغة من البطالمة للتقرب من مشاعر
الشعب المصري والكهنة المصريين واتخذ دليلاً على
بروز القومية المصرية ممثلة في رجال الدين • كان على
هذا الملك الشاب ان يشن حرباً على الثوار في الشمال
والجنوب وذلك بالإضافة الى حربه ضد انطيوخوس الثالث

١٩٦ ق م

يشتهر هذا العام في التاريخ البالي بأنه سطر فيه
حجر مشهور في التاريخ المصري كله ذلك هو حجر
رشيد الذي اشاد فيه الكهنة بالملك بطليموس ابيفانيس
وسطر بخطوط شائعة هي الهيروغليفية والديموطيقية
واليونانية ويرجع الى هذا النقش الفضل في التوصل
الى فك طائفة الاسماء الهيروغليفية بمقارنة اسمين
وارد بين في النص اليوناني وهما بطليموس وكليوباترة
زوجة الملك ومقابلة حروفها على نفس الاسمين الوارد بين
داخل اطار في النص الهيروغليفي وبذلك امكن التوصل
والتحريف على الحديد من الحروف الهجائية في اللغة
الهيروغليفية •

١٩٥ ق م

ابرام الصلح بين انطيوخوس الثالث وبتليموس الخامس

وانهاء الحرب السورية الخامسة •

١٩٤ ق م

عقد الزواج بين بطليموس الخامس وبين كليوباترة الاولى
ابنة انطيوخوس الثالث • وكان مهر هذه الزيجة الملكية

- هو الموافقة على أن يؤول الأبرار الناجم عن أملاكه
الجديدة في فلسطين وجنوب سوريا هالتي الملكة
كليوباترة الأولى •
- ١٩٠٢ — ١٨٩ ق م تشوب حرب سورية بين روما وبين اندايوخوس الثالث
١٨٦ ق م يخيم السلام في الصعيد وتبدأ الخواطر في إرجائه
وتبدأ عمليات البناء والتشييد في معبد أدفو وكانت
المدينة تسمى بالاسم الآتي (Apollonopolis magna)
١٨٤ — ١٨٣ ق م مولد بدالميوس السادس في سايس (Sais)
ونهاية الاعتصاب المتفشى في صعيد مصر •
- ١٨٠ ق م موت بدالميوس الخامس
١٨٠ — ١٤٥ ق م عهد الملك بدالميوس السادس والملقب فيل وميتوراي
" حبيب أمه " وهو عهد مشحون بالأحداث وهالة
عدم الاستقرار •
- ١٧٦ ق م وفاة كليوباترة الأولى أم بدالميوس السادس والوصية
عليه
- ١٧٥ — ١٦٤ ق م انه ايوخوس الرابع والملقب ابيفانيس يتولى الحكم في سوريا
خلال هذه الفترة ويحدث صدام بينه وبين مصر وتظهر
الطماع في مصر بصورة سافرة •
- ١٧٥ — ١٧٤ ق م عقد زواج بين بدالميوس السادس وأخته كليوباترة الثانية
وتمت هذه الزيجة في الفترة ما بين فبراير من عام ١٧٥
وباريس من عام ١٧٣ ق م
- ١٧٣ ق م روما توفد بعثة رومانية الى الاسكندرية (لحملها من
قبيل التقصى والاستطلاع) •

١٧٠ - ١٦٨ ق م

وقعت في هذه الفترة الحرب السورية السادسة بين

انطايوخوس الرابع وبطلديوس السادس

١٧٠ ق م

بدأ هذا العام بفوزة قام بها انطايوخوس الرابع لمصر ،

اشترك بطلديوس السادس وزوجته كليوباترة الثانية

وأخوها الاصغر بطالميرس الثامن (VIII)

في الحكم في مصر .

اتساع رقعة املاك انطايوخوس الرابع وكانت هذه

تشمل الشام وما وراء الفرات حتى الهند ويدخل ضمن

ذلك وسط ايران وباكتريا وسمرقند والتركستان

وأفغانستان وباكستان وفضلا عن ذلك كان له احوال

في آسيا الصغرى وفي مقدونيا

١٦٩ ق م

شن حملة ثانية على مصر من قبل انطايوخوس الرابع

وربما سحب ذلك اعلمه عن انه اصبح ملكا على مصر .

وربما كانت بعض نفقات هذه الحملة قد غطاها انطايوخوس

الرابع مما حصل عليه من اسلاب استولى عليها من معبد

بيت المقدس .

قيام شعب مدينة الاسكندرية بثورة اعلنوا فيها السخط

على انطايوخوس الرابع واعماله البعدانية .

١٦٨ ق م

قيام انطايوخوس الرابع بفوزة ثالثة على مصر ووصوله الى

الاسكندرية وتبرعه على عرش البلاد والتحكم في مدينتها

ومستقبلها بحق هذا الفوز والفتح - ولكن تأتي الرياح

بما لا تشتهي السفن وحرم هذا الملك من ان يجهز ثمة

انتصاراته هذه نظرا لان روما انهرت له بشكل سافر وكانت

ان ذاك قد خرجت مضافية من حرب بينها وبين ملك
 مقدونيا المسمى بـ *Perseus*) وهو
 خصم عنيد ولكنها استطاعت ان تشتت عليه في موقعة
 بيدنا (*Pydna*) سنة ١٦٨ ق م في يوم
 مشهور هو ٢٢ يونية من ذلك العام . وعندئذ
 تقع حادثة مشهورة نوه عنها جميع المؤرخين وذكرها
 المؤرخ الروماني " ليقى " فقال ان بعثة رومانية
 حضرت الى الاسكندرية على رأسها سفير روماني يدعى
 جايوس بوبيليوس ليناس (*G. Popilius Laenas*)
 وواجه هذا السفير الملك السوري انطيوخوس الرابع
 وهو في نشوة نصره ، وطالب اليه الرحيل من مصر على
 عجل ولم يشأ ان يمهله وقتاليتد بحسب فيه الامر بل
 ان المبعوث الروماني خطا بعصاه ثلاث في يده على
 الرجل بدائرة من حول الملك وشدد النكير عليه بأن
 طلب منه الاجابة في الحال وبطريقة حاسمة فامسا
 الموافقة على الرحيل ومضادة البناد واما ان يختار
 الحرب تشنها روما عليه . ولكن الملك آثر اختيار الحل
 الاول واعلن موافقته على الرحيل وبذلك خلصت روما
 مصر من انياب الملك السوري واضدار ان يرحل عن مصر
 وعن قبرص وان يتخلى عنهما بطريقة فيها اذلال . وهكذا
 ساقط المقدار يروفا قهرية جعلت من مصر بل والمملكة
 البدالية كلها خليفات تابعة لروما واصبح منذ ذلك الحين
 الحرس البدالي مدبنا لروما بهذه الحماية والرعاية فهي
 التي خلصته من الهزيمة وهي التي ازاحت عن البلاد

تلك الفئة التي لحقت بها من جراء الغزو السوري
والتدخل في شئون البلاد • قيلم الثورات في أرجاء
الإمبراطورية السلوقية نتيجة لحرمان البلاد من حق
تجار الانتصارات التي ذهبت عبثا •

١٦٨ - ١٦٤ ق م

على مدى أربعين سنوات قامت ثورات جامحة في شتى
أنحاء البلاد كانت أحداها ثورة تزعمها شخص
يحمل اسما مزدوجا هو د يوتيسيوس ديتوسيوس (Dionysius Petosarapis) يجمع

بين التسمية اليونانية والمصرية •

١٦٤ ق م

يقوم الأخ الأصغر بطالميرس الثامن بطرد أخيه الأكبر
بطالميرس السادس من مصر •

١٦٢ ق م

يخود بطالميرس السادس إلى عرش مصر ويحكم وحده
على كل من مصر وقبرص • مؤيدا ومدعما بالسلاج
الروماني •

أما بطالميرس الثامن فقد تم الاعتراض به كملك بطالمي على
برقة

١٦٢ ق م

يقوم بطالميرس الثامن بزيارة لروما ويتسلم قبرص ولكنه يضطر
لإقلاع ثورة وعميان فشب في برقة

المساكنات بين روما ويطالميرس السادس وتسوء وتتوتر بعد أن
كان الفتور يخيم عليها ولا يعرف السبب ولعل السر في
ذلك أن روما كانت تعضد أخاه الأصغر بطالميرس الثامن
بتنصيبه عليه ومن هنا بدأ الامتعاظ والنفور من جانب

بطالميرس السادس من

١٥٥ ق م

بدالميوس الثامن يعلن عن وصية كان قد أبرمها منذ عام ١٦١/١٦٢ واتخذ فيها من روما الوريثة لملكه * وكان قصده بذلك حماية نفسه من محاولات الاغتيال والمؤامرات التي كان يظن ان اخاه بطالميوس السادس يريد برهسا ضده * ولذا اتخذ من هذا الخوف ذريعة لتبرير تلك الوصية المذرية التي ان دلت على شيء * فانما تدل على مدى التخاذل والضعف والتفريط في حقوق الوطن من قبل بطالميوس الثامن *

١٥٤ ق م

بدالميوس الثامن يهاجم قبرص ولكنه يتردد على اعتاقه بعد ان صده اخوه الاكبر بطالميوس السادس *

١٤٧ ق م

بدالميوس السابع الملقب Neos Philopator ونحو ابن بدالميوس السادس فيلوميتور * يصبح شريكا مع ابيه في الملك *

١٤٦ ق م

بدالميوس يقرب ظهير المجن ويتنكر لحلفائه من اجل تمكنه من السيطرة على سوريا بطريقة افضل فيشن حربا يحرز فيها النصر ويخرعه صريحا في المعركة في شهر يوليو من عام ١٤٥ ق م ولكن الجراح التي اصيب بها فيلوميتور في المعركة كانت قاتلة فمات بعد فترة قصيرة في عام ١٤٥ ق م * وتولى الحكم لفترة لاتعد وبضعة اشهر ابنه بطالميوس السابع الملقب نيوس فيلوباتور ولكنه نحي في اواخر اغسطس وائل سبتيمير عن الملك بواسطة بطالميوس الثامن الذي اعلن بعد ذلك عن عقد معاهدة تسود بين مصر وقبرص *

١٤٥ - ١١٦ ق م

فترة حكم بدالميوس الثامن الملقب يورجيتيس الثاني ، سلوكه

في حكم مصر ومعا ملته للسكندريين والقسوة في تصرفاته
ازاء العلماء والادباء في اكااديمية الاسكندرية - كل
هذا جلد ب عليه السخا فاصبح عليه السكندريون لقب
الشرير بد لا من لقب كان يدعيه وهو لا يستحقه وهو لقب
فاعل الخير .

١٤٥ - ١٤٤ ق م

استعمل الملك حكمه بنفى نفر من العلماء المشهورين
وترحيلهم من الاسكندرية وكان من بين هؤلاء العالم
القيلولوجي في فقه اللغة وهو " أريستارخوس "

(Aristarchus) ذو الشهرة الالامعة

١٤٤ ق م

اتام تسوية بين بطالميرس الثامن وبين كليوباترة الثانية
ارولة اخيه الاكبر وكان الرومان هم الوسطاء في عميل
هذه التسوية ومقتضاها تزوج بطالميرس الثامن من
كليوباترة الثانية امر بطالميرس الثامن بقتل بطالميرس
السابع المطبق نيوس فيلوياتولا وهو ابن اخيه بطالميرس
السادس حتى يزيج هذا الابن من طويقه ويؤمن عرشه
من هذه الناحية .

١٤٤ - ١٤٣ ق م

مولد ابن لبالميرس الثامن من كليوباترة الثانية ، لقب
بالمفريقي

١٤٢ ق م

زواج بطالميرس الثامن من كليوباترة الثالثة وهي ابنة
بطالميرس السادس من كليوباترة الثانية اي انها ابنة
زوجة بطالميرس الثامن وبذلك اصبح زوجها للام ولا بنتها
على حد سواء .

١٤٠ — ١٣٩ ق م

كليوباترة الثانية تحرض على اعلان العصيان ضد

هذا الملك

١٣٢ — ١٣١ ق م

العصيان يعم مصر العليا والوسطى

١٣١ ق م

كليوباترة الثانية تكرر بطالميرس الثامن وزوجته كليوباترة

الثالثة على الفرار من مصر الى قبرص • بطالميرسوس

الثامن يقتل ابنه الطقب بالمفيتى من زوجته كليوباترة

لثانية • امانا في الانتقام — بطالميرس الثامن يتحصن

في مقيس واغلب مصر العليا

١٣٠ ق م

يسترد بطالميرس الثامن الاقليم الدايمي واجزاء اخرى

من مصر

١٢٩ — ١٢٨ ق م

كليوباترة الثانية تهرب الى ديمتريوس الثاني ملك سوريا

وتحمل معها كنوزها اما في ان يقدم لها ديمتريوس

الثاني هذا • العون والمساعدة وقد هم بالفعل بفزو

مصر ولكنه اضطر الى التوقف عن الزحف على البلاد عند

الفرما عند ما سمع ان بعض البلدان في سوريا اعلنت

الثورة عليه •

١٢٨ ق م

واجه بطالميرس الثامن هذا الخطر المحدق به وهو الفزو

الاسيوى بالانق مدعى لعرش سوريا يسمى الاسكندر

الثاني زابيناس (Zabinas) وشوابين

بالتينسي لانما وخيروس السابع وقد نصب هذا الابن بالفعل

في انطاكيا بفضل ما قدمته مصر من عون ومساعدة له

١٢٧ ق م

استداع بطالميرس الثامن ان يستولى على الاسكندرية

بعد غيبة طويلة امتدت منذ ١٣١ ق م عندما طرد منها

بدالميوس الثامن يقرر التوقف عن تقديم الحون لالاسكندر

١٢٥ ق م

الثاني

كليوباترة الثانية تعود الى مصر ويتم الصالح بينها وبين

١٢٤ ق م

بدالميوس الثامن وكليوباترة الثالثة .

يعود الشقاق من جديد بين الطرفين

١٢٣ - ١٢٢ ق م

تجري تسوية مشهورة (Philanthropia) بين

١١٨ ق م

بدالميوس الثامن وكليوباترة الثانية وجاءت بنود هذه

التسوية واردة في وثيقة بردية مشهورة ومنشورة في مجموعة

بردي " تيتونس رقم (٥) وكثيرا ما يعرض لها المؤرخون

للتصرف على مدى ما اقرب كل طرف الاخر من حقوق

وما اعترف به من اجراءات كان كل طرف قد اتخذها

لصالح اعوانه ومؤيديه .

يموت في هذا العام (١١٨ ق م) المؤرخ اليوناني

الحليم بوليبيوس وقد نيف على الثانية بهذه الشانين

من عمره

اكتشاف طريق بحري مباشر بين مصر والهند بفضل

١١٧ أو ١١٦ ق م

استخدام الرياح الموسمية وصاحب هذا الكشف هو

(Eudoxus) وشاركه في هذا الكشف

الحليم هيبالوس (Hippalus)

وفاة بدالميوس الثامن في ٢٨ يونية وذلك تصبح زوجته

١١٦ ق م

الثانية وهي كليوباترة الثالثة هي الحاكمة الحقيقية

لمصره وتختلى اية اشارة الى كليوباترة الثانية بعد

٢٧ نوفمبر من عام ١١٦ ق م

وصية بطالمیوس الثامن لا يؤثّر به بها وتصبح في سبب

الريج •

بطالمیوس التاسع يتولى العرش بفضل المساعدة التي

لقيها من امه كليوباترة الثالثة ويطالمیوس الملقب أبيون

(Apion) يستولى على بركة برصه ملكا

بطالميا بعد ذلك ببضع سنوات •

كليوباترة الثالثة تضارب بطالمیوس التاسع الملقب لاثيروس

١١٥ ق م

(Lathyrus) كيم يطلق كليوباترة الرابعة

التي استطاعت بعد ذلك ان تدبر جيشا غزت به سوريا

وتزوجت من كيزيكنيوس (Cyzicenus)

بطالمیوس العاشر الملقب بالاسكندر يعين حاكما على

١١٤ — ١١٣ ق م

قبرص •

الحرب الاهلية بين انطيوخوس الثامن وانطيوخوس

التاسع كادت ان تكون السبب في تقويض اركان الحكم

السلوقي في الشام •

بطالمیوس التاسع جرت تنحيته عن العرش لفترة ثم حصل

١١٠ — ١٠٨ ق م

محلله اخوه بطالمیوس العاشر لفترة اخرى خلال العامين

(١٠٨ — ١٠٨) الى ان يتم التصالح بين بطالمیوس

التاسع وكليوباترة الثالثة •

بطالمیوس العاشر يشترك في الحكم مع كليوباترة الثالثة

١٠٧ ق م

تواجه مصر فترة يسودها القلق والاضطراب بسبب هذين

١٠٧ — ١٠١ ق م

الاخوين بطالمیوس التاسع ويطالمیوس العاشر وتآلب

امهما كليوباترة الثالثة احد هما ضد الآخر •

- ٦٤ ق م سوريا تصبح ولاية رومانية •
- ٦٣ ق م الزعيم الروماني بومبي يستولي على بيت المقدس ضمن حملته على بلاد الشرق وتسوية اموره •
- ٥٩ ق م يوليوس قيصر وبومبي وكراسوس والثلاثة اركان الحكم الثاني الاول هيتروفون ببطلميوس الثاني عشر ملكا على مصر في نهاية رشوة ضخمة قدّمها الملك المسمى يوليوس قيصر • ولده بيبة في جبهة السياسة الرومانية •
- ٥٨ ق م قبرص تصبح ولاية رومانية •
- ٥٨ ق م تقوم ثورة في الاسكندرية ضد الملك المفريط في املاك مصر لانه لم يحرك ساكنا ازاء ضياع قبرص • الملك يضطر الى ترك المدينة الثائرة ومضادة البلاد الى روما •
- ٥٩ - ٥٧ ق م يحكم مشترك بين كليوباترة تريفينا وبرنيقة يسود في مصر •
- ٥٧ - ٥٥ ق م في خلال هذه السنوات انفردت برنيقة بالحكم في مصر •
- ٥٦ - ٥٥ ق م عودة ببالمبيوس الثاني عشر الى عرشه بفضل الزعماء الروماني وبومبي بالذات ومعونة الجيش الروماني المرابط في سوريا تحت قيادة " اولوس جابينيوس " (Aulus Gabinius) حاكم سوريا • الملك ببالمبيوس الثاني عشر يقتل ابنته برنيقة ويقتل كذلك زوجها المسمى اركيلاوس (Archelaus)
- ٥١ - ٥٠ ق م موت ببالمبيوس الثاني عشر
- ٥١ - ٥٠ ق م تحكم كليوباترة السابعة كبرى بناته • مصر • وفتره توليها الحكم حافلة بالاحداث الجسام وبالاُمال المريضة وتخوض

بمعرض مصارك سياسية وعسكرية عالمية وتثبيت العالم الجديد
وكفاية وأنها قد أعدت لرجال . وهذه الفترة
تاريخ مصر شهدت تطورات كثيرة في الداخل والخارج
وتجددت فيها اتجاهات الاسرة الجديدة وتداخلت
السياسة المصرية مع السياسة الرومانية ورجالها
وكانت كليوباترة تلقي التوفيق والنجاح ولكن الظروف
العالمية كانت أقوى منها فبات في آخر المطاف
بخسيران ميين .

٤٩ - ق م

نشأ نزاع بين كليوباترة السابعة وبين أخيها وزوجها
بد الميوس الثالث عشر وكان بمصر طبع سنوات وكانت
هي نفسها في سن مبكرة أي تبلغ السابعة عشرة وكان
الاثنان يحكما بالاشتراك طول الفترة من ٥١ حتى
٤٩ ق م .

٤٩ - ٤٨ ق م

تنشأ حرب في الاسكندرية سميت في التاريخ الروماني
بالحرب الاسكندرية = Bellum Alexandrinum
وسميت لمؤلف او مصنف روماني يسمى " دسرتيوس "

(Hibtius) وصف فيها الاحداث والاستراتيجية
في شوارع الاسكندرية وبيانها . وقد خاض هذه الحرب الملك
في هذه الحرب ويعرض لوصف مواقف الصغير زوج كليوباترة
دفاعا عن شرفه ضد يوليوس قيصر الذي كان قد حضر الى
الاسكندرية متحيا غريمه بومبي بعد ان هزمه في فرساليا
سنة ٤٨ ق م . واتصل بكليوباترة وعاشرها معاشرة الأزواج

٤٨ - ق م

بطلميوس الثالث عشر يفرق في النيل وتلحق به الهزيمة على يد يوليوس قيصر وينتفى على الثورة وتنتهى تلك الحرب التي اشعلها بطلميوس الثالث عشر . يصبح الاخ التالى وهو الاصغر ماركاً وشريكاً مع كليوباترة وزوجاً لها .

٤٧ - ق م

يولد ابن لكليوباترة من يوليوس قيصر ويسمى هذا الابن قيصر الصغير او بالاجرى قيصر (Caesarion) وسوف نرى كيف يصبح هذا الابن بطلميوس الخامس عشر وكيف يكون محور تفكير كليوباترة ومحط آمالها .

٤٦ - ق م

قيصر تعود الى مصر بتأييد من يوليوس قيصر بالطبع . تذهب كليوباترة الى روما بدعوة من يوليوس قيصر وتقيم فى قصر منيف على ضفاف النهر وتبقى فى روما حتى وقعت الواقعة وهى اغتيال يوليوس قيصر فى يوم مشهور هو الخامس عشر من شهر مارس (Ides) سنة ٤٤ على يد بروتس وكاسيوس ونفر من الجمهوريين المتشددين الذين ظنوا ان يوليوس قيصر له نوايا غير جمهورية وانهم بدأ ينحون نحو المذاهب الهيلينية التى اسقتها له كليوباترة ، فخشوا على الروح الجمهورية الصميمة من اطماعه وتصرفاته فاغتالوه وهو يتأهب للخروج من مجلس السناتو الى الشرق ببرناج عسكري ضخم ضد الفرس . وكانت كليوباترة وهى تقيم فى روما ، تعقد صالوناً ادبياً ، يتردد عليه شخصيات لامعة من بينها الخياط والزعم شيشرون . وكانت كليوباترة تعيش فى روما محزنة مكتومة ، بفضل ما سبقه

عليها يوليوس قيصر من عطف ومحبة ولكن اللسان كانت
تلك أسما وتندد بهذه العلاقة ~~الاسمية بينهما وبين~~
هذا الزعيم الروماني الكبير واخذت تتردد مختلف
الاقاويل عن خطط وآرب ذات طابع ملكي او هيلينستي
وتتوجس خيفة من اطماع سياسية قيل ان الملكة كانت
تبثها في نفس هذا الزعيم الروماني * وروما الجمهورية
كانت تضيق بمثل هذه الافكار الملكية وتخشى علسي
مصيرها مما قد تخبئه الاقدار لها * ومن هنا نشأ التآمر
ووقعت الكارثة * وكان توارى هذا الزعيم الكبير علسي
هذا النحو الفجائي بمثابة نكبة كبرى و كارثة حلـ
بكليوباتره وها بنهما من يوليوس قيصر وولدت الاوضاع
رأسا علسي عقب

٤٤ ق م

عادة كليوباترة الى مصر هاربه على حد قول شيشرون
(Fuga reginae) وتنفست روما الصعداء
لخروج الملكة المصرية من صعيد روما * امرت كليوباتره
بقتل اخيها الاصغر وزوجها بطلميوس الرابع عشر (بعد
السادس والعشرون من شهر يوليو وعندئذ اعلنت ان ابنها
قيصرون اصبح هو بطلميوس الخامس عشر والشريك لها في
الملـك *)

٢٠ ق م

تقع معركة بين الجمهوريين وبين كل من الكثافيوس
وانطونيوس اخذا بالثار لدم يوليوس قيصر المهدر ويتم
فيها النصر علسي الجمهوريين
معركة فيليبـاي (Philippi)

بشمال بلاد اليونان •

٤١ ق م

يتم لقاء مهم بين انطونيوس وبين كليوباترة في آسيا

الصغرى في بلدة تارسوس (Tarsus)

ومن ذلك الحين يرتبط مستقبل كليوباترة بهذا الزعيم

الروماني الذي مالبت ان تحول الى محب متحم بكليوباترة

وهي بدورها اعتبرت ادانة منفذة لبرنامج سياسي كانت

عاقدة الحزم عليه وتتنويه ، وفيه رفعة لشأن مصر واستعادة

لامبراطوريتها المضاعة •

٣٧ - ٣٦ ق م

تتسلم كليوباترة بعض اجزاء من لبنان وتسك عملة باسمها

كليوباترة ملكة الملوك

٣٦ - ق م

انطونيوس يسبح ديات ويطلع الممالك على ابناء كليوباترة

٣٤ - ق م

ويناتنها منه وبذلك يثير ثائرة الرومان عليه وعلى الملكة

المصرية •

٣١ ق م

معركة اكتيوم في المياه المصرية من بلاد اليونان •

انتصر فيها الغرب على الشرق بفرار انطونيوس وراء

كلوباترة دون ان تنشب معركة فعلية وبذلك يحسم

النزاع بين الشرق والغرب وينتقم المصري •

٣٠ - ق م

استياء اكتافيوس على الاسكندر بتهمة خيانة •

في الثالث من اغسطس •

وفي يوم ١٢ أغسطس من نفس هذا الحام انتحرت كليوباترة

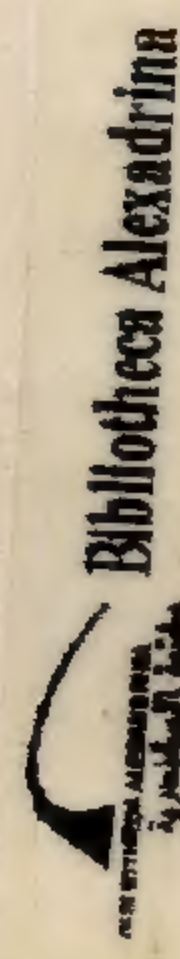
بعد ان استولى عليها اليأس وبعد ان فقدت انطونيوس

الذي كان قد انتحرق قبلها ببضعة ايام •

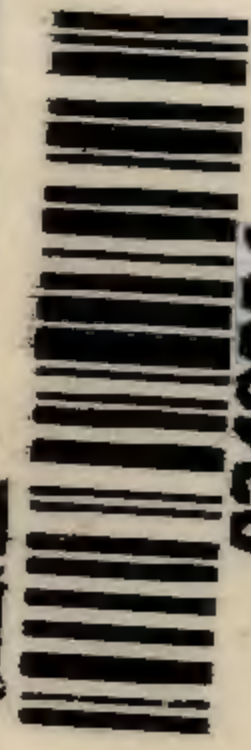
وبذا اسدل الستار على صفحة كفاح مريم خاضته كليوباترة

من اجل رفعة شأن مصر ولكنها لم توفق فضم اكتافيوس مصر الى حظيرة الحكم الروماني

وجعلها ولاية تابعة لسلطان الشعب الروماني •



Biblioteca Alexandrina



0240284